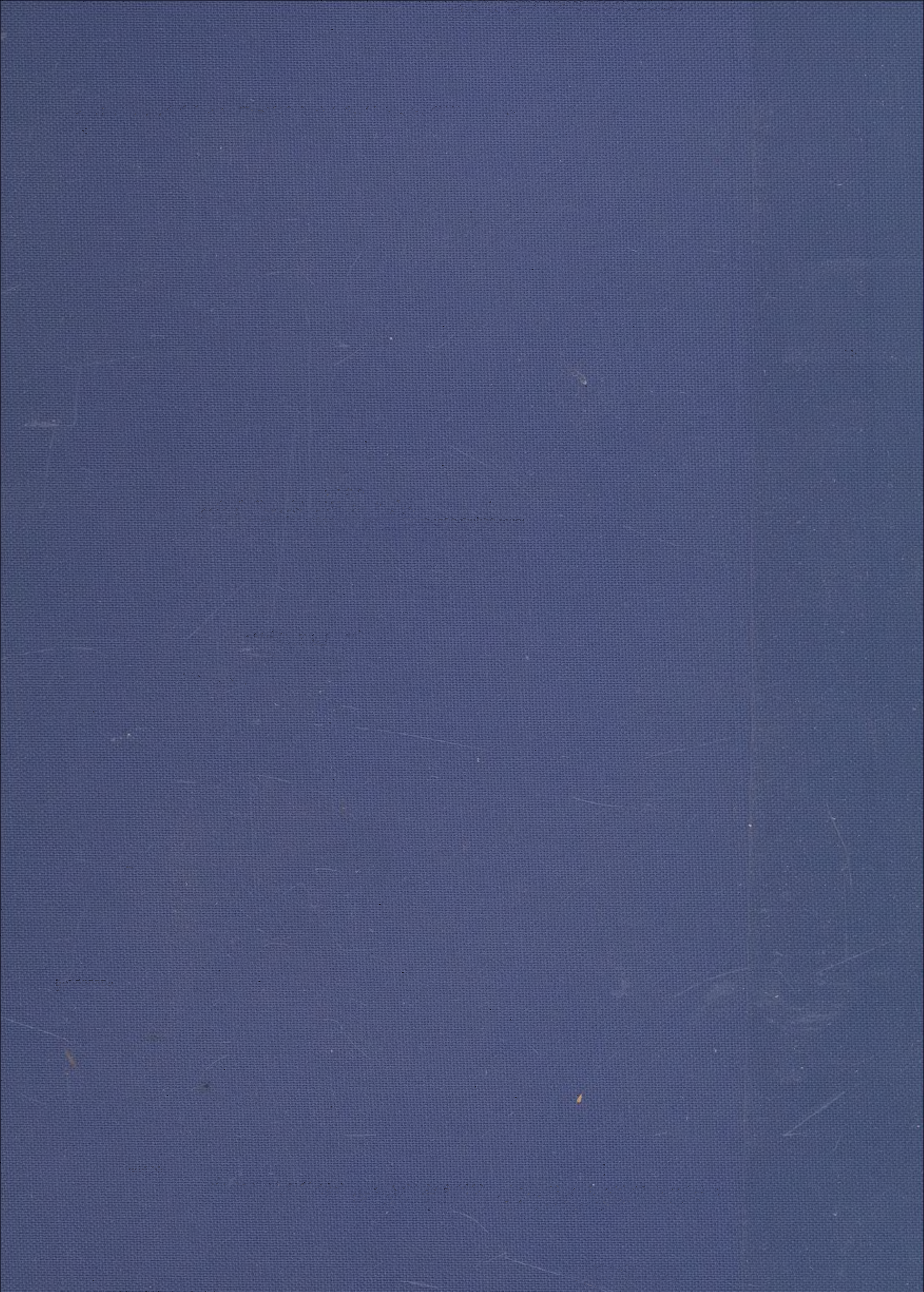




دروس التاريخ الاسلامي

من مبدء الخلافة

(جمع حضرتى الفاضلين الشيخ عبد الرؤوف اسماعيل)

والشيخ عفيفى عثمان

لطلاب القسم الثانوى [illegible] الاحمدي

طبعت على نفقة مشيخة الجامع الاحمدى سنة

١٣٢٨ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام

(المطبعة الاهلية الكبرى بطنطا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على

رسوله ومن والاه

الخلافة في الاسلام

الخلافة هى النيابة العامة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتفويض بمقاليد امور الدين والدنيا لامام تحققت فيه الأهلية الشرعية من الذكوره والاسلام والتكليف والحرية والعلم والكفاءة

ويجب على الامة طاعة الامام فيما لم يخالف فيه احكام الشرع الشريف فاذا حاد عنها وجب على المسلمين طاعته والائتمار بامره فى طاعة الله ولا يجوز الخروج عليه الا اذا فعل ماظاهره الخروج عن دين الاسلام حيث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

ولما كانت الخلافة من الواجبات الشرعية لتوقف كثير من الاحكام الواجبه عليها كتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وتجهيز الجيوش وقطع المنازعات الواقعة بين العباد واقامة الجمع وغيرذلك من الاحكام وكان منصب الخلافة خطيرا جليلا تشعبت فيه الأفكار واختلفت الامة فى الاجدربها والاحق بالقيام بعهدة عبئها للخالق والمخلوق

من ذلك اختلاف المهاجرين والانصار رضى الله عنهم بعد

قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقد ادهش الناس موته فمنهم المصدق والمكذب حتى دخل ابو بكر عليه وكشف وجهه الشريف وقبله وقال (بابي انت وامي يا رسول الله قد ذقت الموتة التي كتبها الله عليك وان يصيبك بعدها موتة ابدا) ثم خرج الى الناس فحمد الله واثنى عليه وقال (ايها الناس من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات — وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وكأن الناس لم يعلموا بنزول الاية حتى قال عمر (فما هو الا ان سمعت ابا بكر يتلوها فوقعت الى الارض ما تحملني رجلاى) وبينما كان الاصحاب مشغولين بوفاته وتجهيزه صلى الله عليه وسلم اجتمع الانصار لدى سعد ابن عباده (بسقيفة بني ساعده) للمفاوضة فى شأن الخلافه فبلغ ذلك ابا بكر وعمر ففزع اشد الفزع وخرج ومعه عمر حتى وصلا الانصار وبعد جدال قام بين المهاجرين والانصار فى شأن الخلافه والاحق بها تم الامر لابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان اول من بايعه من المهاجرين ابو عبيده بن الجراح وعمرو من الانصار قيس بن سعد ابن عم سعد بن عباده وبعد مدة بايعه على بن ابى طالب

«خلافة الصديق»

هو عبدالله بن ابى قحافه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب

بن سعد بن تيم بن مرة فيجتمع مع النبي في مرة التيمى القرشى الملقب بالصديق ولد رضى الله عنه لسنتين واشهر من مولده صلى الله عليه وسلم وكان له مال كثير للتجارة يبلغ اربعين الف درهم انفق منه ٣٥ الفا معونة للنبي على مصالح المسلمين وكان ذا مكانه عظيمه من قومه ومروؤة واحسان ولذا قال له ابن (الدغنه) انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر وتقرى الضيف وكان ذا خبرة باخبار العرب وانسابها عفيف النفس حرم على نفسه شرب الخمر فى الجاهليه وكان اول الرجال اسلاما اسلم على يديه كثير من اكابر قريش صحب النبي خير صحبه ورافقه فى الهجرة ومكث معه فى الغار ثلاثا وعينه لا تنام خوفا عليه حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم (لا تحزن ان الله معنا) فنزل قوله تعالى (ثاني اثنين) الاية.

تبتدى خلافته رضى الله عنه من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وتنتهي بوفاته فى جمادى الثانية سنة ١٣ هـ وكان بدء عمله ان انفذ جيش اسامة بن زيد الذى كان جهزه النبي صلى الله عليه وسلم تحت امرة اسامة مولاه الى الشام وعاقه عن ارساله مرضه

وقد شيعه ابو بكر وهو ماش واسامة راكب فقال اسامة ياخليفة رسول الله (لتركبن او لانزلن) فقال (والله لانزلت ولا ركبت وما على ان اغبر قدمى ساعة فى سبيل الله) واستأذن اسامة

فى رجوع عمر ليستعين برأيه فأذن له بالرجوع وصار هذا الجيش تحفه عظمة الاسلام فاغار على بلاد قضاعة ارض (واقعة بين الشام والحجاز) وغيرها وعاد بعد اربعين يوما مكللا بالنصر والغلبة

(قتال المتنبئين والمرتدين ومانعي الزكاه)

من اعماله الكبار رضى الله عنه قتال المتنبئين والمرتدين ومانعى الزكاه وذلك انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن العرب باصحاب رسول الله وهناً فذاع وفشى امر المتنبئين وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم الزكاة وكان من ادعى النبوة مسيلمة ـ وطليحة ابن خويلد الاسدى ـ وسجاح بنت الحارث ـ والاسود العنسى

اما ـ مسيلمة فقدم مع قومه بنى حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رجع الى اليمامة ادعى النبوة بها وتبعه قومه

فارسل له الصديق رضى الله وتعالى عنه جيشا على راسه (عكرمه بن ابى جهل) وامده بشرحبيل بن حسنه — وقد هزم عكرمه قبل ان يصله المدد فاخبر ابا بكر بذلك فغضب عليه وامره ان يتحول الى محاربة اهل (عمان ومهره) معاونا (حذيفة بن محصن وعرفجه بن هرشمه وامر شرحبيل بن حسنه) بالاقامة حتى يصله الجيش الذى يقوده (خالد بن الوليد) ولما وصل خالد اليه التقى جيش المسلمين بجيش مسيلمه الكذاب واستمر الحصار اياما ثم قتل الكذاب بيد (وحشى) قاتل حمزه رضى الله عنهما وكان عمره اذ ذاك

مائة وخمسين واستشهد فى هذا الحرب كثير من الصحابة يبلغ عددهم السبعين اما (طليحة بن خويلد الاسدى) فقد ادعى النبوة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت جموعة من بنى (اسد ـ وغطفان ـ وطى) فوجه اليه خالد بن الوليد فى جيش من المسلمين فهزمهم وفرق شمل جموعه وفر طليحة الى الشام واسلم بعد اسلام قومه وكان له البلاء الحسن فى فتح العراق

اما سجاح بنت الحارث التغلبية فقد ادعت النبوة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فتبعها قومها التغلبيون وكثير من بنى شيبان واقبلت من الجزيرة فى جموعها تريد غزو الصديق بالمدينة رضى الله عنه فاعترضها بنو (الهجيم) وقهروها واسروا منها بعض اتباعها ثم اصطلحوا على اطلاق الاسرى ورجوعها الى ارضها فعادت وبقيت بنى تغلب حتى حسن اسلامها واسلامهم فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه

وممن ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم (الاسود العنسى) ببلاد اليمن واسمه (عبهلة بن كعب) وكان يفعل الاعاجيب مؤثرا بحلاوة منطقه وقد قتل قبل وفاة النبي بيوم على يد « فيروز الديلمى »

هذا ولم يكتف الصديق رضى الله عنه بقتال المتنبئين واتباعهم بل ارسل جيوشا الى المرتدين ومانعى الزكاة من العرب بعد ان جمع الاصحاب للشورى فى امر قتال مانعى الزكاة فاشار عمر بعدم قتالهم

فقال الصديق رضى الله عنه (والله لو منعونى عقالا كانوا يدفعونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم متى استمسك السيف بيدى فبعث العلاء بن الحضرمى الى المرتدين من اهل البحرين (الاحسأ)(وعكرمة ابن ابى جهل) الى المرتدين بعمان بعد مسيره الى مسيلمة » وزيادة ابن لبيد الانصارى » الى طائفة من المرتدين وفيها مات ابو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وكان ممن ارتد ومنع الزكاة بعض من بني تميم ثم ندموا على ماصنعوا ورجعوا الى الاسلام « الامالك بن نويره » رئيسهم فانه بقى متحيرا وقد اجتمع اليه قومه بالبطاح فسار اليه خالد بن الوليد »

فامر مالك قومه فتفرقوا وارسل خالد السرايا يدعون الى الاسلام ويأتون بمن لم يجب فجاؤا بجماعة منهم مالك بن نويرة فامر بقتلهم فقتلوا وتزوج خالد بامرأة مالك (ام تميم) وبالجملة فلم يترك طائفة من المرتدين الا وارسل لهم جيشا من المهاجرين والانصار وقد عادت حروب الرده ومانعى الزكاة على الاسلام بالفوز والفلاح واثنى عمر على رأى ابى بكر بعد ذلك

﴿ فتوحات ابى بكر ﴾

ولما تمت حروب المرتدين والمتنبئين ومانعى الزكاة بارتفاع شأن الاسلام ونفوذ سلطانه اراد الصديق ان يغزو بلاد العراق ثم فارس لنشر راية الاسلام على ارجائها فاستدعى خالد بن الوليد من اليمامة (العروض) جنوب نجد بين الاحساء شرقا والحجاز

وامره بالمسير الى العراق وكان جيشه عشرة آلاف مقاتل ثم امده ابو بكر باخرين ففتح (الايلـه) (ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسى عند مصب دجله) وتتابعت الفتوحات حتى وصـل الحيرة (تعرف الان (بالنجف) وهى من مدن الجزيرة) فصالح المناذره اهلها على الجزيه وكانوا تابعين لدولة الفرس ولما علم كسرى ماحل بالمناذره ارسل جيشا بقوده (هرمز)فهزمه المسلمون وقتل هرمز قائد جيش الروم فاتبعه كسرى بجيش آخر فكان حظه ما ناله الاول ثم سارخالد الى الانـبار (مدينة على شاطىء الفرات) فحاصرها ثم سلمت صلحا ولما تم فتح المسلمـين بلاد العراق سـنة ١٢ ﻫ واستقر نفوذهم بها توجهت عزيمة ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى فتح الشام فشاور اصحابه فى غزو الروم فأجابوه لرأيه فجيش الجيوش من العرب وعقـد الويتها سـنة ١٣ ﻫ فوجه (عمرو بن العاص) الى فلسطين (كوره بالشام فى جنوبه) (وشرحبيل بن حسنة) الى الاردن (كوره بالشام سميت باسم نهر هناك يبتدىء من بحيرة طبريه ويزيد بن ابى سفيان الى البلقاء بلد بالشام وابا عبيدة عامر بن الجراح الى حمـص وامره على جميعهم ولما علم هرقل ملك الروم بتغلب جيش المسلمين على اطراف الشام خرج ومعه ستون الف مقاتل وحصن دمشق واقام بانطاكية ثم التقى الجيشان جنوب دمشق فانتصر العرب انتصارا عظيما

واقعة اليرموك

ولما انهزمت الروم استمد هرقل من عاصمة ملكته جيشا مائة وعشرين الف مقاتل واستعان (بجبله بن الايهم الغسانى) من ملوك العرب بالشام الذين يحملون الخراج لدولة الروم فاستمد المسلمون من ابى بكر فبعث اليهم خالد بن الوليد من العراق فى نصف جيش العراق واستحثه فى السير اليهم فنفذ خالد لذلك بعد ان استخلف المثنى بن حارثه على العراق ووافى المسلمين مكانهم بقرب اليرموك وفى اثناء سيره فتح عدة بلاد منها «بصرى» وكان فتحها صلحا وهى اول مدينة فتحت بالشام وحين وصل خالد الى جيش المسلمين تولى قيادته العامة من ابى عبيده بكتاب من ابى بكر رضى الله تعالى عنه ورأى توحيد الجيش والقيادة فجعل القيادة مناوبه وكان جيش المسلمين ٤٦ الف مقاتل ثم التحم الجيشان عند نهر اليرموك فاشتد القتال فتقهقر المسلمون ثلاث مرات فجمع شملهم خالد بن الوليد واخذ الراية بيده وحمل على الروم حملة رجل واحد فهزمهم وغرق كثير منهم فى اليرموك وبينما الناس فى القتال قدم البريد من المدينة بموت ابى بكر رحمه الله وتولية عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعزل خالد وتولية ابى عبيده فكتمها واستمر خالد على الامره حتى فتحت دمشق فاظهر ابو عبيده امرته وكانت هذه الواقعة فى رجب سنة ١٣ هـ ومن هذا نعلم ان بدأها كان فى خلافة ابى بكر ونهايتها فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وهى من اعظم فتوح الشام وبها تقلص ظل الروم من تلك البلاد

﴿ وفاة ابى بكر الصديق ﴾

مرض رضى الله عنه لسبع خلون من جمادى الاخرة سنة ١٣ هـ فمكث خمسة عشرة يوما لا يخرج للصلاة وعند اشتداد المرض عليه عهد لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة من بعده على محضر من الصحابة سدا لذرائع الفتن وطلبا لخير المسلمين وكتب له بذلك عهدا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرا فان صبر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير اردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) هذا ولم ينازع الصديق رضى الله عنه احد ممن ينتهى اليهم الشرف فى الجاهلية والاسلام واوصى بدفنه الى جنب رسول الله صلي الله عليه وسلم وان يكفن فى ثوبيه بعد غسلهما وان تغسله زوجته « اسماء بنت عميس » ويعينها ابنه عبد الرحمن وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخره سنة ١٣ هـ وعمره ثلاث وستون سنة وقد كانت سياسته اميل للرفق واللين تألف قلوب امراء العرب بعد ان اراهم سطوة المسلمين وبأس الموحدين

خلافة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ينتهى نسبه الى كعب ابن لؤى حيث يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فيه ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وكان من اشراف قريش واليه كانت السفارة فى الجاهليه اسلم قديما و به ظهر الاسلام وفرح النبى والمسلمون لاسلامه وفى شأنه قال النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب او عمرو بن هشام) « ابى جهل»

بويع له بالخلافة فى يوم وفاة ابى بكر بعهد منه سبق نصه ولما انتهى اليه امر الخلافة صعد المنبر وقال « ايها الناس والله ما فيكم احد اقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا اضعف من القوى حتى آخذ الحق منه)

فتوحاته (دمشق)

وفى مبدأ خلافته بعد واقعة اليرموك توجه خالد بالجيش الى دمشق وكانت من اعظم مدائن الشام وبها كثير من جيش الروم وعدد القتال ففتحها بعد ان حاصرها سبعين يوما وقبل ستة اشهر وذلك ان خالد بن الوليد استغفلهم فى بعض الليالى فتسور سور المدينة من ناحيته وفتح الباب واقتحم البلد وكبر وقتل هو ومن معه جميع من لاقوه ففزع اهل النواحى الى الامراء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول فدخلوا من نواحيهم صلحا فاجريت ناحية

خالد على الصلح مثلهم وكان فى سنة ١٤ هجرية وقيل في سنة١٣هـ
وبعد هذا اظهر ابو عبيده امارته واقام بها اياما حتى يستتب
الامن ثم توجه شمال سوريا واستولى على عدة بلاد بلا حرب
لشهرته بالرفق واللين والوفاء بالعهد وقد لجأ اهل سوريا لعدالة
الاسلام ورغبوا فى الانتظام بخدمة الجيش .

﴿ فتح بيت المقدس ﴾ ايليا

بعد ان فتح دمشق انصرف ابو عبيدة وخالد الى حمص ونزل
عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه على (بيسان) فافتتحاها ثم صالحا
اهل (الاردن) وكان قد اجتمع عسكر الروم (باجنادين وغزه)
وعليهم (ارطبون) من بطارقة الروم فسار عمرو وشرحبيل اليهم بعد ان
استخلف على الاردن واقتتلوا كيوم اليرموك اواشد ثم انهزم ارطبون
الى بيت المقدس وكان قد انزل جندا عظيما من الروم ببيت المقدس
فبعث اليهم عمرو بن العاص (علقمة بن حكيم الفراسى) لقتال اهل
المقدس فحاصرها ولكن لم يتمكنوا من فتحها لمتانة حصونها ومدافعة
سكانها ولما انهزم ارطبون باجنادين توجه الى بيت المقدس وقد
افرج له المحاصرون بالمدينة من المسلمين حتى دخلها فطلب بعد ذلك
ان يصالح كاهل الشام ويتولى العقد عمر بن الخطاب فكتبوا اليه
بذلك فسار عن المدينة بعد ان استخلف عليا بن ابى طالب فلقيه
امراء الاجناد بالجابيه وقد ركبوا الخيول وعليهم الديباج والحرير

فنزل ورماهم بالحجارة وقال (اتستقبلوني فى هـذا الزى) فقالوا انها يلائمه (مابرق من السلاح) فقال نعم اذا ودخل الجابية وجاء اهـل بيت المقدس وقد هرب ارطبون الى مصر فصالحوه علي الجزية وفتحوها له وركب عمر الى بيت المقـدس فدخلها وكشف عن الصخرة وامر ببناء المسجد عليها وكان ذلك سـنة ١٥ هـ ولا زال جيش المسلمـين يوالى فتحه لبلاد الشام بلد بعد اخرى حتى الجأ خالد بن الوليد ومن معه من الامراء (هرقل)ان يرتحل الى القسطنطينية ولما بلغ عمر صنيع خالد قال « امر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر كان اعـلم مني بالرجال ولذلك أعاد خالدا الى امارته بعد فتح قنسرين

فتح القادسيه

ولما دهم اهل فارس من المسلمـين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رستم والفيرزان فى خلافة ابى بكر على يد خالد بن الوليد اجتمع عظماؤهم وقالوا لهما اما ان تجتمعا والا فنحن لـكما حرب فقد عرضتمونا للهلـكة فاطاعا لذلك ونصبـوا (يزدجرد بن كسرى ملـكا على دولتهم فعين الجنود الى الثغور ومنها الحيره ـ والابـله والانبار فـكتب المثنى بن حارثه امير جيش العراق بذلك الى عمر وقد انتقض اهل السواد ولما وصل كتابه الى عمر «قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب » وكتب اليه بخروج المسلمين من بين العجم وان يدعو الفرسان من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرهـا وسرح

سعد بن ابى وقاص في اربعة آلاف واوصاه بقوله « يا سعد لا يغرنك من الله ان يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله و بين احد نسب الا بطاعته فالناس فى دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية و يدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر » فسار سعد حتى وصل جيش المثنى وقد مات رحمه الله بجراحات بعد ان اوصى ان يبلغ سعد بحرب الفرس خارج ارضهم فترحم سعد على المثنى ثم رتب الجيوش واعطى الراية لزهرة بن الحويه ولم يزل مقيما يمده عمر المدد حتى وصل جيشه ستة وار بعين الفا وسار حتى اتى القادسيه (قرب الكوفة) فنزلها ثم ارسل سرية اغارت على الحيرة وما زال يرسل السرايا تغير على اهل السواد حتى شكوا ذلك الى يزدجر (كسرى العجم) فارسل اليهم رستم في ستين الفا وثلاثة وثلاثين فيلا وسار اربعة اشهر حتى وصل القادسيه حيال عسكر المسلمين ثم ارسل سعد ثلاثة من ذوي الراى الى رستم يدعونه وقومه الى الاسلام فابوا الا الضلال وأصروا على القتال ثم سأل رستم سعدا اتعبر العقيق ام نعبر اليك فاجابه سعد بعبور الفرس وامر المسلمين ان يتنفوا سواقهم و ياخذوا للحرب اهبته وقد كان رستم اميل للصلح ولكن الفرس لم توافقه على ذلك

﴿ يوم ارماث ﴾

في هذا اليوم عبرت الفرس نهر العقيق ورتب رسم جيشه وجعل في القلب ثمانية عشر فيلا وفى المجنبتين ثمانية افيال وجعل بريدا بينه و بين « يزدجرد من الرجال » ورتب سعد جيش المسلمين وتلي سورة الانفال فوقعت السكينة فى قلوبهم ولكن الفيلة صنعت في هذا اليوم (ببجيلة) ماصنعت حتى نفرت منها الخيل فقال سعد (من للفيلة) فتدافعت بنو اسد بالنبل عن بجيلة حتى عوت الفيلة

يوم اغواث

وفي هذا اليوم حضرت مقدمة مدد جيش الشام وعلى رأسهم (القعقاع) بن عمر التميمى فاقتتلوا بالسيوف ولم تقاتل الفيلة فى هذا اليوم لتكسر توابتها في يوم ارماث واستمر القتال حتى انتصف الليل وتسمى ليلة السواد وكان عدد القتلى والجرحى من المسلمين الفين ومن الفرس عشرة آلاف

يوم عماس

وفى هذا اليوم اصطف جيش الفرس ومعه الفيلة محفوظة بالرجال خونا من قطع اوضانها وقد اتى (هاشم بن عتبة)ببقية جيش الشام فالتحم القتال ولم تنفر خيل المسلمين من الفيلة وكان يوما شديدا الا ان الطائفتين فيه سواء وكادت الفيلة ان تصنع بالمسلمين ما صنعت فى يوم ارماث لولا ان سعدا امر (القعقاع وعاصم بن عمر) ان اكفيان الابيض وكان بازائهما فقتلاه وامر (اسديين) ان اكفيان

الاجرب فقطعا مشفره وفقئت عينه فانهزم وتبعته الفيله حتى اخترقت صفوف الاعاجم وقصدت المدائن واقتتلوا لياليه وتسمى « ليلة الهرير » واصبحوا على ذلك ويسمى يوم القادسية فاقتتلوا الى الظهيره وقد وصلت كتائب المسلمين الى العقيق ثم هبت ريح شديده فاقتلعت خيمة رستم فاستظل ببغال تحمل مالا للانفاق فقتله هلال بن علقمة وصعد سريره وقال قتلت رستم ورب الكعبة الى واهزمت الفرس واخذ ضرار بن الخطاب رايتهم فعوض منها ثلاثين الفا وكانت قيمتها اكثر من ذلك وقتل من الاعاجم عشرة آلاف ومن المسلمين ستة آلاف سوى الهزن وخمسمائة وجمع سعد من الاسلاب والاموال مالم يجمع قبله ولا بعده مثله وكتب سعد الى عمر بالفتح وبمن اصيب من المسلمين وكان عمر شديد التطلع الى اخبار فتح القادسية حتى كان يخرج الى ظاهر المدينة يسأل الركبان حتى وقت الظهيره ثم يرجع الى اهله وكان هذا الفتح العظيم سنة ١٤ هـ وقيل سنة ١٥ وقيل سنة ١٦ هـ

فتح بابل والمدائن

ولما انهزم اهل فارس بالقادسية (قرية قرب الكوفة) انتهوا الى بابل (مدينة قديمة شرق الفرات) وفيهم بقايا الرؤساء منهم (الفيرزان — والهرمزان) وقد اقام سعد بعد فتح القادسية شهرين بها وسار بأمر عمر الى المدائن فعبر الفرات وقاتل من تجمع

من الفرس ببابل فلم تلبث الا ساعة حتى انهزمت وهرب الفيرزان الى (نهاوند) والهرمزان (الى الاهواز) وقصد بقية المنهزمين (المداين) (قاعدة ملك كسرى شرقيه وبها ايوان كسرى وغربيه وسميت بالمدائن لكبرها واقعه على دجله جنوب بغداد) فتبعهم المسلمون حتى رأوا الأبيض (ايوان كسرى) فنادى ضرار بن الخطاب (الله أكبر هذا ابيض كسرى هذا ما وعد الله وصدق رسوله وحاصر سعد المدائن ولما اشتد الحصار عليها تركها يزدجرد (كسرى العجم) وتوجه الى حلوان (واقعة شرق بغداد على نهر من الدجله) فدخلها المسلمون واصابوا ما فيها من الغنائم وكانت من اعظم المدن ثروة وتجاره ثم دعا سعد الدهاقين الى الاسلام او الجزيه ولهم الذمه فلم يبق غربي دجلة سوادي الا آمن وجعلوا قصر كسرى مسجدا ولما دخله سعد قرأ قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز) الآية ثم ارسل سعد هاشم ابن اخيه الى حلوان فافتتحها وفر كسرى الى الري ولا زال جيش سعد يجول ببلاد فارس حتى فتح بلاد (تكريت (من مدن الجزيرة على نهر الدجله) — (ونينوى والموصل) — (بلدان بالجزيرة على نهر الدجله) والاهواز — (مدينة بأقليم خوزستان الواقع شرق العراق العربي) — واصفهان (مدينة شرق الاهواز) وهمزان (من مدن أقاليم الجبل في الجنوب الغربي من طهران) وآذربيجان — (أقاليم غرب بحر الخزر قاعدته الآن تبريز) والري — (من مدن الديلم جنوب بحر الخزر) وجرجان — (مدينة بأقليم جرجان

الواقع جنوب تركستان) — وقزوين (في اعالي فارس وهي ثغر الديلم) وطبرستان (تلي الديلم شرقا واقعه على بحر الخزر) وغيرها

فتح نهاوند

اجتمع الفرس وعقدوا النية على اخراج العرب من بلادهم فجيش يزدجرد جيشا عظيما من خراسان وما يليها وأرسل سعد الى أمير المؤمنين يخبره بصنع الفرس ثم استقدمه عمر الى المدينة بشكوى حصلت من بعض المسلمين في شأنه وولى النعمان بن مقرن وأصحبه بكثير من رؤساء العرب فسار النعمان حتى التقي بجيش العجم بقرب نهاوند (مدينة من اقاليم الجبل جنوب همذان) وكان عدد جيش الفرس ماية وخمسين الفا يقوده الفيرزان فاقتتلوا أشد من قتال القادسيه ثم انهزم الفرس شر هزيمة ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك وكان ذلك سنة ١٨ هـ

الانسياح ببلاد العجم

ولما فتح المسلمون الاهواز واسروا الهرمزان وبعثوا به الى عمر مع الاحنف بن قيس فقال الاحنف يا أمير المؤمنين منعتنا من الانسياح في بلاد فارس ولا يزال أهل فارس يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلو اذنت بالانسياح في بلادهم فازلنا مليكهم انقطع رجاؤهم

فقال عمر صدقتني والله وصمم على اتباع مشورته فنفذها بعد فتح نهاوند حيث بعث أبي موسى الاشعري أميره بالبصرة مع سهيل بن عدي بالوية الامراء الذين يسيرون ببلاد العجم فكان لواء خراسان (أقليم من أخصب بلاد المشرق وأوسعها واقع جنوب خوارزم وبلاد الغز في تركستان وفي الشمال الغربي لبلاد السند) بيد الاحنف بن قيس ولواء ازدشيرخوه (كورة من فارس وقصبتها جور ينسب اليها الورد الجوري وبها مدينة شيراز) ـ وسابور (اصغر كورة بفارس ومن مدنها كازرون) بيد مجاشع بن مسعود ولواء اصطخر (كورة من كور فارس وقصبتها اصطخر) بيدعثمان بن العاصي الثقفي ولواء فساو درابجرد (كورة ببلادفارس في الجنوب منها) بيد ساريه بن زنيم الكناني الذي ناداه عمروهو يخطب بالمدينة بقوله ياسارية الجبل ولواء كرمان (اقليم شرق فارس وغرب سجستان ومكران وشمال البحر الفارسي) بيد سهيل بن عدي ولواء سجستان (في شمال مكران وبينها وبين السند من الشرق مفازه) بيد عاصم بن عمر ولواء كرمان (أقليم شرق كرمان وجنوب سجستان) للحكم بن عمير فساروا ببلاد العجم وفتحوا تلك البلاد الشاسعة الاطراف والجأوا يزدجرد الى الاستغاثة بملك الصين وخاقان الترك فلم يجبه ملك الصين وأجابه خاقان الترك اولا ثم خاف على ملكه من العرب فتنحى عنه وذهب يزدجرد ونزل بأرضه بعهد منه

ولم يزل موجودا حتى قتل في خلافة عثمان رضى الله عنه وبذلك تم فتح معظم بلاد فارس التى كانت من أقوى دول الارض واعظمها منعة وثروة وكان ذلك وعدا من الله ورسوله للمسلمين.

(فتح مصر)

كان من حال المصريين تحت حكم الرومان ان الزموا التدين بالديانة المسيحيه وكانت من نصيب هرقل ملك القسطنطينيه وقد اذاقهم الرومان من الجور والعذاب مالا قدرة لهم على تحمله ولذلك فرح المصريون بدخول المسلمين وقبلوا عقد الذمه ولما فرغ هرقل وفر من المسلمين بأرض الشام أخذ في تحصين مصر واقامة القلاع عليها خوفا من تطلع المسلمين اليها وكان عمرو بن العاص قدجاءها زمن الجاهليه وعلم بثروتها ولين أهلها فاستأذن عمر بن الخطاب في غزوها بعد فتح بيت المقدس فأغزاه في أربعة آلاف فتوجه الى مصر سنة ٢٠ ه ولما دخلوا أرضها وساروا في قرى الريف لقيهم الجاثليق ابو مريم ومعه الاسقف بعثه المقوقس الى عمرو فدعاهما الى الاسلام أو الجزية وأخبرهما بما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم حيث قال (انكم ستفتحون مصر وانها ارض يسمى فيها القيراط فاذا افتحتموها فاحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما أو ذمة وصهرا) فقالا آمنا حتى نرجع اليك فقال مثلي لايخدع ولكنى أوجلكما ثلاثا لتنظرا فرجعا الى المقوقس وارطبون أمير الروم فأبى من ذالك ارطبون وعزم

على الحرب وبيت المسلمين فهزموهم وساروا بطريق الصحراء حتى أتوا بلبيس فحاصروها وقد أمده عمر باربعة الاف آخر فاستولى عليها وكانت بها ارمانوسه بنت المقوقس فسيرها الى ابيها بعد الفتح ثم سار بجانب المقطم حتى وصل عين شمس (المطرية) فحاصرها

ولما ابطأ الفتح أمده عمر بأربعة الاف فيهم الزبير بن العوام ـ والمقداد بن الاسود ـ وعباده ابن الصامت وكتب اليه (ان تغلب اثنا عشر الفا من قلة) وبعد مدة من حصارها رضى أهلها بالصلح على اعطاء الجزية ورد السبايا وأجروا ما أخذ قبل ذلك عنوه مجرى الصلح وأرسل عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين بذلك فاقره على صنعه وكتب لهم عمرو بذلك كتابا جاء فيه (هذا ما اعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الامان على انفسهم ودمهم واموالهم وكنائسهم وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزيه اذا اجتمعوا على هـذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف وعليه ممن جنى نصرتهم وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنواب فله مالهم وعليه ماعليهم ومن ابى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ويخرج من سلطاننا عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفه أمير المؤمنين وذمم المؤمنين) وقد دخل في ذلك أهل مصر وقبلوا الصلح ونزل المسلمون الفسطاط (مصر القديمـه) وبنى عمرو بن العاص جامعه المضاف اليه

(فتح الاسكندريه)

بعدان تم فتح عين شمس توجه عمرو بن العاص الى الاسكندرية ولما كان بها كثير من جيش الروم وكانت تحميها حصون منيعة ويأتى لها المدد من القسطنطينيه بحرا بدون عائق ابطأ فتحها وقد حاصرها عمرو بجيشه ثلاثة أشهر وقيل سته ثم فتحها بعد ذلك عنوه وكتب الى عمر يخبره بذلك ويصفها له وفى اثناء حصارها مات هرقل هما وغما عليها وقد هاجت الروم بعد ذلك بالقسطنطينيه وعزموا على محاربة العرب فبعثوا جيشا عظيما يمخر به اسطول قوي فلم يتمكنوا من شيء وعادوا بالخسران المبين

(فتح دمياط)

لما كانت دمياط من الثغور المهمه على البحر الابيض المتوسط وكان الهاموك أحد اصهار المقوقس حاكما بها ولم يقبل الصلح واستعد لمحاربة المسلمين أرسل اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في جيش فحاربهم الهاموك ثم استشار أهل الرأي من دمياط فأشار عليه أحدهم بالصلح حقنا للدماء وحفظا للاموال محتجا بفتوحات الاسلام وتدويخه الدول العظام فغضب عليه وقتله وقد كان للهاموك ولد عاقل اسلم وأرشد جيش المسلمين على مسالك البلد فدخلوها ولما رأى الهاموك جيش المسلمين مكبراً على سورها طلب الامان والصلح

فأمنه المقداد وأخبر عمرا بذلك

هذا ولما تم فتح مصر تولى عمرو بن العاص الامارة عليها فسلك مسلك العدالة وباشر أسباب الراحة للرعيه فحسن حالهم ورغبوا في حكمهم لما رأوه من البون الشاسع بين حكم الروم والمسلمين ولا زال عمرو واليا على مصر حتى عزله عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما فى خلافته ومن اعماله تخطيط مدينة الفسطاط (مصر القديمه) وحفر الترعة المعروفه بخليج امير المؤمنين لتنقل بواسطها الاقوات الى بلاد العرب وفي اثناء ولايته على مصر فتح برقه صلحا وطرابلس عنوه في سنة ٢١ هـ وأخبر عمر بذلك وطلب غزو افريقيه (تونس) فنهاه عمر رضى الله تعالى عنه عن ذلك

(مقتل عمر)

كان للمغيره بن شعبه غلام يكنى بأبى لؤلؤة فشكي مولاه لامير المؤمنين ولما لم تصادف شكواه قبولا توعده فقال عمر رضى الله عنه توعدني العلج فلما أصبح خرج امير المؤمنين الى الصلاة بغلس وسوي الصفوف على عادته وقد دخل أبو لؤلؤه في الناس خفيه وبيده خنجر برأسين فضرب عمر ثلاث طعنات بعد الشروع في الصلاة وصار لايمر على أحد الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فظن العلج أنه مأخوذ فنحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه

الى الصلاة واحتمل الى بيته ولما أحس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشه واقرأها مني السلام واستأذنها أن اقبر في بيتها مع رسول الله وأبي بكر فأتاها عبد الله بن عمر وأعلمها فقالت (نعم وكرامه) ثم قالت يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم فانني أخشى عليهم الفتنة نأخبر والده بذالك فدعا النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض وهم (علي بن ابى طالب وعثمان بن عفان ـ وطلحه بن عبيد الله ـ والزبير بن العوام ـ وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ـ) وكان طلحه غائبا وقال يامعشر المهاجرين الاولين اني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فان جاءكم طلحة والا فاقضوا أمركم ولا تتفرقوا من الثالث حتى تستخلفوا أحدكم وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة التي تتشاورن فيها فانه من الموالى لا ينازعكم امركم واحضروا معكم شيوخ الانصار وليس لهم من امركم شيء والحسن بن علي وعبد الله بن عباس فان لهما قرابه من رسول الله وارجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من امركم شيء ويحضر ابنى عبد الله مستشاراً وليس له من الامر شيء حتى قال ان استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فالخليفة فيهم وكذلك ان خالف اثنان فان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى بني عبد الله فلاى الثلاثة قضى فالخليفة منهم ثم اوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم وبالانصار خيرا واحذره مثل مضجعي هذا وأخوفه يوما تبيض فيه

وجوه وتسود وجوه يوم يعرضون على الله لاتخفى منكم خافية ثم غشى عليه فظنوا انه قد قضى عليه فنادوه وهو لايفيق من اغمائه فقال قائل ان كان شىء ينبه فالصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه وقال الصلاة هأناذا ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثعب دما ثم التفت اليهم ووصفهم بما فيهم وقال قد قومت لكم الطريق فلا تعرجوه اخرجوا عنى ودعا لهم بقوله (اللهم افهم وأجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وول امر أمة محمد خيرهم) فخرجوا من عنده وتوفى رحمه الله تعالى عقب العهد ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذى الحجه سنة ٢٣ ه وذلك لعشر سنين وستة اشهر من خلافته وصلى عليه صهيب ودفن كما أوصى فرحمه الله امين

(اعماله وسياسته)

من اعماله اختطاط الكوفة (غرب الفرات) والبصرة مأوى للجيش وقواده وانشأ التاريخ الهجرى والبريد وتدوين الدواوين وفرض العطاء على قاعدة السابقة فى الاسلام وتوسيع المسجد الحرام والنبوى هذا أما سياسته فقد كانت دائرة على محور الانصاف والعدل بين طبقات الرعيه يدلك على ذلك حديث جبلة بن الايهم مع الفزاري وكان يرى الشدة فى نفسه فلم يقبل ان يكون عماله كذلك فاختار عما لا نبتت قلوبهم في الرفق واللين فرغبت الرعية في حكمه واتسع نطاق الاسلام فى خلافته وقد حفظ التاريخ لعمر بين الاجناس

والاديان مالم يحفظه لأحد وكان كثير التطلع لاحوال الرعية شجاعاً مهابا قام باعباء الخلافة خير قيام فرحمه الله رحمة واسعة . . .
وأرشد أولياء الامور الى احياء نهج عدالته

(خلافة عثمان)

هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموى وكنيته ابو عمرو ويلقب بذى النورين ولد رضى الله عنه في السنه الخامسه من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وشب على الاخلاق الكريمه والسيرة الحسنة حيا عفيفا وكان تاجرا غنيا أسلم على يد الصديق رضى الله عنهما وزوجه النبي بنته رقية وهاجر بها الى الحبشه ثم الى المدينة وحضر المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الا بدر التمريض زوجه واسهم له النبي صلى الله عليه وسلم في غنيمتها ثم زوجه بنته الثانيه أم كلثوم بعد وفاة رقية وكان ممن عفا الله عنهم فى أحد وكان سفيرا بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش فى صلح الحديبية وأنفق على جيش العسرة ما لم ينفقه غيره واشترى بئر رومه وقد كانت ليهودى يبيع ماءها للمسلمين فساومه عثمان عليها بثلاثين الف درهم وتصدق بها على المسلمين وزاد من ماله في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولما اصيب المسلمون بقتل عمر كانت اغلبة الشورى له فبايعه الناس كافة في اليوم الثالث من وفاة عمر سنة ٢٣ هـ وصعد المنبر فقال (الحمدلله أيها الناس اتقوا الله ان الدنيا كما

اخبر الله عنها لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور فخير العباد فيها من عصم بالله واستعصم بالله وبكتابه وقد وكلت من امركم بعظيم لا أرجو العون عليه الا من الله ولا يوفق للخير الا الله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب) ثم ولى لوقته سعد بن ابى وقاص على الكوفة بوصاية من عمر حيث قال لم اعزله عن سوء ولا خيانة بعد عزل المغيرة وبعد سنة من تولية سعد عزله لخلاف بينه وبين عبد الله بن مسعود وال الخراج

فتوحاته (افريقية)

في سنة ٢٥ هجريه غزا عبد الله بن سرح بأمر من أمير المؤمنين افريقيه (تونس) وقت ولاية عمرو بن العاص على مصر وقال له ان فتح الله عليك فلك خمس الخمس فسار اليها فى عشرة الاف وصالح أهل سواحلها على مال يؤدونه ولم يتمكن من التوغل فيها لكثرة اهلها وفى سنة ٢٦ ه عزل أمير المؤمنين عمرو بن العاص عن ولاية مصر واستعمل مكانه عبد الله بن ابي سرح اخاه من الرضاعة وفيها استأذن أمير المؤمنين في غزو افريقيه ثانيا فاستشار عثمان رضى الله عنه الصحابة في ذلك فاشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيهم ابن عباس وابن عمرو ابن عمرو بن العاص والحسن والحسين وابن الزبير

وساروا مع عبد الله بن سرح حتى التقوا بعقبه بن نافع نيمن معه
من المسلمين ببرقة ولا زالوا سائرين حتى وصلوا افريقيه (تونس)
وبثوا السرايا فى كل ناحية وكان ملكها من قبل الروم واسمه جرجير
يملك من طرابلس الى طنجه ويحمل الخراج الى هرقل ملك الروم فلما
بلغه خروج المسلمين جمع جيشا عظيما واقيهم على يوم وليلة من (سبيطلة)
عاصمة ملكة واقاموا يقتتلون هناك بعد أن دعوه للاسلام أو الجزيه
فاستكبروا بى ولما ابطأ الفتح أمدهم عثمان امير المؤمنين بجيش يقوده
عبد الرحمن بن الزبير واستمروا يقتتلون أياما حتى أشار عبد الله بن الزبير
على عبد الله بن ابى سرح أن يترك جماعة من ابطال المسلمين متأهبين
للحرب ويقاتل الروم بباقى العسكر الى ان يضجروا ثم يركب عليهم بالاخرين
على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ففعلوا ذلك فانهزموا وقتل كثير منهم
وقتل عبد الله بن الزبير ملكهم جرجير واخذت ابنته فنفلها ـ ابن الزبير ثم
حاصروا سبيطله ففتحوها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار
وسهم الراجل الفا ثم بث جيوشه في البلاد فسبوا وغنموا ثم صالحه
أهل افريقيه على الفي الف وخمسمائه دينار وأرسل عبد الله بن ابى
سرح (ابن الزبير) بالفتح والخمس الى المدينة فاشتراه مروان
بن الحكم من عثمان بخمسمائه الف دينار ثم رجع عبد الله بن ابى سراح
الى مصر بعد سنة وثلاثة اشهر وتولى على افريقيه عبد الله بن نافع

فتح قبرص

كثيرا ما كان معاوية بن ابى سفيان يميل الى غزو البحر وفتح قبرص وقد كتب الى عمر يستأذنه في ذلك فكتب عمر الى عمرو بن العاص ان صف لي البحر وراكبه فكتب اليه (هوخلق كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد فلق القلوب وان تحرك افزاع العقول يزداد فيه اليقين قلةوالشك كثرة راكبه دود على عود ان مال غرق وان نجا برق) فكتب عمر الى معاويه والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا ولما تولى عثمان الخلافه وآل الشام كله لمعاويه الح على عثمان في غزو البحر فأجابه على اختيار الناس فرغب جماعة من الصحابة منهم ابو ذر وابو الدرداء وعباده بن الصامت وزوجه أم حرام التى سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرها بذلك فتوجهوا سنة ٢٨ هـ واستعمل عليهم معاوية عبد الله بن قيس وساروا الى قبرص وجاءهم عبد الله بن ابى سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار كل سنه وكانوا يدفعون مثلها للروم ولا منعه لهم على المسلمين وان يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم

تتميم فتح فارس

بعد أن فتح المسلمون الجزء الاعظم من يلاد فارس فى خلافة

عمر رضى الله تعالى عنه جعلوا ادارتها قسمين قسم يتبع ولاية الكوفه والآخر يتبع البصره ولا زالت تحت حكم الاسلام على هذا الحال حتى تولى الخلافه عثمان رضى الله تعالى عنه فولي على الكوفه سعد بن ابى وقاص بوصايه من عمر رضى الله تعالى عنه كما تقدم ذلك وبعد سنة من خلافته عزله وولى الوليد بن عقبه بن ابى معيط الاموى سنة ٢٥ هـ وأقر أبا موسى الاشعري على ولاية البصره الى سنة ٢٩ هـ ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعه بن عبد شمس — واما انتفض أهل فارس عزم الوليد بن عقبه على استرجاع ما انتقض من البلاد التابعه لولايته فغزا أهل آذربيجان وصالحهم على ثمانمائه الف درهم وسير سلمان بن ربيعه الباهلي الى أهل ارمينيه فى اثنى عشر الفا فقهرهم ورجع الى الوليد بغنائمهم وأقام الوليد واليا على الكوفه خمس سنين وفي نهايتها اتهم بشرب الخمر فعزله عثمان عن امارتها وجلده حد الشرب وأمر سعيد بن العاص بدله وفي عهده سار الى طبرستان ومعه الحسن والحسين ابناء علي رضى الله تعالى عنهم وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن الزبير وحذيفه بن اليماني رضى الله تعالى عنهم فقاتل اهلها ثم طلبوا الصلح وذلك فى سنة ٣٠ هـ وفى السنة الثانيه والثلاثين غزا عبد الرحمن بن ربيعة الترك واوغل فى سيره فتجمع عليه الترك والخزر وقاتلوه قتالا شديدا حتى قتل وتفرق جيشه ثم أتى سعيد بن العاص جرجان فصالحوه على مائتى الف هذا — اما عبد الله بن عامر والي البصره

فقد توجه بجيش عظيم الى اصطخر حينما انتقضوا ففتحها عنوه بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمه ثم توجه الى درابجرد وجور وقد غدر أهلهما ففتحها ثم عاد الى اصطخر وقد انتقضت ثانيا فحاصرها طويلا ورماها بالمجانيق وقتل كثيرا من اكابر القوم بها ووطأ اهل فارس وطأه لم يزالوا منها فى ذل وكتب الى عثمان بالفتح —

وفى السنه الثانيه والثلاثين اشار المسلمون على عبد الله بن عامر بغزو خراسان وكانوا قد نقضوا بعد موت عمر رضى الله تعالى عنه فتجهز وسار الى نيسابور (عاصمة خراسان) ففتحها بعد ان حاصرها اشهرا وبعث السرايا فى انحائها ففتحو مدن قهستان — واسفراين وبيهق وسرخس — وطوس — وبلخ واجتهد الاحنف بن قيس من قواد جيش عبد الله بن عامر فى فتح خوارزم (الواقعه على نهر جيحون) فلم يتمكن من فتحها وعاد عنها وعند ما توجه الى خراسان بعث مجاشع ابن مسعود السلمى الى كرمان فدوخ اهلها وفتح معظم بلادها عنوه وبعث الربيع بن زياد الى سجستان ففتحها صلحا وتتابع الفتح فى ولاية ابن عامر حتى وصل مدينة كابل (عاصمة الافغانستان الآن) ولما تم فتح بلاد فارس وخراسان وكرمان وسجستان فى ولاية عبد الله بن عامر قال له الناس مافتح الله على احد مثل ما فتح عليك فقال لاجرم لاجعلن شكرى لله على ذلك ان اخرج محرما من موقفى هذا فاحرم بعمره من نيسابور وبهذا عاد من انتقض من اهل فارس وفتح منها مالم يفتح فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه

﴿ مقتل عثمان ﴾

لما استكمل الفتح وذل العدو وتم الملك للدولة الاسلامية ونزل العرب بالامصار وكانت الرياسة للمهاجرين والانصار لسابقة الاسلام واختصاصهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكان من عداهم من سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وربيعة والازد وكنده وتميم وقضاعة له قدم في الفتوحات الاسلامية وكانوا يرون ذلك لانفسهم تحركت عروق الجاهلية فيهم وأنفت نفوسهم من رياسة المهاجرين والانصار عليهم ووافق ذلك أيام عثمان فاخذوا يطعنون على ولاته بالامصار حتى سألوه عزلهم واكثروا من ذلك فارتاب أمير المؤمنين وبعث الى الامصار من يأتيه بصحيح الخبر فأرسل محمد ابن مسلمة الى الكوفة وأسامه بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر وغيرهم الى سواها فرجعوا اليه وقالوا ما رأينا عليهم شيئاً الا عماراً حيث ثبطه عن المسير الى المدينة قوم من الاشرار يرؤسهم عبد الله بن سبأ كان يهودياً أسلم ولم يحسن اسلامه وكان يقول أن عثمان أخذ الامر بغير حق وأنكروا على عثمان خروج أبي ذر من الشام الى المدينة ومنها الربذة (من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عرق وبها قبره خربت سنة ٣١٩ هـ) واعطاء مروان بن الحكم خمس غنائم أفريقيا وقيل أنه باعه له بخمسمائة ألف دينار) وزيادة النداء على الزوراء يوم الجمعة واتمامه الصلاة بمنى وعرفه وسقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يده في بئر أريس

(على ميلين من المدينة) ولم يوجد — ولما كثر الطعن فى الامصار على الولاه وتواتر بالمدينة وكثر الكلام في عثمان اجتمع الناس الى علي بن أبي طالب وكلموه وعددوا عليه ما نقموه فدخل على عثمان وذكر شأن الناس وذكره بفعال عمرو شدته ولينه هو لعماله وتكالما طويلا وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك وافترقا فخرج عثمان وخطب وعرض بطعن الناس عليه وأنهم تجرؤا عليه لرفقه بما لم يتجرؤا بمثله على ابن الخطاب ووافقهم برجوعه فى شأنه الى ما يقبلهم وكتب الى أهل الامصار (انى مذ رفع الى أهل المدينة أن عمالى وقع منهم اضرار بالناس أمرتهم بان يوافونى كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ بحقه منى أو من عمالى أو تصدقوا فان الله يجزى المتصدقين) وبعث الى عماله بالامصار فقدم عليه عبدالله بن عامر وابن ابى سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاصي وعمرا وقال ويحكم ما هذه الشكاية وانى لا خشى أن يكونوا صادقين ثم قال ان الامر كائن وبابه سيفتح ولا أحب ان يكون لا حد علي حجة في فتحه ثم قدم المدينة وعرض عليه معاويه الخروج الى الشام فقال لا ابتغي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا فقال أبعث اليك جندا فقال لا أضيق على جوار رسول الله فقال لتغتالن ولتعرين فقال عثمان حسبى الله ونعم الوكيل ثم سار معاويه الى الشام بعد ان أوصى عليًا وطلحة والزبير بعثمان وقال انى قد خلفت فيكم شيخًا فاستوصوا به خيرا وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك

أما أهل الامصار المنحرفون على عثمان فانهم لم يرتدعوا عن غيهم وبعث اليهم المنحرفون بالمدينـة يقولون لهم أقدموا علينا فان الجهـاد عندنا فاتعدوا ان يخرجوا فى شوال مظهرين الحج فخرج المصريون فى ألف وكذلك البصريون والكوفيون ولما كانوا من المدينة على ثلاث مراحل تقدم ناس من البصرة ونزلوا ذا خشب ومن الكوفة ونزلوا الاعوص ومعهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذى المروة وذهب من الكوفيين زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم الى المدينـة ولقيا عليا وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين وأخبروهم انهم انمـا أتوا للحج وأن يستعفوا من بعض العمال ويطلبوا دخول المدينة فمنعوهم ولمـا رجعوا الى أصحابهم وكانت أهواؤهم مختلفة فيمن يلي الخـلافة بعد عثمان تشاوروا فى ان يذهب وفود من الامصار الثـلاث الى من يبتغون خلافته فاتى المصريون علياً وهو فى عسكر عند احجار الزيت (وقد بعث ابنه الحسن فيمن اجتمع عليه الى عثمان) فعرضوا عليـه أمرهم فصاح بهم وطردهم وقال ان جيش ذي المروة وذى خشب والاعوص ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـد علم ذلك الصالحون واتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثـل ذلك ثم انصرفوا واظهروا الرجوع الى بلادهم حتى تفرق جيش المدينة ثم لم يشعروا الا والتـكبير فى جهاتها وأحاطوا بدار عثمان ونادوا بامان من كف يده واستمروا على ذلك حتى منعوه الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل الى على وطلحة والزبير فحضروا وأشرف

عليهم وأجلس المحاصر والمسالم وخطبهم خطبة دافع فيها عن نفسه فرد عليه الثائرون ردا شديدا نسكت عثمان وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا الا الحسن — والحسين بنى على — وعبدالله ابن عباس — ومحمد بن طلحة — وعبدالله بن الزبير وكره اميرالمؤمنين ان يحدث قتال بالمدينة حتى كان ينهى اهل بيته عن تجريد السلاح

وقد قام علي رضي الله تعالى عنه بالذب عن عثمان خير قيام ولكن كلما ارادرأب ثلمةفتقها نفر من بنى أمية ولم يكن يظن ان الامر يصل الى ما وصل اليه من قتل امير المؤمنين وبعد مضى ثمانية عشر يوما من بدء الحصار وصل الى الثائرين الخبر بمسير الجنود من الامصار لنجدة عثمان فاشتد الحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء فركب على بغلس ونهاهم عن ذلك وخرجت عائشة حاجة وقدسئمت المقام بالمدينة وطلبت من اخيها محمد ان يتبعها فابى وكان من المنحرفين على عثمان وامر عثمان ابن عباس ان يحج بالناس فقال قتال هؤلاء أحب الى من الحج فعزم عليه الا ما اطاع فخرج وكتب معه كتاباً يعلم المسلمين لامره ولما رأى أهل مصر ان اهل الامصار يسيرون اليهم عزموا على قتل عثمان فمنعهم من الدخول الحسن ومن معه وقاتلوهم فصدهم عثمان عن القتال واقسم علي الحسن شفقة عليه فابى وقد دافع عنه اكثر من غيره ثم اقتحمت الدار من ظهرها ولم يشعرمن بالباب من المدافعين وحاوروه في الخلع وكان من بينهم محمد بن ابي بكر ثم استحى وخرج تائباً ولما ابى عثمان دخل عليه السفهاء وقتلوا ظلما وعدواناً تلك النفس

الزكية الطاهرة التى شهد لها رسول الله بالجنة وحينما علم على وطلحة والزبير ومن كان بالمدينة من اكابر الصحابة دخلوا عليه الدار وقال على لولديه كيف يقتل أمير المؤمنين وانتما بالباب ولطم الحسن وضرب الحسين وأغلظ القول لمحمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير وبقى في بيته ثلاثة أيام ودفن بين المغرب والعشاء وصلى عليه جبير وذلك لثمانية عشر خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية وعمره اثنان وثمانون سنه وكان هذا أول ما ظهر من الفتن التى كان النبى يحذر امته منها ولكن ما يمنع حذر من قدر

أعماله

من اعماله رضى الله تعالى عنه جمعه الناس على مصحف واحد بعد ان اختلف اهل الامصار فى القرآن وذلك انه ارسل الى حفصه ان ابعثى الينا الصحف (كانت هذة الصحف كتبت ايام ابى بكر باشارة من عمر رضي الله عنهما لما كثر القتل في القراء يوم اليمامة فكتبها زيد بن ثابت وحفظت عند الصديق ثم عمر ثم حفصه) فاخذها وامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الله بن الحرث بن هشام ان ينسخوها في المصاحف ففعلوا وبعث الى كل مصر بمصحف يعتمد عليه وان يحرق ما سوي ذلك في سائر الامصار ورد الصحف الى حفصه

وزيادته فى المسجد الحرام سنة ٢٦ هـ وتوسيع مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وبنائه بالحجر والجص سنة ٢٩ وكان رضي الله عنه

طيب الخلق كثير الحلم شديد الحياء محسناً تقياً ولعاً بتلاوة القرآن شديد الرفق فرحمه الله رحمة واسعة

خلافة علي رضي الله عنه

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب الخلفاء اليه وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشمياً اسلمت وهاجرت وكنيته ابو الحسن وابو تراب كناه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في السنة الثانية والثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولما ارسل عليه السلام كان على دون البلوغ فاهتدى الى الاسلام ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فداه بنفسه ونام على فراشه شهد مع رسول الله جميع غزواته الا غزوة تبوك حيث استخلفه على المدينة وقال له اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وهو اول من بارز يوم بدر وثبت يوم احد وعلى يديه فتحت مدينة خيبر وفيه تحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم (لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) واحد العشرة المبشرين بالجنة واخو النبي بالمؤاخاة زوجه بنته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة فجاء منها بالحسن والحسين وزينب وام كلثوم وله من غيرها اولاد كثيرة

ولما قتل عثمان وظل المسلمون حيارى لا يجدون لهم ملجأ ولم يكن

امامهم من يصلح للخلافة بعده الا عليا اجتمع طلحة والزبير ومعظم المهاجرين والانصار واتوا عليًا يبايعونه فأبى وقال التمسوا غيرى فانا مستقبلون امرا له وجوه وله الوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فناشدوه الله والدين فقال واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم وان تركتمونى فانما انا كأحدكم الا اني من اطوعكم واسمعكم لمن وليتموه فأبوا الا اياه وبايعوه وكان أول من بايعه طلحة والزبير (ويقال ان العامة اكرهتهما على المبايعة) وتخلف عن مبايعته جمع منهم سعد بن ابى وقاص وعبدالله بن عمر وأسامة والمغيرة وأبو سعيد الخدرى وحسان بن ثابت وذلك لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ هجريه

ولما رأى ان بيعته تمت ولزمت من تأخر عنها ببيعة من اجمع عليها قام فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال (ايها النـاس ان الله انزل كتابًا هاديًا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرىء مسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة أحدكم الموت فان الناس امامكم وانما خلفكم الساعه تحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس اخراهم اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا

رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض) ثم نزل وجاءه طلحة والزبير وقالا أتم الحدود على قتله عثمان فقال لا قدرة لى على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الامور فتؤخذ الحقوق وهرب مروان وبنو امية ولحقوا بالشام ثم نادى في اليوم الثالث برجوع الاعراب الى بلادهم فأبوا حتى تستبدل العمال وكان من رأى المغيره استبقاء العمال حتى يستقر الامر فجنح على الى استبدال العمال لوقته حتى ينقطع حبل الفتن ولكن اراد الله ان يكون هذا باب فتن جديدة فبعث الى البصرة عثمان بن حنيف الانصاري والى الكوفة عماره بن شهاب من المهاجرين والى اليمن عبيد الله بن عباس والى مصر قيس بن سعد بن عباده والى الشام سهيل بن حنيف فمضى عثمان الى البصرة ولم يرده عنها احد اما عماره بن شهاب فرده الكوفيون وقالوا لا نرضى بابى موسى الاشعرى بدلا ومضى عبيدالله بن عباس الى اليمن فجمع يعلي بن منيه مال الجبايه وخرج منها الى مكة ودخلها عبيدالله ومضى قيس بن سعد الى مصر فدخلها واظهر امره فافترقوا عليه فرقة معه واخرى تربصت ما يفعل بقتله عثمان واقامت بخربتا (من اعمال البحيرة) وعددها عشرة آلاف وتسمى العثمانية اماسهيل بن حنيف فتوجه الى الشام فلقيته خيل بتبوك وقالت له ان كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع ولما جاءت الاخبار الى على من الجهات دعي طلحة والزبير وقال قد وقع ما كنت احذركم فاستأذنوه في الخروج من المدينة وكتب الى

ابي موسى الاشعرى فأجابه بطاعة أهل الكوفة وكتب الى معاويه فلم يجبه الى ثلاثة اشهر وامتنع من مبايعته واحتج على خلافته بانه ظن فيه الهواده فى نصرة عثمان على قاتليه ويرى ان له حقا عظيما في القصاص من القتلة ولم ير ذلك خروجا على الامام لانه رأى ان بيعة على لم تنعقد حيث لم تكن باجماع اهل الحل والعقد فأرسل اليه رجلا بطومار ليس فيه شي من الكتابة وعنوانه من معاويه الى على بن ابى طالب وامره ان يرفع الطومار اذا قدم المدينة ايذانا بالمخالفة ولما سأله على وقال له ما ورائك قال تركت قوما لا يرضون الا بالقود وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق فقال اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان قد نجى والله قتلة عثمان الا ان يشاء الله — ولما علم بذلك أهل المدينة بعثوا الى على زياد بن حنظلة وكان منقطعا اليه ليعلموا ماذا يصنع مع معاوية فقال له على سيروا لغزو الشام فقال زياد الاناءة والرفق امثل وانشد

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

فقال على (متى تجمع القلب الزكى وصارما وانفا حميا تجتنبك المظالم)

فخرج زياد فقالوا له ما ورائك قال السيف وقد عد على رضي الله تعالى عنه خلاف معاوية بغيا وخروجا على الامام وارسل الى اهل الامصار يستنفرهم لقتال معاوية وبينما هو على التجهيز للشام اتاه الخبر عن اهل مكة واتفاقهم مع طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين على مخالفته

﴿ واقعة الجمل ﴾

وذلك ان عائشة رضي الله عنها خرجت الى مكة للحج وكان عثمان محصورا فلما انتهت منه وعادت تريد المدينة اخبرت بقتل عثمان وبيعة علي رضي الله تعالى عنهما فقالت قتل والله عثمان ظلما ولا طلبن بدمه وانصرفت الى مكة وجاءها الناس فقالت ان الغوغاء من اهل الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم من كان قبله فتابعهم فلما لم يجدوا حجة ولاعذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام واخذوا المال الحرام والله لا اصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ولو ان الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه او الثوب من درنه فاجابها عبد الله بن عامر الحضرمي وكان عاملا بمكة لعثمان بقوله انا اول طالب وتبعه بنو اميه ثم قدم الزبير وطلحه ووافقا عائشة واستقر رايهم على التوجه الى البصرة لانهاض اهلها فركبت عائشة الجمل المسمى بعسكر وساروا حتى مروا على ماء الحوءب فنبحتهم كلابه وسألوا الهادى عن اسم الماء فعرفهم به فقالت عائشة ردونى سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه (ليت شعرى ايتكن تنبحها كلاب الحوءب) ثم ضربت البعير فاناخته واقامت يوما وليله حتى قيل النجاه النجاه قد ادرككم علي فارتحلوا نحو البصرة حتى اتوا فناءها وكتبت عائشة كتابا الى اشرافها تستنهضهم وانتظرت الجواب وجاءهم عثمان بن حنيف ومن معه فتكلمت عائشة رضى الله

تعالى عنها وشرحت فضل عثمان الى ان قالت الا وان مما ينبغي لكم
ولا ينبغي غيره اخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله ثم قرأت(الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب ليحكم بينهم)الآية
فاختلف اصحاب عثمان عليه ومال بعضهم الى عائشة وانحدرت بهم
الى مربض وجاءها جاريه بن قدامة السعدى فقال يا ام المؤمنين والله
لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة
للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت
حرمتك وانه من رأى قتالك يرى قتلك فان كنت اتيتنا طائعة
فارجعى الى منزلك وان كنت مكرهة فاستعينى بالله وبالناس على
الرجوع ثم اقبل حكيم بن جبلة على الخيل فانشب القتال ولا زال
أهل البصرة يمانعوهم تارة بالقتال وأخرى بالصلح على ان يبعثوا إلى
المدينة رجلا يعلمهم بصفة بيعة طلحة والزبير حتى حضر على بذى قار
ووافاه بها اهل الكوفة وقبائل العرب من كنانة وأسد وتميم والرباب
وبكر وتغلب وغيرهم فرحب بهم وقال لهم يا اهل الكوفة دعوتكم
لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فهو الذى نريد
وان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ولا ندع امرا فيه صلاح
الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله — ثم دعا القعقاع بن عمرو
وكان من فضلاء الصحابة فارسله الى اهل البصرة وقال له الق هذين
الرجلين فادعهما الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة(وقد اخبره على
فى الرأى فوجده اهلا لان يكون سفيرا) فقدم القعقاع البصرة وبدأ

بعائشه فقال لها يا أم المؤمنين ما أشخصك قالت أريد الاصلاح بين الناس قال فابعثي الى طلحة والزبير تسمعي منى ومنهما فبعثت اليهما فحضرا فقال لهما اني سألت ام المؤمنين ما اقدمها فقالت الاصلاح وبمثل ما قالت قالا قال القعقاع فأخبرانى ما هو الاصلاح قالا القصاص من قتلة عثمان فان تركهم ترك للقرآن فقال ان قتلتوهم اجتمعت ربيعة ومضر على حربكم فأين الاصلاح قالت عائشة فماذا تقول قال هذا الامر دوائه التسكين وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فقالوا قد اصبت واحسنت فارجع فان قدم على وهو على هذا الرأى صلح هذا الامر فاخبر عليا فاعجبه واشرف القوم على الصلح ثم خطب على فى الناس وامرهم بالرحيل من الغد وان لا يرحل معه احد ممن اعان على عثمان فارتحل حتى التقى بجيش طلحة والزبير وتحادث معهما وذكر الزبير بقول النبى صلى الله عليه وسلم (لتقاتلنه وانت ظالم) فرجع الزبير الى عائشة واعلمها بعزمه على عدم قتال على

ولما رأى السبئية الذين اثاروا على عثمان ان العاقبة تكون ضررا عليهم وان نتيجة هذا الصلح لا تكون ان تم الا على قتلهم اتفقوا على ان ينشبوا القتال بين الناس فاستعملوا السلاح بغلس بدون علم على ولما رأى البصريون ذلك قابلوهم بالمثل وكان رأى على وطلحة والزبير في تلك الفتنة ان لا يقتتلوا واركبت عائشة الجمل والبس هودجها الدروع واقتتل الناس حتى اصيب طلحة بسهم مات منه وذهب الزبير الى وادى السباع فتبعه رجل وقتله وهو يصلي واقتتل الناس

على الهودج حتى قتل على خطام الجمل كثير منهم سبعون من قريش
ولما راى على ذلك قال اعقروا الجمل يتفرقوا فعقر واجتمع القعقاع وزفر
ابن الحارث على قطع بطان الجمل وحمل الهودج وهو كانقنفذ من
كثرة السهام ووضعت الحرب اوزارها بانهزام البصريين ونادى على
الا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا دورا وامر بحمل
الهودج من بين القتلى وامر محمد بن ابى بكر ان يضرب عليه قبه وقال
انظر هل وصل اليها شيء من جراحة فوجدها سليمة وجاءها على
فقال كيف انت يا اماه قالت بخير يغفر الله لك قال ولك ثم انزلها
في دار خلف بن عبد الله الخزاعي وأذن في دفن القتلى بعد أن صلى
عليهم ودخل البصرة فبايعه أهلها وولى عليها عبد الله بن عباس وجعل
على الخراج زياد بن ابى سفيان ثم وجه امير المؤمنين عائشه الى المدينة
مع ار بعين امرأة من نساء البصرة وسير معها اخاها محمدا وكان
خروجها يوم السبت غرة رجب سنة ٣٦ هـ .

واقعة صفين

لما فرغ على من امر الجمل ارتحل الى الكوفة واتخذها مقرا
للخلافة وقد انتظم له الامر بالعراق ومصر واليمن والحجاز وفارس ولم
يبق الا الشام وفيه معاوية فأرسل اليه جرير بن عبد الله فامتنع حتى
تقتل قتلة عثمان حيث كانوا فخرج على يريد الشام لاجبار معاوية على
الدخول فيما دخل فيه الناس ولما علم بذلك معاوية تجهز وعبي اهل
الشام والتقى الجيشان في سهل صفين (مدينة على نهر الفرات شرق حلب)

فمكثا يومين ابتدأت بعدهما المراسلة وكان من سفراء على من لا يحكم امر الصلح فاحتد على معاوية فى الكلام حتى قال له معاوية ما بيننا الا السيف وذلك اول الحجه سنة ٣٦ هـ واقاموا يقتتلون ايام ذى الحجة عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء ثم جاء المحرم فذهبوا الى الموادعة حتى ينقضي طمعاً فى الصلح وكراهية لاراقة الدماء بين الامة وقد اختلفت بينهم الرسل فيه بلا جدوى ولما انسلخ المحرم امر على منادياً ينادى يا اهل الشام يقول لكم امير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا الى الله فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا الى الحق واني قد نبذت اليكم علي سواء ان الله لا يحب الخائنين ثم قال لاصحابه لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عوره ولا تمثلوا بقتيل ثم عبى جيشه وفعل معاوية كذلك وابتدا القتال من اول صفر سنة ٣٧ هـ فكانت تخرج كتيبه من جيش علي ومثلها من جيش معاوية وفي اليوم الثامن منه التقى جميع الجيشين فاقتتلوا قتالا شديدا ثم افترقوا والكل غير غالب وفي اليوم الخامس عشر دارت رحا الحرب بشدة بين الطائفتين وظهرت فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء والكل يرى نفسه فى طاعة الله تعالى ولم يصدهم عن القتال اقبال الليل ولما اصبحوا ظهر الملل والسآمة في جيش الشام ورأى ذلك معاوية وعمرو بن العاص فقال عمرو ندعوهم لكتاب الله ان يكون حكما بيننا وبينهم فامر معاوية برفع المصاحف وامر رجلا ان يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم فلما رأى ذلك اصحاب

على وقد اشرفوا على الانتصار اختلفوا فرقة قالت نجيب الى كتاب
الله واخري ابت الا القتال لظنهم ان ذلك خديعة ولما غاب رأى
الاولى كفوا عن القتال وارسل علي الاشعث بن قيس الى معاوية
يسأله عما يريده فتوجه الاشعث وسأله فقال معاوية نرجع الى ما امر
الله فى كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما
العهد ان يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما تفقا عليه وعاد
الاشعث الى علي واخبره بقول معاوية فقال الناس رضينا واختار
اهل العراق ابا موسى الاشعرى وأهل الشام عمرو بن العاص وحضر
عمرو عند علي لتكتب القضية بحضوره فكتبوا (هذا ماتقاضى عليه
علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابى سفيان قاضى علي على اهل الكوفة
ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن معهم انا ننزل عند
حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته
الى خاتمته نحيي ما احيى ونميت ما امات فما وجد الحكمان فى كتاب
الله وهما ابو موسى عبدالله بن قيس — وعمرو بن العاصي عملا به
وما لم يجداه فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة واخذ
الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق بانهما آمنان
على انفسهما واهليهما والامة لهما انصار على الذى يتقاضيان عليه وعلي
عبد الله بن قيس وعمرو بن العاصى عهد الله وميثاقه ان يحكما بين
هذه الامة لا يرانها فى حرب ولا فرقة حتى يقضيا واجلا القضاء الى
رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك اخراه وان مكان قضيتهما مكان

عدل من اهل الكوفة والشام) وشهد علي الكتاب جماعة من جيش علي ومعاويه ورجع علي الى الكوفة ومعاويه الى الشام ولما انقضى الاجل بعث علي ابا موسى في اربعماية رجل ومعهم ابن عباس وبعث معاويه عمرو بن العاصي في اربعماية والتقوا بدومة الجندل وحضر مع الحكمين عبدالله بن عمر بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن ابي بكر وابن الزبير والمغيرة بن شعبه وسعد بن ابي وقاص وبعد محاوره دارت بين الحكمين رضي ابو موسى بخلع علي ومعاويه وتوليه عبدالله بن عمر فلم يقبل عمرو ولاية بن عمر وعدد لابي موسى غيره فلم يقبل وافترق الحكمان قبل ان يهتديا الى من يوليانه امر هذه الامة وذهب ابو موسى الى مكة وعمرو الى الشام فبايع معاويه بالخلافة لانه راى ان الامر صار شورى بين المسلمين وان معاوية اهل للقيام باعبائها اما علي رضي الله تعالى عنه فانه راى ان الحكمين لم يفيا بما تعهدا به من الحكم بالقرآن فصمم علي حرب معاوية وخطب الناس بقوله (الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجلل واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فان المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت امرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة امرى ونخلتكم رابي لو كان لقصير امر ولكن ابيتم الا ما اردتم الا ان هذين الرجلين الذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما واحييا ما امات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبري،

اليه منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام)
ولكن منعه من ذلك خروج جماعة عليه من جيشه قتلوا عبدالله بن
خباب من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وبقروا بطن
امرأته وسعوا في الارض فسادا فذهب اليهم ولقيهم بالنهر وان
ووعظهم فرجع كثير منهم ومن بقي قتل فى ساعة واحدة ثم استحث
جيشه للمسير الى الشام فشكوا اليه الكلال ونفود السهام والرماح
وطلبوا الرجوع الى الكوفة ليستعدوا وكان ذلك تثاقلا منهم
وخذلانا لامير المؤمنين الذى يجب عليهم طاعته فيما يعود على الدين
بالفلاح والامة بالصلاح

مقتل على رضي الله تعالى عنه

فى سنة ٤٠ هـ اراحه الله من هذا الشقاق والخلاف فانتقل الى
الدار الآخرة وانضم الى من سبقه من الشهداء والصالحين وذلك
ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى ــ والبرك بن عبد الله ــ وعمرو بن
بكر التميميين من الخوارج اجتمعوا وتذاكروا ما فيه الناس وعابوا
الولاة وترحموا على قتلى النهروان وتعاهدوا على ان يقتل الاول عليا
والثانى معاويه ــ والثالث عمرو بن العاصى وانفذوا لسبع عشرة من
رمضان ــ اما البرك فذهب الى معاويه وانتظره فى صلاة الصبح
فضربه بالسيف فلم يصب مقتلا واما عمرو بن بكر فذهب الى عمرو
ولكنه كان مريضا لم يخرج للصلاة في هذا اليوم واستخلف خارجة
ابن حبيب فقتله ظنا منه انه عمرو بن العاصى ــ واما ابن ملجم

فقصد الكوفة وانتظر امير المؤمنين فلما خرج ونادى بالصلاة ضربه بسيفه وقال الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك فقال على لا يفوتنكم الرجل فاخذوه وقال ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأى، يابنى عبد المطلب لاتخوضوا على دماء المسلمين قائلين قتل امير المؤمنين لا تقتلوا الا قاتلى ياحسن ان انامت من ضربتى هذه فاضرب به بسيفه ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له اياكم والمثلة ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما ﴿اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شى زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضائع واصنعا للاخرى وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ولم يزل يذكرهما حتى مات وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وصلي عليه الحسن ودفن بالنجف ومكث بالخلافة اربع سنين وسبعة اشهر واياما وعمره ثلاث وستون سنه وقيل خمس

خلافة الحسن بن على رضي الله عنهما

هو الحسن بن على بن ابي طالب وامه فاطمه بنت رسول الله صلى عليه وسلم ولد بالمدينه في نصف رمضان سنة ٣ هـ وكان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ورد قوله (اللهم انى احبه فاحبه واحبب من يحبه) وقوله (ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين) لم يغز مع النبي

لصغر سنه ولما فرض عمر العطاء أدخل الحسن فى اهل بدر لمكانه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم دافع عن عثمان اشد الدفاع وابلى
فى ذلك بلاء حسنا حتى نهاه عثمان عن ذلك وكان مع ابيه بعد بيعته
فى جميع مشاهده ـ ولما قتل على اجتمع اصحابه وبايعوا الحسن
وكان اول من بايعهم قيس بن سعد وقال ابسط يدك على كتاب الله
وسنه رسوله وقتال الملحدين فقال الحسن على كتاب الله وسنه
رسوله ويأتيان على كل شرط وليحقق الله ما اخبر به رسوله الـهم
الحسن فنظر فى امره فوجد ان بيعته ليست عامه كبيعه ابيه لأنها
قاصره على اهل العراق وان الامر لايتم الا بسفك الدماء وجند
العراق لا يعتمد عليه فكتب الى معاويه يذكر له النزول عن الامر
على شروط فقبل معاويه ما فى صحيفته وقدم العراق فبايعه الحسن
وجيشه وتم الامر لمعاوية رضى الله تعالى عنه وسمى هذا العام عام
الجماعه وكانت خلافه الحسن ستة اشهر ثم ارتحل في اهل بيته
وحشمهم الى المدينه ولم يزل مقيما بها الى ان توفي سنة ٤٩ هـ على
فراشه ـــ وبذلك انقضت دوله الخلفاء الراشدين ولم تكن من طرز
دول الدنيا وهى بالامور النبويه والاحوال الاخرويه اشبه كان زيها
زي الانبيأ وهديها هدى الاوليأ وفتوحاتها فتوحات الملوك الكبار
وكان زيها الخشون في العيش والتقلل فى المطعم والملبس وكان احدهم
يمشى فى الاسواق راجلا وعليه القميص الخلق المرقوع الى نصف
ساقه وفى يده درة فمن وجب عليه حد استوفاه منه وكان طعامهم

من ادنى اطعمة فقرائهم لم يكن ذلك فقرا ولا عجزا عن افضل لبس واشهى مطعم ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم وكسرا للنفس عن شهواتها ورياضه لها لتعتاد افضل حالاتها والا فكل واحد منهم كان صاحب ثروه ضخمه ونخل وحدائق يصرف معظم خرجها فى وجوه الخير اما فتوحاتها فضمت الى جزيرة العرب بلاد العراق والعجم حتى وصلت الى ماوراء النهر وبلاد الشام ومصر.. و برقة حتى بلغت خيلها افريقيه فجزى الله هذه الدوله خيرا

(دولة بنى امية

تنسب هذه الدوله الى اميه بن عبد شمس بن عبد مناف وهو الجد الثالث للنبى صلى الله عليه وسلم تبدى من اليوم الذى تنازل فيه الحسن بن على عن الخلافة لمعاويه بن ابى سفيان سنة ٤١ هـ وتنتهى الى سنة ١٣٢ فكانت مدتهم احدى وتسعين سنه واشهر اول خلفائها معاوية بن ابى سفيان وآخرهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المشهور بالجعدى المنبوذ بالحمار

(معاوية بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه)

هو معاويه بن ابى سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف اسلم مع أبيه عام الفتح وكان من كتاب الوحى مشهورا بالحكمة والحلم حتى قال فيه عبد الله بن عباس ما رأيت اخلق للملك من معاوية ولم تلحق خلافته بدولة الخلفاء الراشدين مع انه يليهم فى

الفضل والعدالة والصحبة لانه راس خلفاء بني اميه بجمعهم نسبت واخذ فضمه المؤرخون الى أهل نسبه

ولما استقل معاويه بالخلافه ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ـ ومروان بن الحكم المدينه ـ وخالد بن العاصى مكه

وعمرو بن العاصى مصر و بعد وفاته ولى ابنه وفى سنة ٤٥ ه استلحق معاويه (زياد بن سمية) اخا له وكان من عماله على بلاد فارس وقد استعصى على معاويه بعد ان سلم الامر اليه الحسن فخاف معاويه ان يدعو الى احد من بنى هاشم فاستقدمه بواسطة المغيره بن شعبة وألحق نسبه بابى سفيان لشهادة رجال من اهل البصره ممن علم لحوق نسبه بابى سفيان ثم ولاه البصرة واضاف اليه خراسان وسجستان والبحرين وعمان والهند وطلب ان يضم اليه الحجاز فخافه اهلها ومات سنة ٥٣ ه بعد ان سدد امر الخلافه لمعاوية واشتد على اهل العراق وجرد فيهم السيف وقد قيل انه لم يخطب احد بعد على مثل زياد وهو اول من سير بين يديه الحراب واتخذ الحرس خمسمائة فارس وفى سنة ٥٠ ه بعث معاويه جيشا كثيفا الى بلاد الروم فيهم سفيان بن عوف ويزيد بن معاويه وابن عباس ـ وعبد الله بن عامر ـ وابن الزبير ـ وابو ايوب الانصارى فاوغلو فى بلاد الروم وبلغوا القسطنطينيه وقاتلوا الروم عليها واستشهد ابو ايوب الانصارى ودفن قريبا من سورها ومع هذا فلم يتم لهم فتحها وفى سنة ٥٦ ه حمل معاويه الناس على البيعة لابنه يزيد فبايعه اهل العراق والشام وهو

أول من عهد بالخلافه لابنه عهد بها فى صحته وكتب الى مروان بالمدينة لياخذ البيعة من اهلها فامتنع عن البيعة الحسين بن على وعبدالله ابن عمر وعبد الرحمن بن ابى بكر وعبد الله بن الزبير وامتنع الناس لامتناعهم فتوجه معاوية الى المدينة فى ألف وقابل عائشة فاشارت عليه باستعمال اللين فبايع يزيد اهل الحجاز ولم يبق الا هؤلاء الاربعة

(وفاة معاوية).

مرض رضى الله تعالى عنه سنة ٦٠ ه فخطب الناس بقوله (انى كزرع مستحصد وقد طالت امارتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ولن ياتيكم بعدى الا من انا خير منه كما ان من كان قبلى خير منى وقد قيل من احب لقاء الله احب الله لقاءه اللهم انى قد احببت لقاءك فاحبب لقائى وبارك لى فلم يمض الا قليل حتى ازداد به مرضه فدعى ابنه يزيد وقال يابنى انى قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الامور واخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه احد وانى لا اخاف عليك ان ينازعك هذا الامر الذى انتسب لك الا اربعة نفر من قريش ـ الحسين بن على وعبد الله بن عمر ـ وعبد الله بن الزبير ـ وعبد الرحمن بن ابى بكر فاما ابن عمر فقد وقذته العبادة واذا لم يبق غيره بايعك ـ واما الحسين فانى ارجو ان يكفيك الله بمن قتل اباه وخذل اخاه فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقا عظيما ـ واما ابن ابي بكر فان رأى اصحابه صنعوا شيأ صنع مثله وليس له همة

وامـا الذي يجشم لك جثوم الاسد ويراوغـك روغان الثعلب واذا امكنته فرصة وثب فـذاك ابن الزبير واحقن دماء قومك ما استطعت ثم توفى فى منتصف رجب وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنه واشهرا وعمره خمس وسبعون سنه

وهو اول من رتب البريد في الاسلام علي اصوله المعروفه واتخذ ديوان الخاتم وختم الـكتب

(يزيد بن معاويه)

هو ثانى خلفاء بنى امية ولد سنة ٢٥هـ وانتهت اليه الخلافه بموت ابيه وكان على المدينه الوليد بن عتبه بن ابى سفيان وعلى مكة عمر بن سعيد ابن العاص ـ وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الـكوفة النعمان ابن بشير الانصارى ولم يكن همه الا بيعة النفر الذين ابوا على معاويه بيعته فكتب الى الوليد بموت معاوية وان يأخذ الحسين وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصه وقد لحـق الحسين ـ وابن الزبير بمكة ولم يبايعا ولما علم اليزيد بصنيع الوليد بن عتبة فى امر هـؤلاء النفر حيث لم يلزمهم البيعة عزله عن المدينة واستعمل عليها عمر بـن سعيد الاشرق فقدمها واستعمل على شرطته عمر بن الزبير لما بينه وبين اخيه عبد الله من البغضا ثم كتب يزيد الى عمر بن سعيد ان يبعث عمر بن الزبير فى جيش الى اخيه فبعثه فى الفى مقاتل فنصر الله عليه اخاه عبد الله بن الزبير وحبسه حتى مات

اما الحسين بن على فاقام بمكة حتى وردت عليه الـكتب من

العراق يطلبون قدومه ليبايعوه بالخلافه ولما تواترت كتب العراقيين ارسل مسلم بن عقيل لاخذالبيعة له فوصل الكوفه و بايعه نحو ثلاثين الفا ثم ظفر به عبيد الله بن زياد والي الكوفة فقتله و بعث براسه الى يزيد وكان قتله يوم سفر الحسين من مكة رضى الله تعالى عنهما لثمان مضين من ذى الحجه سنة ٦٠ ه

ولما اراد الحسين المسير الى العراق نصحه كثيرون بعدم الخروج حتى قال له ابن عباس يابن العم اخاف عليك اهل العراق فانهم اهل غدر ونفاق فاقم وانت سيداهل الحجاز وان ابيت فسر الى اليمن بها شيعة ابيك فقال الحسين انى اعلم والله انك ناصح ولكنني قد ازمعت على المسير فخرج وسار واجتمع عليه كثير من العرب ولما علم قتل مسلم قال من احب ان ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه وسار حتى لقيه الحر بن يزيد التميمى من قبل ابن زياد فى الفى فارس فانزله بكربلاء ثاني المحرم سنة ٦١ ه وسار اليه عمر بن سعد بن ابى وقاص فى اربعة آلاف وطلب منهم الحسين رضى الله تعالى عنه احد امور ثلاثة اما الرجوع ـ واما الشخوص الى يزيد بن معاويه واما اللحوق باحد الثغور فكتب عمر بذالك الى عبيد الله بن زياد فارسل اليه مع شمر بن ذي الجوشن اما ان تقتل الحسين وتطأ الخيل ظهره او تسلم الامر لشمر فاختار قتاله وارسل خمساية فارس احالوا بين الحسين والماء وقد طلب رضى الله عنه تاجيل القتال الى الغد حتى يوصى وفى اليوم الثانى اصطفت الجيوش لقتاله فوعظهم فلم يجد ذلك شيأ واستمر

القتال الى الظهر واشتند العطش بالحسين فتقدم ليشرب فرماه الحصين
بن نمير بسهم اصابه فى فمه والناس فى قتله تقدم رجلا وتؤخر اخرى
فصاح شمر ويحكم اقتلوا الرجل وكان الحسين رضى الله تعالى عنه
يفرق القوم ميمنة وميسرة وبنوه صرعى بين يديه حتى اصابه سنان
ابن انس النخعى بالرمح واحتز راسه واخذ سلاحه وثيابه ووطئت
سنابك الخيل ظهر الحسين كامر بن زياد واراد شمر بن ذى الجوشن
الضال قتل زين العابدين بن الحسين فمنعه عمر عن ذلك واحضرت
الراس الشريفة امام بن زياد فامر ان يطاف بها ثم ارسله الى يزيد
مع زين العابدين مغلولا فاطلق سراحه واعاد النساء الى المدينة مع
النعمان بن بشير الانصارى

وفى سنة ٦٢ هتولى عقبة بن عامر على افريقيا فسار بجيشه حتى وصل
الى المحيط الاطلسى وفى سنة ٦٣ هـ خلع اهل المدينه يزيد بن معاويه
واخرجوا عامله منها فارسل يزيد بن مسلم بن عقبة فى اثنى عشر الفا
ووزع عليهم الجوائز وامره ان يمهلهم ثلاثة ايام والا قاتلهم واباح
المدينة للجند ثلاثة ايام فسار حتى نزل المدينة واقتتلوا حتى انهزم
اهل المدينه وقتل مئات من المهاجرين والانصار والالاف من الموالى
واباحها للجند ثلاثه ايام وكانت هذه الواقعة فى آخر ذى الحجة من
تلك السنة

ثم تحول الى مكة بامر يزيد لمحاربة بن الزبير فوافاه الموت
بالطريق فاستخلف على الجند الحصين بن نمير فقدم الحصين مكة

وحاصر عبد الله بن الزبير اربعين يوما بعد قتال استشهد فيه بعض من كان مع ابن الزبير ورموا الكعبه بالمنجنيق وبينما الحصين بن نمير يحاصر مكة علم بموت اليزيد فانصرف بجيشه الى الشام وكانت وفاة يزيد فى ربيع الاول سنة ٦٤ هـ فكانت خلافته ثلاث سنين واشهرا حدثت فيها تلك المنكرات من قتل الحسين واباحة المدينة وحصار الكعبة ورميها بالمنجنيق مع ان النبي صلى الله علية وسلم يقول (انما اذن لى بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس)

﴿ معاوية بن يزيد ﴾

ولما توفى يزيد بن معاوية بايع الناس ابنه معاوية وكان شابا دينا اقام فى الخلافة ثلاثة اشهر وقيل اربعين يوما ثم خلع نفسه عنها ولزم بيته حتى مات وسنه احدى وعشرون سنه

﴿ مروان بن الحكم ﴾

هو مروان بن الحكم بن ابى العاصي بن اميه ولد سنة ٢ هـ واسلم ابوه عام الفتح وطرده النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ولم يزل طريدا عنها حتى رده عثمان فى خلافته

ولما استقال معاويه الثانى عن الخلافة قوى امر عبد الله بن الزبير وكادت الخلافة العامة تتم له حيث بايعه اهل الحجاز والعراق لولا ان قام مروان بن الحكم مطالبا بها باشارة عبيد بن زياد فبايعه اهله واقاربه وانصارهم وقاتلوا بن الزبير بمرج راهط حتى استولى على الشام ودخلت مصر فى حوزته وابتدأت فى سنة ٦٤ هـ وانتهت بموته فى سنة ٦٥ هـ

﴿ عبد الملك بن مروان ﴾

بويع له بالخلافة بعد موت ابيه سنة ٦٥ ﻫ واستتب له الامر بالشام ومصر كما استتب امر العراق والحجاز وما بينهما لعبد الله بن الزبير حيث بايعوه بالخلافة بعد موت يزيد بن معاويه

ثم استبد المختار الثقفي بالكوفة وخرج عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير عليها واستولى على بيت المال ووصي الناس الى بيعة محمد ابن الحنيفة فبايعه أشراف الكوفه على الكتاب والسنة واللطف باهل البيت ووعدهم بحسن السيرة ثم اختلف على المختار اهل الكوفه وقالوا له اعتزلنا فان ابن الحنيفة لم يبعثك فقال نبعث اليه الرسل مني ومنكم فلم يقبلوا وشهروا السلاح وقاتلوه فهزمهم واسر كثيرا منهم وتظاهر بمقاتلة قتله الحسين قصاصا فقتل كل من شهد قتل الحسين من الاسرى ونادى بالامان الا من شهد فى دماء اهل البيت وبعث فى طلب شمر بن ذى الجوشن فهرب الى الكيانية وظن النجاة فنمى خبره الى ابى عمرة من اصحاب المختار فركب اليه وقتله والقى شلوه للكلاب وتتبع المختار قتلة الحسين وال البيت حتى قتل كثيرا منهم وحرق خوله بن يزيد الاصبحى صاحب راس الحسين وبعث براسى عمر بن سعد بن ابى وقاص ـ وابنه حفص الى ابن الحنفيه وكتب اليه انه قتل من قدر عليه وهو فى طلب الباقين ولما فرغ المختار من قتال اهل الكوفة وقتلة الحسين آخر سنة ٦٦ ﻫ وتغلب عبيد الله بن زياد على الموصل وقد كانت تابعة للمختار وعليها من قبله عبد الرحمن

ابن سعيد بعث ابراهيم بن الاشتر لقتاله فاقتتلوا اشد قتال حتى انهزم اصحاب ابن زياد وقال ابن الاشتر انى قتلت رجلا تحت راية منفردة شممت منه رائحة المسك وضربته بسيفى فقصمته نصفين فالتمسوه فاذا هو بن زياد فاخذت رأسه واحرقت جثته وفى سنة ٦٧ هـ ولى عبد بن الزبير اخاه مصعبا على البصرة فالتجأ اليه اشراف الكوفة وطلبوا منه قتال المختار فاستحضر المهلب بن ابي صفرة عامله على فارس وساروا لقتاله فلقيهم المختار بحروراء واقتتلوا قتالا شديدا حتى انهزم اصحاب المختار وتحصن بقصر الكوفة وحاصر مصعب ومنع المسير عنهم ثم خرج المختار فى عشرين من قومه وقاتل حتى قتل ونزل من بالقصر على حكم مصعب فقتلهم اجمعين وامر بقطع كف المختار وسمرت بالمسجد فلم ينزعها الا الحجاج بن يوسف

وبقتل المختار وهزيمته آلت الكوفه الى ابن الزبير ثانيا

ولما صفا امر الشام لعبد الملك بن مروان بعد قتل عمر بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق غدرا وخيانه سنة ٧٠ هـ حيث كان يتطلع للخلافة وقد كان من وجوه قريش واغناهم عزم على غزو العراق حيث اتته الكتب من اشرافهم يدعونه لذلك وقد استمهله اصحابه فابى وسار الى جهة العراق وبلغ مصعبا سيره فتوجه للقائه ولما تدانى العسكران بعث عبد الملك الى مصعب بقوله نجعل الامر شورى لثقته باهل العراق حيث بايعوه سرا فقال مصعب ليس بيننا الا السيف وقد دارت رحى الحرب بينهم حتى قتل مصعب

ابن الزبير بيد عبيد الله بن زياد بن ضبان بعد ان خذله اهل العراق.
وذلك سنة ٧١ هجريه ثم دعى عبد الملك جند العراق الى البيعة فبايعوه.
وبعث براس مصعب الى الكوفة ثم الى الشام فنصب بدمشق.
وارادوا التطويف به فمنعت من ذلك زوجة عبد الملك عاتكه بنت
يزيد بن معاويه فغسلته ودفنته ثم سار الى الكوفه وولى عليها اخاه.
بشر بن مروان وانتهى قتل مصعب الى المهلب بن ابي صفره.
وهو يحارب الازارقه فبايع الناس لعبد الملك بن مروان ولما وصل
خبر مصعب لعبد الله بن الزبير خطب الناس فقال (الحمد الله الذى
له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشأ
ويعز من يشأ ويذل من يشاء الا وانه لم يذل الله من كان الحق معه.
وان كان الناس عليه طرا وقد اتانا من العراق خبر احزننا وافرحنا
اتانا قتل مصعب فالذى افرحنا منه ان قتله شهاده واما الذى احزننا
فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم عبد من عبيد الله،
وعون من اعوانى الاوان اهل العراق اهل الغدر والنفاق سلموه وباعوه.
بأقل الثمن فوالله مانموت على مضاجعنا كما يموت بنو ابى العاص والله.
ماقتل رجل منهم فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا نموت الا طعنا
بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى.
الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه. فان تقبل لا آخذها اخذ الاشر
البطور وان تدبر لم ابك عليها بكاء الضرع المهين اقول قولى هذ واستغفر
الله لى ولكم) .

ولما تمهد الامر بالعراق لعبد الملك بعد قتل مصعب بعث الحجاج
ابن يوسف الثقفى فى ثلاثة آلاف من اهل الشام لقتال بن الزبير
وكتب معه بالامان له ولمن معه ان اطاعوا فسار فى جمادى سنة ٧٢هـ
حتى نزل بالطائف وكان يبعث الخيل الى عرفه فيلقاهم هناك خيل
ابن الزبير فتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد
الملك يخبره بضعف ابن الزبير ويستأذنه فى دخول الحرم لحصاره
ويستمده

فكتب عبد الملك الى طارق بن عمر مولى عثمان يامره باللحاق
بالحجاج فسار اليه فى خمسة آلاف ولما قدم الحجاج مكة أحرم
بحجة ونزل بئر ميمون وحج بالناس ولم يطف ولم يسع وحصر بن
الزبير عن عرفة فنحر بدنه بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعي ثم
نصب الحجاج المنجنيق على جبل ابى قبيس ورمى به الكعبه وكان
ابن عمر قد حج تلك السنه فبعث الى الحجاج بالكف عن المنجنيق
لاجل الطائفين ففعل ونادى مناديه عند الافاضه انصرفوا فانا نعود
بالحجاره على ابن الزبير ورمى بالمنجنيق على الكعبه فكانت الحجاره
تقع بين يدى بن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف واشتد الامر حتى
غلت الاسعار واصاب الناس مجاعه شديده وبعث الحجاج الى اصحاب
ابن الزبير بالامان فخرج اليه منهم نحو عشرة آلاف وافترق الناس
عن ابن الزبير فدخل على امه اسماء وقال يا أمه قد خذلنى الناس والقوم
يعطونى ما اردت من الدنيا فما رأيك فقالت له انت اعلم بنفسك ان كنت

على حق وتدعو اليه فامض له فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من
رقبتك وقد بلغت بها علمين بن بني اميه وان كنت انما اردت الدنيا
فبئس العبد انت اهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت كنت
على حق فلما وهن اصحابي ضعفت فليس هذا فعل الاحرار ولا اهل
الدين فقال ياأمه اخاف ان يمثلوا بي ويصلبوني فقالت يابني الشاه
اذا ذبحت لاتتالم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل
رأسها وقال هذا رأيي والذى خرجت به داعيا الى يومي هذا ماركنت
الى الدنيا ولا احببت الحياة وما اخرجني الا الغضب لله وان تستحل
حرماته ولكن احببت ان اعلم رأيك فقد زدتيني بصيره واني ياأمه
في يومي هذا مقتول فلا يشتد حزنك وسلمي الامر لله فان ابنك
لم يتعمد اتيان منكر ولا عمد بفاحشه ولم يجر ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على
الظلم اللهم لا اذكر هذا تزكية لنفسي لكن تعزية لامي حتي تسلو عني
فقالت اني لارجو ان يكون عزائي فيك جميلا ان تقدمتني احتسبتك
وان ظفرت سررت بظفرك ثم قالت اخرج حتي انظر مايصير اليه امرك
جزاك الله خيرا قال فلا تدعي الدعاء لي فدعت له وودعها وودعته
ثم خرج وحمل على اهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف
واشير عليه بالفرار فقال بئس الشيخ اذا انا في الاسلام اذا واقعت
قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم وامتلأت ابواب المسجد
باهل الشام والحجاج وطارت بناحية الابطح الى المروة وابن الزبير
يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وقاتل قتالا شديدا يعجز عن مثله

كثير من شجعان العرب حتى قتل في جمادى الاخره سنة ٧٣هـ
وحمل راسه الى الحجاج فسجد وكبر اهل الشام وبعث الحجاج برأسه
الى عبد الملك وصلب جثته منكسه وطلبت منه اسماء دفنه فابى ولامت.
عبد الملك على ذلك فخلى بينها وبينه وصلي عليه اخوه عروة ودفنه
وماتت امه بعده قريبا

ثم دخل الحجاج مكة وبايعه اهلها لعبد الملك وامر بكنس المسجد
من الحجارة والدم ثم سار الى المدينة فاقام بها شهرين واساء الى اهلها
وقال انتم قتلة عثمان وختم ايدى جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا
بهم كما يفعل باهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وانس بن مالك
وسهل بن سعد ثم عاد الى مكة وهدم بناء الكعبه الذى بناه بن
الزبير واخرج الحجر منه واعاده الى البناء الذى اقره عليه النبى صلى
الله عليه وسلم ولم يصدق ابن الزبير فى الحديث الذى رواه عن عائشة
فلما صح عنده بعد قال وددت انى تركته وما تحمل وبذلك دانت
جميع البلاد الاسلامية لعبد الملك بن مروان بعد هذه الفتن الطويله
التي جعلت عبد الملك رضي ان يهادن ملك الروم على جعل
يؤديه اليه عبد الملك اثناء ايام الفتنه ومقداره الف دينار يدفعها اليه
كل يوم حتى غزاهم عبد الملك ورزق شملهم كل ممزق. وتوفى عبد
الملك منتصف شوال سنة ٨٦ هـ

أشهر عماله

من اشهر عمال عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي صرفه عبد الملك عن ولاية الحجاز وولاه المصرين فقدم الكوفة ودخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها اكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا وخطبهم بقوله « انا ابن جلا وطلاع الثنايا » متى اضع العمامة تعرفونى ياأهل الكوفة انى لارى رؤسا اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى انظر الى الدماء بين العمائم واللحى

هذا أوان الشد فاشتدى زيم « قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم « ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى * اروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرابى «

ثم قال

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو اشد
لابد مما ليس منه بد

انى والله ياأهل العراق مايقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان امير المؤمنين اطال الله بقاه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى امرها عودا واصلبها مكسرا فرمانكم بى لانكم طالما اوضعتم فى الفتنة واضطجعتم

في مراقد الضلال والله لاحزمنكم حزم السلمة ولاضربنكم ضرب غراب الابل فانكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانو يصنعون واني والله مااقول الا وفيت ولا أهم الا امضيت ولا اخلق الا فريت وأن امير المؤمنين امرني باعطائكم أعطياتكم وأن اوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن ابى صفره واني اقسم بالله لاأجد رجلا تخالف بعد اخذ عطائه بثلاثة ايام الاضربت عنقه.) ثم امر غلامه ان يقرأ كتاب امير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك امير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل احد منهم شيئا فقال الحجاج ياغلام كفف وأقبل عليهم فقال سلم عليكم امير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا والله لأؤدبنكم اقرا ياغلام كتاب امير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى امير المؤمنين السلام ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللحاق بالمهلب بن ابى صفره وكان على حرب الازارقه (طائفة من الخوارج من أشهر رؤسائهم قطرى بن الفجاءة) وعاقب من تخلف بالقتل ثم سار الى البصرة وفعل مثل فعله بالكوفة — ثم قطع عن الجند الزيادة فى العطاء التى زادها مصعب بن الزبير أيام امارته على العراق فخرج عليه الجند سنة ٨٦ وفيهم عبد الله بن حكيم المجاشعى وعبد الله بن الجارود وعبد الله بن أنس بن مالك وقد انتصر عليهم الحجاج بعد

حروب بينهما وقد اشتد علي أنس بن مالك وافحش في شتمه واخذ ماله فشكاه لعبد الملك فكتب الى الحجاج يشتمه و يغلظ عليه في التهديد وامره ان يجيء الى منزل انس و يعتذر اليه . ففعل ذلك الحجاج ثم تحركت الخوارج عليه واستمرت الى سنة ٧٨ وكان من اشدهم بأسا عليه شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني واصحابه وفي هذه السنة اضاف عبد الملك الى الحجاج ولاية خراسان وسجستان فبعث المهلب الى الاولى وقد فرغ من حرب الازارقة فسار اليها وحاصر كش سنتين وغزا صاحب بخارى من بلاد ماوراء النهر ثم بعث الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لمحاربة الترك وامره بالتوغل في بلادهم و بعد ذهابه للترك عقد النية مع اصحابه على خلع الحجاج ونفيه من العراق وكر راجعا وأعشى همدان بين يديه وتقاتلوا مع الحجاج أشد قتال و بعد مدة انهزم ابن الاشعث ولحق بملك الترك فارسل الحجاج يطلبه منه فقبض عليه مع اربعين من اصحابه و بعث بهم الى الحجاج فالقى ابن الاشعث بنفسه من سطح فمات سنة ٨٥ ولم ينج من اصحابه ممن ظفر بهم الحجاج الا من شهد على نفسه بالكفر

وفي سنة ٨٢ مات المهلب بن ابي صفره الازدى . وقد كان من الشجاعة والاقدام والكرم على جانب عظيم واستخلف ابنه يزيد على خراسان

وفي سنة ٨٥ عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن ولايته بخراسان وحبسه مع اخوته — وفيها عهد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان من

بعده بالخلافة وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وقد ضرب عامل المدينه
سعيد ابن المسيب وطاف به وحبسه لامتناعه عن البيعة فلامه عبد
الملك على ذلك وعند وفاة عبد الملك فى منتصف شوال سنة ٨٦ كما
تقدم أوصى بنيه بقوله أوصيكم بتقوى الله تعالى فانها ازين حلية
وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وانظروا مسلمة
فاصدروا عن رايه فانه نابكم الذى عنه تفرون ولحيكم الذى عنه
ترمون وا كرموا الحجاج فانه هو الذى وطأ لكم المنابر ودوخ لكم
البلاد واذل لكم مقنى الاعداء وكونوا بنى ام برره لاتدب بينكم
العقارب وكونوا فى الحرب احرارا فان القتال لايقرب منية وكونوا
للمعروف منارا فان المعروف يبقى اجره وذخره وذكره وضعوا
معروفكم عند ذوى الاحساب فانه اصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه
وتعهدوا ذنوب اهل الذنوب فان استقالوا فاقبلوا وان عادوا فانتقموا
وقد كان عبد الملك حازما عاقلا فقيها عالما دينا ولما تولى الخلافه
استهوته الدنيا ومن اعماله ضرب السكة الاسلامية وذلك انه كتب
فى صدر كتابه الى ملك الروم قل هو الله احد وذكر النبى صل الله
عليه وسلم فنكر ذلك ملك الروم وقال اتركوه والا ذكرنا نبيكم بما
ترهونه فعظم ذلك عليه واستشار الناس فأشير عليه بضرب السكة
ففعل ذلك ثم نقش عليها الحجاج قل هو الله أحد فكره الناس ذلك
وقد بالغ فى عدم الغش فيها ابن ابى هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك
وخالد القسرى ايام هشام ويوسف بن عمر من بعدهم وكانت هذه

الثلاثه أجود نقود بنى امية وقد أمر المنصور ان لايقبل فى الخراج غيرها

الوليد بن عبد الملك

سادس خلفاء بنى اميه تولى الخلافة بعد موت أبيه فصعد المنبر وقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت امير المؤمنين والحمد لله على ماأنعم علينا من الخلافه فكان اول من عزى نفسه وهنأها وفى اول سنة من خلافته قدم قتيبة بن مسلم من قبل الحجاج على خراسان وقد كان من اشد امراء بني اميه بأسا فحابى كثيرا من اهل تلك الاصقاع المجاورة لولايته

وفى سنة ٨٧ ولى الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينه فقدم اليها ونزل دار مروان ودعا عشرة من فقهائها منهم عروة بن الزبير وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد بن ابى بكر فجعلهم أهل مشورته لايقطع امرا دونهم وأمرهم ان يبلغوه الحاجات والظلامات فشكروه وفى سنة ٨٨ امره الوليد ان يدخل حجر امهات المؤمنين فى المسجد ويشترى باقى نواحيه حتى يجعله مئتين فى مئتين وان يقدم القبلة ومن ابى ان يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل وادفع اليه الثمن ولك فى عمر وعثمان اسوة حسنه وبعث الى الوليد ملك الروم بمائة الف بمثقال من الذهب ومائه من الفعلة

وفى سنة ٨٩ تولى موسى بن نصير على افريقية فلما وصلها وعلم ان بها قوما خارجين أرسل اليهم من حاربهم والزمهم الطاعة واستعمل

على مدينة طنجه طارق بن زياد مولاه وجعل معه جيشا كثيفا — وفي سنة ٩٠ هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج وقدموا على سليمان بن عبد الملك فأمنهم لدى الوليد — ثم استعمل الوليد خالد بن عبد الله القسري على مكه سنة ٩٣ باشارة الحجاج وقد كان من الجبارين على شاكلة الحجاج وعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة وقد كان كتب الى الوليد بأفعال الحجاج بالعراق وما هم فيه من الظلم والعدوان — ولما قدم خالد الى مكة اخرج من كان بها من اهل العراق وتهدد من انزل عراقيا اوآجره داره وقد كانو يلجأون الى مكه والمدينه ايام عمر بن العزيز وكان سعيد بن جبير وهو من اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث مقيما بمكة فجيء به الى الحجاج فقتله وهلل رأسه ثلاثا وقد التبس عقل الحجاج يومئذ وكان اذا نام يرى سعيدا فى منامه اخذا بمجامع ثوبه يقول ياعدو الله فيم قتلتني فينتبه مرعوبا يقول مالى ولسعيد بن جبير ثم توفى الحجاج فى شوال سنة ٩٥ لعشرين سنة من ولايته — وفى منتصف جمادى الآخره سنة ٩٦ توفى الوليد وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من افضل خلفاء بني امية بنى المساجد الثلاثة مسجد المدينة ومسجد القدس ومسجد دمشق وكان فى موضعه كنيسة فهدمها وقد فتح فى ولايته الاندلس وكاشغر والهند وكان متواضعا يختم القرآن فى ثلاث وفى رمضان في يومين واراد أن يخلع اخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز فلم يجبه من الناس الا القليل وعزم على المسير الى سليمان فعاجله الموت

وعمره اثنتان واربعون سنه واشهر

فتح الاندلس وملخص تاريخها

هى البلاد الواقعة فى النهايه الجنوبية الغربيه من قارة اوربا وقد كانت لامة القوط قبل الفتح الاسلامي وكانت عاصمة ملكهم مدينة طليلة ولما أراد الله ان يظهر النور الاسلامي بتلك الاصقاع ذهب يليان صاحب سبته الى موسى بن نصير بمدينة القيروان ورغبه في فتح الاندلس وأظهر له عوراتها فاستاذن موسى الوليد بن الملك فأمره أن يبعث السرايا اولا ثم أرسل موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد فى سبعة آلاف لغزو الاندلس فعبر بهم البحر حتى نزل الجبل المسمى باسمه وافتتح جزأ من البلاد ولما بلغ ملك الاندلس لذريق ماصنعه طارق جمع له مايقرب من مائة الف فانجد موسى مولاه طارقا بخمسية الاف ثم التقى الجيشان بمكان (فحيص شريش) واقتتلوا حتى انهزم اهل الاندلس وغنم طارق نفائس اموالهم وكتب لمولاه موسى بالفتح فارسل اليه ان لايتجاوز مكانه حتى يصله واستخلف موسى على القيروان ولده عبد الله وسار سنة ٩٣ فى عسكر فخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر حتى وصل الاندلس وسار فيه من غير طريق طارق فتلقاه طارق وانقاد لامره وقد توغل موسى في بلاد الاندلس حتى وصل الى لشبونة من جهة الشرق وكان من رأي موسى أن يسير مقاتلا بجيوشه سواحل اوربا الجنوبية حتى يصل الى القسطنطينية فبلغ ذلك الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب

فبعث الى موسى بالتوبيخ والانصراف وقد اتخذ موسى مدينة قرطبه دارا للامارة وولى ابنه عبدالعزيز على تلك البلاد وحصن الثغور وأنزل الجند بها وعاد الى القيروان سنة ٩٥ ثم تحول الى دار الخلافه سنة ٩٦ بالغنائم والاموال العظيمة حتى قيل ان من جملتها ثلاثين الف رأس ومائدة سليمان عليه السلام فقابل الخليفة وكان سليمان بن عبدالملك فسخطه ثم ثارت عساكر الاندلس على ابنه عبد العزيز فقتلوه وكان فاضلا تقيا افتتح بعد ابيه مدنا كثيره ثم تولى بعده أيوب بن حبيب اللخمى ابن اخت موسي ثم تتابعت الولاة عليهامن العرب تارة من الخليفه واخرى من قبل عامله بالقيروان ولا زالت العرب توالى فتوحاتها حتى اخضعت معظم تلك الجهات وقهرت الافرنج ولا زالت تابعة لبنى امية مع مافيهامن الاختلاف والاضطراب الذى نشأ عن اختلاف الجنسية بها من العرب المختلفى القبائل والشام ومصر حتى التبس الامر على بنى امية بالمشرق وشغلوا عن حفظ قاصية الثغور لاشتداد الخوارج عليهم وآل امرها الى الفوضي حتى اتفق جندالاندلس على قسمة الاماره بين المضريين — واليمنيين بان يحكم البلاد كل منهما سنة وكتبوا بذلك عهدا وقد تقدم للحكم المضريون فنصبوا عليهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٢٩ﻫ ولما انتهت طلب اليمنيون تولية الحكم وادارة الشؤون واثقين بعهدهم وتراضيهم فلم يمتثل لذلك يوسف المذكور بل قاتلهم وقهرهم على امرهم لذلك تربص اليمنيون الدوائر لهم حتى اذا طمست اعلام بنى امية بالمشرق

وظهرت العباسية. وتتبعوا بني مروان بالقتل حتى طلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن نجا منهم عبد الرحمن بن معاويه بن هشام ابن عبد الملك بن مروان حيث سار الى الاندلس وانشأ بها دولة تعرف بدولة بني اميه بالاندلس بعد ان هزم امير البلاد ومن معه فاستقام له الامر بها. واتخذ قرطبة مقرا للملك سنة ١٣٨ و بني المسجد الجامع والقصر بها ومساجد كثيرة ببلاد الاندلس ووفد عليه جماعة بني امية فعظم الملك لهم وتجدد ماانطمس بالمشرق من معالم الخلافة لهم وفتح بلادا كثيره وغزا الافرنج فرجع بالظفر وعظمت دولته حتى كان من عزمه ان يجدد دولة بني مروان بالمشرق ولكن عاجلته منيته فهلك سنة ١٧٢ سنة فكانت مدة ملكه ٣٣ سنه — ثم تولى بعده ابنه هشام وكان نجيبا تقيا سلك بالرعية مسلك عمر بن عبد العزيز فتح بلادا كثيره بعد موت ابيه ومات سنة ١٨٠ — ثم تولى بعده ابنه الحكم بعهد من ابيه هشام فمال الى هواه وانهمك في لذاته وحاد عن مهيع ابائه فقام في وجهه اهل العلم والورع مثل يحيي ابن يحيي الليثي من اصحاب مالك وخلعوه وبايعوا بعض أقاربه فقاتلهم وفرق شمل العلماء فطمعت الافرنج في بلاده فقاتلهم وصد هجماتهم وقد عاذ الى رشده ووسع نطاق ملكه وهو اول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان اقوى ملوك بني امية بالاندلس يشبه أبا جعفر المنصور من العباسيين في شدة الملك وقمع الاعداء وتوفي آخر سنة ٢٠٦ ثم حكم هذه البلاد بعد من تقدم اثنا عشر ملكا من بني

امية فصلت بين التاسع والعاشر منهم دولة العلاوية بهذه البلاد وكان
اخرهم هشام بن محمد الملقب بالمعتمد على الله وقد انتهت سنة ٤٢٠
ثم وجدت بهذه البلاد عدة ممالك وامارات تعرف بملوك الطوائف
دب فيما بينهم التحاسد والتباغض فانهكت قوى بعضها بالحرب حتى
طمع فيهم من بقى من ملوك الاسبانيين فازاحوهم عن هذه البلاد ثم
نزح من بها من المسلمين لشدة الجور والظلم والاضطهاد الى بلاد المغرب
وبذلك رجعت هذه البلاد لحالتها قبل الفتح الاسلامي بعد ان
انجبت كثيرا من ائمة الفقه والحديث واساطين البلاغة والفلسفة
والطب والهندسة والهيئة وغيرها من العلوم والفنون التى يفتخر بها
الغربيون الان على الشرقيين منهم الامام يحيي بن يحيى الليثي راوى
الموطاء عن مالك بن أنس — والقاضى منذر بن سعيد البويطى
قاضى قرطبه — والامام ابو القاسم الشاطبي صاحب حرز الامانى فى
القراآت والامام المفسر القاضى ابو بكر محمد بن العربى وقد كان
اماما فى الاصول والفروع — والامام محمد بن مالك النحوى صاحب
التصانيف العديدة فى العربيه — وعبد الملك بن ابى بكر ابن زهر
وقد اشتهر بالطب — وعبد الله بن احمد البيطار وقد كان طبيبا ماهرا
له كتاب مشهور يعرف بمفردات ابن البيطار — وابو القاسم عباس
ابن فرناس كان حكيم الاندلس استنبط صناعة الزجاج من الحجارة
وهو اول من فك الموسيقى وصنع المثقال لمعرفة الاوقات وقد احتال
ان يسير فى الجو وكان ذلك ابتداعا منه فلم يحقق الاحتيال وقد رسم

فى بيته هيئة السماء وبروجها ومنهم الامام ابن رشد الذائع الصيت الذى استفاد الافرنج من فلسفته كثيرا ولا زالت كتبه الى الآن موضع الثقة

وقد ترك العرب ببلاد الاندلس من الآثار ما يشهد لهم بطول الباع فى الفنون والصنائع فخلد ذكرهم فى تلك الاصقاع التى آلت الى غيرهم. وفى ذلك عبرة لمن يتذكر

(سليمان بن عبد الملك)

سابع خلفاء بنى اميه بويع له بالخلافة بعد موت اخيه فسار بالعدل فى الرعية واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا وعزل ولاة الحجاج عن العراق واخرج من كان فى سجنه وولى يزيد بن المهلب على المصرين وامره بنكبة آل الحجاج وبسط انواع العذاب عليهم ولما تولى سليمان الخلافة خافه قتيبه بن مسلم الباهلى حيث كان وافق الوليد على خلع سليمان فعرض على الناس خلعه فلم يجبه احد وثاروا عليه فقتلوه مع احد عشر رجلا من اخوته واقاربه وبعد قتله تولى يزيد بن المهلب خراسان خلفا عنه

وفى سنة ٩٨ مات ملك الروم فجأ القسون الى سليمان واخبره وضمن له فتح الروم ثم سار سليمان الى وابق من بلاد الروم ففتحت فى مدته وبعث الجيوش مع اخيه مسلمه الى القسطنطينية فحاصرها واقاموا على ذلك حتى اتخذ بيوتا من الخشب وامر بالزراعة وصاف وشتى الى ان اجهد الحصار اهل القسطنطينية فسألوه الصلح

على الجزية دينارا على الراس فلم يقبل مسلمة فبعث الروم الى القون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فغدر القون وخان فى نصح المسلمين فاصابهم الجوع حتى اكلوا الدواب والجلود والشجر ولازال سليمان مقيما بوابق وقد حال الشتاء بينه و بينهم فلم يقدر ان يمدهم واستمر الحصار على القسطنطينية حتى جاء مسلمه الخبر بموت امير المؤمنين

وفى هذة السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وكانت تدفع الجزية فامتنعت فسار اليها ابن المهلب فى مائة الف سوى الموالى والمتطوعة فحاصر قوهستان حتى صالحه اهلها واهل جرجان

ثم طمع فى طبرستان فسار اليها وعرض صاحبها عليه الصلح فابى ابن المهلب من قبوله فكاتب اهل جرجان ان يعاونوه على ابن المهلب ووعدهم بالمكافاه فاجابوه وعظم ذلك على يزيد وانتشب القتال والحرب بينه و بين اهل طبرستان فهزمهم المسلمون وتتبعوهم فتحصنوا بالجبال وقطع اهل جرجان الرجعى على المسلمين فسعى يزيد فى الصلح بينه و بين اهل طبرستان فتم له على مال ياخذه منهم ثم عاهد الله ان ظفر باهل جرجان ليطحنن القمح على سائل دمائهم و ياكل منه فعاد اليهم وحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه يحاربونه و يرجعون متمنعين حتى اتاهم من خلفهم فانهزموا ونزلوا على حكم يزيد فقتل المقاتله وسبى الذريه وقاد منهم اثنى عشر الفا الى وادى جرجان ومكن اهل الثار منهم حتي وفى بعهده ثم بنى مدينه جرجان ولم تكن بنيت من

قبل وعاد الى خراسان بعد ان ولى على جرجان جهم بن ذخر الجعفى وفى سنة ٩٩ مرض سليمان بدابق من ارض قنسرين. فعهد بالخلافه لعمر بن عبد الغزيز — ومن بعده يزيد بن عبد الملك وكتب بذلك كتابا جاء فيه بعد البسملة هذا كتاب من عبد الله سليمان امير المؤمنين لعمر بن عبد الغزيز انى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد عبد الملك فاسمعوا له. واطيعوا واتقو الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم ومات فى صفر من تلك السنة وصلى عليه عمر بن عبد الغزيز

﴿ عمر بن عبد الغزيز ﴾

ثامن خلفاء بنى امية وهو عمر بن الغزيز بن مروان وامه ليلى. بنت عاصم بن عمر بن الخطاب تولى الخلافه بعهد من سليمان ثم قام فى الناس فحمد الله واثني عليه وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا وانى لست بقاض ولكنى منفذ ولست بمبتدع ولكنى متبع ولست بخير من احدكم ولكنى اثقلكم حملا وان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم حتي قال من اطاع الله وجبت طاعته ومن عصاه فلا طاعة له اطيعونى ما اطعت الله تعالى فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ثم كتب الى عماله بالآفاق بترك سب على على المنابر وابدال ذلك بقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان (الآية)

وفى سنة ١٠٠ هـ كتب عمر الى يزيد بن المهاب بالقدوم الى

الشام وكان يبغضه ويقول انه مراء واهل بيته جبابرة. ولما حضر عنده طالبه بالاموال التى كتب بها الى سليمان من خمس جرجان فقال يزيد لم يكن ذلك عن حقيقة فقال له عمر اتق الله وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها ثم حبسه بحصن حلب ولم يزل به حتى هرب منه فى مرضه سنة ١٠١ هـ ثم توفى عمر فى رجب من تلك السنة بدير سمعان (قرب معرة النعمان) جنوب مدينة حلب بعدان مكث سنتين وخمسة أشهر في الخلافه وعمره اربعون سنه ويقال انه مات مسموما وكان يلقب بالاشج لجراحة كانت برأسه من دابة رمحها وهو غلام. وقيل له لما مرض اوص يزيد بالامه فقال بماذا اوصيه انه من بني عبد الملك ثم كتب اليه (اما بعد فاتق يايزيد الصرعة بعد الغفله حين لاتقال العثره ولا تقدر على الرجعة انك تترك ما اترك لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعزرك والسلام) هذا ولقد نهج هذا الخليفة نهج الخلفاء الراشدين حيث نشر العدل بين الرعية ورد المظالم الى اهلها وامر بتدوين الحديث فجمع الزهرى ما امكنه جمعه وظهرت فى خلافته القصيره الفقهاء والمحدثون ولو دام عهده طويلا لانتفع به المسلمون كثيرا

(يزيد بن عبد الملك)

قام يزيد بن عبد الملك بامر الخلافة فى شهر رجب سنة ١٠١ هـ بعهد من اخيه سليمان بعد موت عمر رحمه الله وهو تاسع خلفاء بني امية اوصاة عمر بن عبد العزيز بكلمة جمعت صلاح الدنيا والدين سبق

يا نهما وكان الاجدر بيزيدان يسلك طريق الرشاد سيرة عمر بن عبد العزيز ولكن الله لم يوفقه فعمد الى كل شيء صنعه عمر مما يخالف هواه فرده وفى مبدأ خلافته خرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة حيث فر من سجن حلب ايام مرض عمر كما تقدم وسار الى اهله بالبصرة واستوثق من اهلها وعين عمالا لبلاد فارس وخطب الناس يدعوهم الى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد وان جهاد اهل الشام اعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم فنكر عليه الحسن البصرى وغيره ذلك ثم سار ابن المهلب فى جموعه حتى التقى بقرب الفرات مع مسلمه هناك يطاوله ثمانية ايام ثم عبى اصحابه واقتتلوا اشد قتال كانت عاقبته الهزيمة لابن المهلب ثم استمات فى القتال يريد مسلمه لاغيره فعطف عليه اهل الشام وقتلوه وبعثوا براسه الى يزيد بن عبد الملك واسروا كثيرا من اقارب المهلب فأمر بقتلهم ثم عفي عن باقيهم

وقبل توجه مسلمه لامر هذا القتال كتب يزيد العهد باشارة مسلمه لاخيه هشام ومن بعده لولده الوليد حيث كان سنه اذ ذاك احدى عشرة سنة ثم بلغ فى حياه يزيد ابيه فكان اذا رآه يقول الله بينى و بين من قدم هشاما عليك

وفى عهده انهزم المسلمون بارمينيه فولى الجراح بن عبد الله عليها وامده بجيش عظيم وسار لغزو الخزر وبث السرايا للاغارة عليهم فزحف جيش التركمان على المسلمين فقاتلوه حتى هزموه وغنم المسلمون كثيرا منهم ودخل تحت حوزة المسلمين بلاد كثيره من الخزر وصالح

الجراح الترك والتركمان على مال دفعوه اليه فكتب الى يزيد بالفتح وكان ذلك اخر حياة يزيد فهلك اواخر شعبان سنة ١٠٥ هـ فكان عمره اربعين سنة ومدة خلافته اربع سنين وشهرا

هشام بن عبد الملك بن مروان

عاشر خلفاء بنى امية تولى الخلافة بعد موت اخيه يزيد بعهد منه وكان بحمص فلما وصله البريد حضر الى دمشق ثم عزل عمر بن هبيره عن ولاية العراق وخراسان وقد ولاه عليها يزيد بن عبدالملك لسعاية محبوبته حبابة بعد ان عزل اخاه مسلمه وقد استعمل هشام مكانة خالد بن عبد الملك القسرى فسار الى العراق وقدغزت جيوش المسلمين لذلك العهد بلاد الترك والخزر وما وراء النهر فانتصروا عليهم فى كثير من وقائعهم ونالهم فى بعضها مجاعة وجهد ومخاطرات وقد انتهت بقتل خاقان وانهزام التركمان — وفى سنة ١٢٠ هـ عزل هشام خالد بن عبد الله عن جميع اعماله وكتب اليه ياابن ام خالد بلغنى انك تقول ماولاية العراق لى بشرف ياابن الخنا كيف لاتكون امرة العراق لك شرفا وانت من بجيلة القليلة الذليلة اما والله انى لأظن ان اول من يأتيك صقر من قريش يشد يدك الى عنقك فارسل يوسف بن عمر الثقفى على ولاية العراق بعدان اقام خالدا على ولايتها ١٥ سنه وفى ولاية يوسف أصاب العرب الذلة بالعراق وصار الحكم فيه الى اهل الذمة

وفى هذه السنه ولى هشام نصر بن سيار على خراسان فعمرت

عمارة ، امثلها واحسن الجباية ثم سار من بلخ وغزا بلاد ما وراء النهر وفتح سمرقند — والشاش وصار حتى وصل الى ارض فرغانة وفى خلافة هشام خرج زيد بن على بن الحسين بالكوفة داعيا الى جهاد الظالمين واعطاء المحرومين ورد المظالم فبايعه قوم من الكوفة ثم نقضوا فسماهم الرافضة وبقى معه جماعة قليلة قاتلوا معه جيش الشام الذى ارسله اليهم يوسف بن عمر حتى اصابه سهم مات منه و بعث براسه الى هشام فعلقت بدمشق .

وفى ربيع الآخر سنة ١٢٥ هجرية توفى هشام بالرصافة فكانت خلافته ٢٠ سنة تقريبا وقد كان عاقلا حليما عفيفا استراحت العرب لخلافته

***

الوليد الثانى بن يزيد بن عبد الملك

حادى عشر خلفاء بنى امية تولى الخلافة بعد موت عمه هشام بعهد من ابيه يزيد ولما لم يقلع عن هواه ومجونه وانكب على اللهو والركوب للصيد ومنادمة الفساق ثقل ذلك على رعيته وجنده وافسد عليه امره بنو عميه الوليد وهشام فثاروا عليه وقتلوه فى جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هجرية وكان ذلك بدء الاضطراب فى تلك الدولة والشقاق بين بنى امية

***

يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك

ثانى عشر خلفاء بنى اميه تولى الخلافة بعد قتل الوليد فلم يمكث بها الا ستة اشهر حيث توفى فى ذى الحجه سنة ١٢٦ هجرية وكان يلقب بالناقص وقد اشتهر بالصلاح والتقوى وقد عهد بالخلافة لاخيه ابراهيم من بعده ثم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك غير انه لم يتم ذلك فكان يسلم عليه تارة بالخلافة واخرى بالامارة

وفى ايامه خرج مروان بن محمد بن مروان مطالبا بدم الوليد ابن يزيد فحاصر مدينة دمشق بعد ان هزم سليمان بن هشام (بعين الجرجر) قرب قنسرين وقد هرب ابراهيم بن الوليد فبايع الناس له بالخلافة

***

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

ثالث عشر خلفاء بنى امية (باسقاط ابراهيم بن الوليد) تولى الخلافة سنة ١٢٧ هجرية وفى ايامه انتقض عليه اهل حمص وغيرها وخرج عليه سليمان بن هشام مطالبا بالخلافه فى جموع كثيرة فحصلت بينهما عدة وقائع اسفرت عن فوز مروان وهزيمه سليمان غير ان ذلك كان سببا فى ضعفه فلم يقدر على دفع الدعوة العباسية التى نمت ببلاد خراسان وظهرت على يد ابى مسلم بها و بايع اهل الكوفة لابى العباس السفاح ولما تمت بيعته ارسل عمه عبدالله بن على لقتال مروان فسار اليه ولاقاه باحد فروع الدجله المعروف بالزاب فانهزم مروان ولا زال ينتقل من بلد الى آخر والجيوش العباسيه فى اثره حتى دخل

مصر فوافته منيته (ببوصير) و بقتل مروان فى آخر ذى الحجه سنة ١٣٢ هجرية انتهت الدولة الامويه — وتمتاز هذه الدولة بعربيتها المحضه حيث لم يكن لغير العنصر العربي فيها حول ولا قوة

وفي عهدها اتسعت حدود المملكه الاسلامية من جهة المشرق والمغرب والشمال فاضافت الى املاكها بلاد السند — وقسما عظيما من بلاد التركستان حتى مدينة كاشغر على حدود الصين كما اضافوا اليها من الشمال كثيرا من حصون الروم ومعاقلهم وقد انشيء في عهدها اسطول قوى فى البحر الابيض المتوسط فهابتهم دولة الروم واشتغل الناس كثيرا بالعلوم الدينية والادبية حتى كان لعلماء العربية وشعرائها فى هذه الدولة حظ عظيم

غير انها استبدت بالامر فلم تكن الشورى لها منهجا كما كان ذلك لدولة الخلفاء الراشدين فضلا عما كان في ايامها من الوقائع الثلاث واشتهار بعض عمالها بالجور والظلم فلم يكبر اسمها فى نظر المسلمين.

***

دولة العباسيين

تنسب هذه الدولة الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبتدىء من اليوم الذى بويع فيه عبدالله السفاح بالكوفة سنة ١٣٢ هجرية وتنتهى بقتل عبدالله المستعصم سنة ٦٥٦ هجرية حينما دخل التتار مدينة بغداد وعدد خلفائها سبعة وثلاثون

خليفة ويقال لها دولة الشيعه حيث تأسست على ايديهم وذلك ان اهل البيت كانوا يرون انهم احق بهذا الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح ان العباس قال لعلي فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى مات فيه (اذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا) فقال له علي ان منعناها لا يعطيناها الناس بعده وبقى ذلك معروفا من اهل البيت واشياعهم وقد تشيع جماعة لعلي فى قصة الشورى وتأففوا لما عدل عنه الى عثمان منهم الزبير بن العوام وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود الا ان القوم لرسوخ قدمهم فى الدين وحرصهم على الالفة لم يزيدوا فى ذلك على النجوى ولما فشى النكير على عثمان والطعن عليه تشيع عبد الله بن سبأ لعلي بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وقد تمحضت شيعته للاستماتة معه فى حرب معاويه ولما خرج الحسن عن الخلافة لمعاوية سخطت عليه شيعة ابيه وكتبوا الى الحسين بالدعوة فامتنع حتى يهلك معاويه فاتوا محمد بن الحنفيه وبايعوه فى السر على طلب الخلافة متى امكنه غير ان معاوية كان يسامحهم فى دعوى تقدمهم واستحقاقهم الى ان مات وولى يزيد وكان من امر الحسين ما كان فتوغلت الشيعة فى شأنهم وندموا على ما صنعوا ورأوا ان لا كفارة لذلك الا الاستماتة وسموا انفسهم التوابين — ثم خرج المختار بن ابى عبيد الثقفي ودعا لمحمد بن الحنفية وفشى التعصب لاهل البيت بما خرج عن حدود الحق واختلفت

مذاهب الشيعة فيمن هو احق بالامر من اهل البيت وبايعت كل طائفة لصاحبها سرا ورسخ الملك لبني امية وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم ثم خرج زيد بن علي بالكوفة سنة ١٢١ فاجتمع عليه عامة الشيعة ورجع بعضهم عنه لثنائه على الشيخين واقامت الشيعة بعد قتل زيد تدعوا للرضا من آل محمد ولا يصرحون باسمه خوفا عليه من بني امية وكانت شيعة محمد بن الحنيفة أكثر اهل البيت ويرون ان الامر بعده لابنه عبد الله وكان يتردد على سليمان بن عبد الملك فمرض بالطريق فنزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فاوصى له بالامر واعلم شيعته بالعراق وخراسان بذلك

ولما مات قصدت الشيعة محمد بن علي فبايعوه سرا وبعث معهم الدعاة الى الامصار ايام عمر بن عبد العزيز واجابه عامة اهل خراسان وتوفي محمد سنة ١٢٤ وعهد لابنه ابراهيم الملقب بالامام وفي سنة ١٢٨ وجه ابراهيم الامام ابا مسلم الخراساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم الى خراسان وعمره ١٩ تسع عشرة سنة وكتب الى اصحابه (اني أمرته بامري فاسمعوا له واطيعوا وهو امير على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك وقال له انزل في اهل اليمن وأكرمهم فان بهم يتم الامر واما مضر فاحذرهم واقتل من شككت فيه وارجع الى (سليمان ابن كثير) من اكابر رجال الشيعة وفي سنة ١٢٩ بعث ابراهيم الامام كتابا الى ابي مسلم يأمره فيه باظهار الدعوة ومعه راية النصر فلبس السواد هو ومن معه واجتمع عليه كثير ممن اجاب الدعوة

وحضر عيد الفطر فصلى بهم سليمان بن كثير و بدأ بالصلاة قبل الخطبة مخالفا فى ذلك سنة بنى امية .

ولما قوى امره بمن اجتمع عليه كتب الى نصر بن سيار والى خراسان (وكان مشتغلا وقتئذ بمحاربة الكرمانى بمرو)

(أما بعد فان الله تباركت أسماؤه عير قوما فى القرآن فقال ــ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليقولن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فاستعظم نصر الكتاب و بعث مولاه يزيد لمحاربة ابى مسلم لثمانية عشر شهرا من ظهوره فظفر بهم مالك بن الهيثم واسر يزيد فاحسن اليه ابو مسلم وعالجه حتى اندملت جراحه وخيره فى الانصراف الى مولاه ولما استيقن ابو مسلم ان كلا من الكرمانى ونصر اثخن صاحبه سار حتى نزل بينهما فهابه الفريقان وانضم الى الكرمانى واحتال نصر حتى قتل الكرمانى فبايع ولده ابو مسلم وقاتلوا نصرا حتى اخرجوه من دار الامارة بمرو وكتب نصر الى مروان يستنجده لما راى كثرة جموع ابى مسلم بقوله

***

أرى بين الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون لها ضرام

فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب اولها الكلام

فان لم تطفؤها تجرجوها * مسجرة يشيب لها الغلام

اقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ امية ام نيام
فان يك قومنا اضحوا نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
تعزى عن رجالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

ولما وصل مروان الكتاب كان مشتغلا بالحرب فكتب (الشاهد يرى مالا يرى الغائب) غير انه بعث الى عامله بالبلقاء بأمره بارسال ابراهيم ابن محمد مشدود الوثاق فحبسه حتى مات بسجنه بحران

وقد عهد بالامر الى اخيه ابى العباس عبدالله السفاح وامر اهل بيته باللحاق بالكوفة ثم هرب نصر بن سيار من خراسان واجتهد ابو مسلم حتى اخضع بلاد خراسان وغيرها وخرج للقاء قواده يزيد بن هبيره والى العراق

***

عبدالله السفاح

هو ابو العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس اول الخلفاء العباسين ظهر بالكوفة سنة ١٣٢ وبايعه الناس بالخلافة فى ربيع الاول ثم خرج الى المسجد فخطب وصلى بالناس وصعد المنبر ثانيا وخطب خطبة بليغة اتى فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما يدل على شرف اهل البيت وذكر احقيتهم فى الامر وميراثهم له ثم قال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا بالامر من بعده وامرهم شورى بينهم حووا مواريث الامم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها واعطوها اهلها وخرجوا خماصا منها ثم وثب بنو حرب

و بنو مروان . فابتذوها وتداولوها بينهم فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فاملى الله لهم حينا حتى آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بايدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا امتنا وولى نصرنا والقيام بامرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الارض وختم بنا كما افتتح بنا وانى لارجو الا يأتيكم الجور من حيث اتاكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا اهل البيت الا بالله يأهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل اهل الجور عليكم حتى ادركتم زماننا واتاكم الله بدولتنا فانتم اسعد الناس بنا واكرمهم علينا وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المنيح وقد كان السفاح موعوكا فاشتد عليه المرض حتى حبس فقام عمه داود بن على فاتى بخطبة بليغة على نحو خطبة السفاح ثم نزل ابو العباس وداود بن على امامه حتى دخل القصر واجلس اخاه ابا جعفر المنصور يأخذ البيعة على الناس فى المسجد وارسل عمه عبد الله بن على لمحاربة مروان ابن محمد كما سبق فى خلافته

ثم تتبع السفاح بنى مروان بالقتل حتى طلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وبعد انما ابن سليمان بن هشام دخل عليه اسديف مولاه يوما وعنده سليمان فقال

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان بين الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع الصوت حتى * لا ترى على ظهرها امويا

فأمر السفاح به فقتل ويقال ان عبدالله بن على قتل تسعين من بنى اميه فى يوم واحد ونبش قبور الخلفاء منهم ولم يفلت منهم الا الرضعاء او من هرب الى الاندلس كعبد الرحمن بن معاوية بن هشام وغيره ممن تبعه من قرابته ولم يدخلوا فى دعوة العباسين فانقسمت لذلك دولة الاسلام الى دولتين لافتراق عصبية العرب وكان ذلك بدء سنة الافتراق مما ادى الى ضعف تلك الامة الذى وقعت بسببه الآن فى الذل والهوان نسأل الله سبحانه وتعالى ان يجمع شملها كى يسود عزها ويعود مجدها.

ثم ارسل عبدالله السفاح اخاه ابا جعفر الى يزيد بن هبيره وقد تحصن بواسط فحاصره احد عشر شهرا اظهرت فيها الطائفتان الكفاءة الحربية وجرت السفراء بين ابى جعفر وابن هبيره حتى اعطاه الامان غير انه قتله بعد ذلك بامر عبدالله السفاح وقد كان زمنه مملوءا بالاضطرابات شأن نشأه الدول حتى طمعت دولة الروم فاخذت بعض ثغور المسلمين ..

ثم عهد بالامر لاخيه ابى جعفر ومن بعده لعيسى بن اخيه موسى وجعل العهد فى ثوب وختمه بخواتيمه واهل بيته ودفعه الى عيسى وتوفى فى ذى الحجه سنة ١٣٦ هجرية

﴿ ابو جعفر المنصور ﴾

هو ابو جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن

عباس تولى الخلافة بعد موت اخيه ولما وصله الخبر بموت اخيه وهو بمكه جزع واستدعى ابا مسلم فاقرأه الكتاب فبكي واسترجع وسكن ابا جعفر فقال له المنصور اخاف شر عبدالله بن على فقال له ابو مسلم انا اكفيكه واقبل حتى قدم الانبار فسلم اليه عيسى بن موسى بيوت الاموال والدواوين واستقام له الامر غير ان عبدالله بن على خرج عليه ودعى لنفسه وقال ان السفاح قد عهد الي حيما انتدبنى لمحاربة مروان بن محمد وشهد له بذلك بعض القواد وسار حتى اتى نصيبين فوافاه بها ابو مسلم بجيش ابى جعفر المنصور فحارب به حتى هزم عبدالله بن على واخوه عبد الصمد فكتب ابو مسلم الى المنصور بذلك فارسل اليه مولاه ابا الخصيب يحصى ما اصاب فغضب ابو مسلم وهم بقتله وقال انا امين على الدماء خائن فى الاموال وشتم المنصور فرجع ابو الخصيب الى مولاه فاخبره وكان ابو جعفر يبغض ابا مسلم فاضمر له السوء وطلب منه حضوره بين يديه فكتب اليه ابو مسلم وهو بالزاب (انه لم يبق لامير المؤمنين اكرمه الله عدو الا امكنه الله منه وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان ان اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء فنحن نافرون عن قربك حارصون على الوفاء لك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعد حيث يقارنها السلامة فان ارضاك ذلك فانا كاحسن عبيدك وان ابيت الا ان تعطى نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضنا بنفسى

وقد احتال المنصور حتى احضره لديه وقتله وقد كان شجاعا ذا رأى وعقل وتدبير وحزم ومروءة قيل له بما نلت ما انت فيه من القهر للاعداء فقال ارتديت الصبر وآثرت الكتمان وحالفت الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همتي وادركت نهاية بغيتي — ثم اعطى المنصور الامان لعمه عبدالله بن على وقواده ومواليه ولما حضر عنده من البصره حبسه وقتل بعض اصحابه ولم يزل محبوسا حتى مات

وممن خرج على المنصور محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن على وظهر بالمدينة حتى تبعه كثير من الناس فارسل اليه المنصور عيسى بن موسى حتى وصل المدينة وقد خندق محمد عليها فناداهم عيسى بالامان فلم يقبلوا وقاتلوه حتى قتل محمد بن عبدالله ثم خرج اخوه ابراهيم بعد موته بالبصرة حتى قتل و بعث برأسه الى المنصور فبكي وقال والله انى كنت لهذا كارها

وفى سنة ١٤٦ هـ ابتداء المنصور فى بناء مدينة بغداد وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه (بالهاشمية) وهم قوم من اتباع ابى مسلم يقولون بالتناسخ والحلول وذلك انهم ثاروا عليه بقصره فدافع عنه (معن بن زائدة) وكان مستخفيا فعفى عنه واثني عليه

حيث كتب الى الجهات باختيار العمال والصناع وارسالهم اليه واختار ذوى الفضل والعدالة والمعرفة بالهندسة واحضرهم لذلك و وضع بيده اول لبنة وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها

من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله وجعلها مدوره وقصره وسطها والمسجد الجامع بجوار القصر وعمل لها سور بن الداخل اعلى من الخارج والطرق اربعين ذراعا وقد بلغت النفقة عليها اربعة ملايين وثمانية وثلاث وثلاثون الف درهم .

ثم ارتقت حضارة بغداد حتى صارت اعظم بلدان المسلمين وكثر سكانها وتقدمت فيها العلوم والمعارف والصنايع .

ولما رجع المهدى من خراسان بنى له المنصور مدينة الرصافه وعهد المنصور لولده المهدى من بعده واخر عيسى بن موسى عنه .

وفى خلافته خرج قسطنطين ملك ملك الروم فاخذ ملطية عنوه وهدم سورها وعفى عن المقاتلة من اهلها فغزا العباس بن محمد ملك الروم ومعه عماه صالح وعيسى وبنى ما خربه الروم من سور ملطية وانزل بها الجند وتوغل فى ارضهم ثم كان الفداء الذى جرى بين قسطنطين والمنصور وفى سنة ١٥٨ ه توفى المنصور ببئر ميمون است خلت من ذى الحجه بعد ان احرم بالحجه والعمره ثم دفن بمكة .

واوصى ابنه المهدى عند وداعه بما يدل على خبرته باقامة الملك وحرصه على حفظ الدين ومصالح الرعية منها قوله (يا بنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى امته يحفظك الله و يحفظ عليك امورك واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم والزم الحدود فان فيها صلاحك فى الآجل والعاجل ولا تعتد فيها فتبور فان الله تعالى لو علم ان شيئا اصلح منها لدينه وازجر عن معاصية لامر به فى كتابه واعلم ان من

شدة غضب الله لسلطانه امر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب علي من سعى في الارض فسادا مع ما ادخر له من العذاب الاليم (فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا) الاية فالسلطان يا بنى حبل الله المتين ودينه المقيم فاحفظه وحصنه وذب عنه واوقع بالملحدين واقمع المارقين منه وقاتل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما امر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك اقطع للشغث واحسم للعدو وانجع فى الدواء وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والتبديد لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبل وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعد الاموال واخزنها فان النوائب غير مأمونة وهى من شيم الزمان

وأعد الاكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم لغد فتتداول الامور وتضيع وخذ فى احكام الامور والنازلات فى اوقاتها أولا أولا وأعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن وأسىء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك وسهل (اذنك للناس ولا تنم فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبة مستيقظ هذه وصيتى اليك والله خليفتى عليك)

هذا ولقد كان المنصور من احسن الناس خلقا ما لم يخرج الى

الناس واشد احتمالا لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثيابه تغير لونه وتربد وجهه واحمرت عيناه فيخرج منه ما يكون وكان يقول (ما كان احوجني الى ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم قيل له يا امير المؤمنين من هم قال هم اركان الملك ولا يصلح الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ان نقصت واحدة وهي اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم — والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى — والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني والرابع — ثم عض على اصبعه ثلاث مرات يقول في كل مره آه آه قيل له ومن هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة

وكان المنصور يشغل صدر نهاره بالامر والنهي والولايات والعزل — وشحن الثغور — والاطراف — وأمن السبل — والنظر في الخراج — والنفقات — ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم — والتلطف لسكونهم وهدئهم فاذا صلى العصر جلس لاهل بيته الا من أحب ان يسامره فاذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف والآفاق — فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه فاسبغ وضوءه وصف في محرابه حتى يطلع الفجر ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه

وقد انقضي عهده في قمع الفتن وتمكين الملك وليس فيه فتح جديد

***

خلافة المهدى

هو محمد بن ابى جعفر المنصور ثالث خلفاء بني العباس تولى الخلافة بعهد من ابيه فى منتصف ذى الحجة سنة ١٥٨ ھ وكان اول عمل بدأ به ان اطلق من كان فى حبس المنصور الا من كان فى دم او مال او ممن يسعى فى الارض فسادا وقد كانت ايام خلافته هادئة حيث سكن ابوه عجاجها ولذلك كان فى قلبه رأفة ورحمة على رعيته ولم يخرج فى عهده سوى المقنع حيث ظهر بخراسان وكان يقول بالتناسخ وتبعه كثير من الناس فارسل اليه المهدى القواد والجيوش فحاربوه وحاصروه حتى احرق نفسه واهله ثم خاض جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى فى خلع عيسى بن موسى من العهد والبيعة لموسى الهادى بن المهدى ونمى ذلك الى المهدى فسر به وثارت الشيعة على عيسي بن موسى

فاظهر المهدى النكير عليهم وادى ذلك الى خلع عيسى بن موسى نفسه من ولاية العهد فاعطاه المهدي عشرة آلاف درهم وضياعا وبايع الناس لموسى الهادى وفى سنة ١٦٠ ھ حج المهدى واستخلف على بغداد ابنه الهادى ولما وصل الى مكة اهتم بكسوة الكعبة فكساها بافخر الكسوة بعد ان نزع ما كان عليها

من كسوة هشام بن عبد الملك وقد كانت من الديباج الثخين وقسم مالا عظيما هنالك فى مصارف الخير ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واجرى الارزاق ولما رجع امر ببناء القصور بطريق مكة وباتخاذ المصانع فى كل منهل وحفر الآبار فكان ذلك اصلاحا عظيما فى داخل ملكه وفى عهده تجهز لغزو الروم فخرج من بغداد ومعه ابنه هرون بعد ان استخلف عليها ولده الهادى .

وسار حتى وصل جيحان وسير الرشيد لغزو الروم ومعه عيسى بن موسى — والحسن بن قحطبه — ويحيي بن خالد بن برمك فنزل على حصن سمالو وحاصره اربعين يوما ثم فتحه بالامان وتوغل فى بلاد الروم وعاد سالما سنة ١٦٣ هـ ثم بعثه مرة اخرى سنة ١٦٥ هجرية فتوغل في بلاد الروم فهزمهم وغلب على عسكرهم وجال فى بلادهم بعسكره وكان نحوا من مائة الف حتى بلغ خليج قسطنطنية فصالحته الروم على سبعين الف دينار كل سنة وكانت مدة الصلح ثلاث سنين ولا زالوا على الصلح حتى دخلت سنة ١٦٨ هجرية فنقضوا ما كان جرى بينهم وبين هرون الرشيد من الصلح وغدروا فوجه على بن سليمان والى الجزيرة — وقنسرين يومئذ يزيد بن بدر البطال الى الروم فدخل ارضهم بجيشه وعاد غانما ظافرا ولما راى المهدى النجابة تلوح على ابنه هرون بعد غزوه الروم الغزوة الكبرى اخذ البيعة على قواده وعماله له بعد موسى اخيه ولقبه بالرشيد وفى سنة ١٦٩ هجرية عزم المهدى على تقديم ابنه هرون على ابنه موسى

وقد كان بجرجان فبعث اليه بذلك فامتنع فسار اليه المهدى ولكن لم يتمكن من انفاذ عزيمته حيث عاجلته منيته بالطريق فصلي عليه ابنه الرشيد ودفن بقريه الرذ

***

خلافة موسى الهادى

هو موسى الهادى بن محمد المهدى رابع خلفاء بني العباس تولي الخلافة بعهد من ابيه سنة ١٥٩ ه بعد موت ابيه وقد كان بجرجان يحارب اهل طبرستان فعاد الى بغداد واشتد في طلب الزنادقة حتى قتل كثيرا منهم وقد كان شديد البغض لاخيه هرون فاراد خلعه والبيعه لولده جعفر فحضر عنده يحى بن خالد بن برمك مستميتا وقال ياأمير المؤمنين (انت ان حملت الناس على نكث الايمان فيه هانت عليهم فيمن توليه وان بايعت بعده كان ذلك اوثق للبيعة) فاثرت مقالته فيه وصرفه ثم خرج المهدى الى حديقة الموصل فمرض واشتد مرضه حتى توفى فى ربيع الاول سنة ١٧٠ ه وصلي عليه اخوه الرشيد

***

خلافة هرون الرشيد

هو هرون الرشيد بن محمد المهدى خامس خلفاء بني العباس

تولى الخلافة بعد وفاة اخيه بعهد من ابيه وامه ام ولد يمانية تسمى بالخيزران ولدته بالرى فى ذى الحجة سنة ١٤٥ ه وقد ارضعته ام الفضل زوجة يحى بن خالد بن برمك بلبان فضلها كما ارضعت الخيزران الفضل بلبان رشيدها ولما تولى استوزر يحى بن خالد البرمكي وقال له (قد قلدتك امر الرعية فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت) ودفع اليه خاتمه

وكانت دولة العباسيين فى عهد الرشيد قد تناهت قوتها ونفوذها واتسعت فيه معارف الامة وآدابها حيث نظر امير المؤمنين الى حالة البلاد الداخلية ادبيا وماديا فقد كان اكثر الخلفاء عطاء واحرصهم على مجالسة العلماء والزهاد رغب فى تعليم علوم الدين والادب حيث كتب الى الامراء (اما بعد فانظروا من جمع القرآن وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه فى الفي دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستبحر فاكتبوه فى اربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر المعروفين به من علماء عصركم فاسمعوا قولهم واطيعوا امرهم) قال ابن المبارك فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للمحرمات بعد ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء والصحابة اكثر منهم فى زمن الرشيد وايامه لقد كان الغلام يستبحر فى الفقه ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين

وهو ابن احدى عشرة سنه وفى سنة ١٨٦ هـ حج الرشيد ومعه اولاده الثلاثة — محمد الامين — وعبد الله المأمون — والقاسم

وكان قد ولى الامين العهد وولاه العراق والشام الى اخر المغرب وولى المأمون العهد بعده وولاه على خراسان الى اخر المشرق وبايع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه بالمؤتمن وجعل خلعه واثباته للمأمون وولاه على الجزيرة والثغور ولما وصل مكه احضر الفقهاء والقضاه والقواد وكتب كتابا اشهد فيه على الامين بالوفاء للمأمون وآخر على المأمون بالوفاء للامين وعلق الكتابين بالكعبه وجدد عليها العهود هناك

وبعد ان عاد من الحج اوقع بالبرامكه فقتل جعفر بن يحى بن خالد البرمكى وحبس اخاه الفضل وأباه يحى وقد كانو كواكب ملكه سارت بجودهم الامثال وكانوا اهل ادب وفصاحة ومروءة وقد اوغر المنافسون لهم صدر الرشيد عليهم حتى فعل بهم ذلك

وقد رثى البرامكة كثير من الشعراء منهم ابو نواس ومن مراثيه

ان يغدر الزمن الخؤون بنا فقد
غدر الزمان بجعفر ومحمد
حتى اذا اوضح النهار تكشفت
عن قتل اكرم هالك لم يلحد
والبيض لولا انها مأموره
ما فل حد مهند بمهند

يا آل برمك كم لكم من نائل
ونداً كعد الرمل غير مصرد
ان الخليفة لا يشك اخوكمو
لكنه فى برمك لم يولد
ملك له كانت يد فياضه
ابدا تجود بطارف و بمتلد
كانت يد اللجود حتى غلها
قدر فأضحى الجود مغلول اليد

وفى خلافتـه غزى الروم عدة عزوات كان يخرج فى بعضهـا وافتتح حصن الصفصاف و بلغت جيوشه انقره

ولا زال يغزوهم حتى طلبوا الصلح سنة ١٨٧ ﻫ فتم ذلك على يد القاسم بن الرشيد ولما تملك على الروم نقفور نقض الصلح وكتب الى الرشيد (من نقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب اما بعد فان الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل امثالها اليهـا لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من اموالها وافتد نفسك والا فالسيف بيننا و بينك) فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يستطيع احد ان ينظر اليه وكتب على ظهر الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من هرون امير المؤمنين الى نقفور قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام) ثم سار

من يومه حتى بلغ هرقله ففتحها وغنم وخرب وحرق حتى طلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه كل سنة فاجابه الرشيد الى ذلك ورجع حتى وصل الرقة فنقض نقفور العهد وخان الميثاق وكان البرد شديدا ولذلك امن نقفور من رجعة الرشيد اليه ولما جاء الخبر بنقضه لم يستطع احد اخبار الرشيد بذلك اشفاقا عليه وعلى انفسهم من الكرة فى تلك الايام غير انهم احتالوا على ذلك باحد الشعراء فقال بين يديه قصيدة منها

نقض الذى اعطيته نقفور
فعليه دائرة البوار تدور
ابشر امير المؤمنين فانه
غنم اتاك به الاله كبير

فلما فرغ الشاعر قال او قد فعل نقفور ذلك وكر راجعا فى شد محنة واغلظ كلفة حتى اناخ بديارهم فلم يبرح منها حتى رضي وبلغ ما اراده وفى سنة ١٩٣ هـ توفى الرشيد وهو ذاهب الى خراسان ودفن بطوس وصلي عليه اينه صالح فكانت خلافته ٢٣ سنه وترك ببيت المال تسعماية الف الف دينار — وكان من حاله ايام خلافته ان يغزو عاما و يحج عاما و يصلى كل يوم مائة ركعة و يتصدق بالف درهم واذا حج حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم واذا لم يحج انفق على ثلثمائة حاج وكان يقتدي بجده المنصور الا فى بذل المال فلم ير خليفة قبله ابذل منه للمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن

ميالا الى اهل الادب والفقه و يكره المراء فى الدين

ثم بايع الناس لولده محمد الملقب بالامين واقام المأمون بخراسان يتولى امرها حسب كتاب العهد واهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه ولكن وزراء السوء وحاشية الشر زينوا للامين خلع اخيه المأمون وان يعهد لابنه موسى ولضعف رأيه وافقهم على ذلك وتبعه فى رأيه القواد عدا خزيمة بن حازم حيث قال له (يا امير المؤمنين لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك و بيعتك فان الغادر مخذول والناكس مغلول) غير انه لم يصغ لذلك وسار فى غروره حتى علم الناصح من الغاش و بعد ان اخذ المواثيق التى كانت بالكعبه ارسل جيشا يقوده على بن عيسى بن ماهان لحرب اخيه المأمون فارسل المأمون جيشا يقوده طاهر بن الحسين فالتقى الجيشان خارج الرى فانهزم جيش الامين وقتل قائده فكتب طاهر الى المأمون (بسم الله الرحمن الرحيم كتابى الى امير المؤمنين ورأس على بن عيسى فى يدى وخاتمه فى اصبعي وجنده مصرفون تحت امري والسلام و بعد هذا امر المأمون ان يخطب له على المنابر و يخاطب بامير المؤمنين و بايعه اهل الحجاز و بعد حروب كثيره ولعت بين طاهر ابن الحسين وجيوش الامين سار الى بغداد وحاصرها ثم دخلها وقتل الامين وكتب الى المأمون بذلك فكان الامين اول خليفة قتل من بنى العباس وذلك فى صفر سنة ١٩٨ هـ

***

خلافة المأمون

هو عبد الله المأمون بن هرون الرشيد سابع خلفاء بني العباس تولى الخلافة بعد قتل اخيه محمد الامين سنة ١٩٨ ه وكان يرى الثقة في علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي رضي الله عنهم فجعله ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضى من آل محمد صلي الله عليه وسلم وامر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة وكتب بذلك الى الآفاق فكان ذلك داعيا لغضب العباسيين عليه وقيام ابراهيم بن المهدى داعيا للخلافة وخلع المأمون فبايعه اهل بغداد وما حولها

ولما علم المأمون بذلك خرج من مرو سنة ٢٠٢ ه يريد بغداد ومعه علي الرضي فمات بالطريق ودفن بجوار هرون فبعث المأمون الى اهل بغداد يعتذر من عهده اليه وانه قد مات ويدعوهم الي الرجوع بطاعته ثم اختلف اصحاب ابراهيم المهدي عليه وعزموا على تسليمه لعدوه فاختفى في منتصف الحجه سنة ٢٠٣ ه ولا زال مختفيا حتى اخذ في سنة ٢١٠ ه حينما كان متنقبا في زي امرأة يمشي بين امرأتين فارتاب فيه بعض العسس فاخذ ولما مثل بين يدى المأمون انبه فيما كان منه فاعتذر بالمنظوم والمنثور من الكلام فعفى عنه وبدخول المأمون مدينة بغداد سنة ٢٠٤ ه هدأت الفتن وهدأت الناس وفي

عهده افتتح عبد الله بن حرداذبه والى طبرستان (االارز — والشيرز من بلاد الديلم) وزادهما فى بلاد الاسلام وافتتح جبال طبرستان وانزل شهريال بن شروين عنها واسرابا ليـل ملك الديلم وفى ايامه ايضا جهز زيادة الله بن الاغلب عامله بافريقية جندا عظيما لفتح صقليه فسار اليهـا بحرا وفتحوا اكثر مدنهـا وفى سنة ٢١٥ هـ خرج المأمون من دار السلام لغزو الروم بنفسه فسار حتى وصل الى طرسوس ودخل بلاد الروم فافتتح حصن قرة عنوه وهدمه كما افتتح غيره من حصون الروم وعاد الى الموصل فبلغه ان الروم اغاروا على طرسوس — والمصيصة واثخنوا فيهم بالقتل فكرراجعا حتى اقتتح كثيرا من معاقلهم واناخ على هرقله حتى استأمنوا وصالحوه و بعث اخاه المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا منها مطموره

وارسل يحى بن اكثم فاثخن فى البـلاد وقتـل وسبي وفى سنة ٢١٧ هـ رجع الى بلاد الروم غازيا فكتب اليـه نوفيل صاحب الروم يطلب المهادنة

فقال (اما بعد فان اجتماع المختلفين على حظهما اولى بهما فى الرأى مما عاد بالضرر عليهما ولست حريا ان تدع لحظ يصل الى غيرك حظا تحوذه الي نفسك وعلمك كاف عن اخبارك وقد كنت كتبت اليك داعيا الي المسالمة راغبا فى فضيله المهـادنة لتضع اوزار الحرب عنا ويكون كل واحد لـكل واحد وليا وحزبا مع اتصـال المرافق والفسح فى المتاجر وفك المستأسر وامن الطرق فان ابيت فلا

ازخرف لك فى القول فانى لخائض اليك غمارها شان خيلها ورجالهـا وان افمل فبعد ان قدمت المعذره واقمت بيني وبينك علم الحجـة والسلام) فكتب اليه المأمون (اما بعد فقد بلغنى كتابك فيما سالت من الهدنة ودعوت اليه من الموادعة وخلطت فيه من اللـين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الاسارى ورفع القتل والقتال فلولا ما رجعت اليه من اعمال التـؤدة والاخذ بالحظ فى تقليب الفـكرة لجعلت جواب كتابك لخيلا تحمـل رجالا من اهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونـكم عن ثكلكم ويتقربون الى الله بدمائكم ويستقلون فى ذات الله ما ناله من الم شوكتـكم ثم أوصل اليهم من الامداد وابلغ لهم كافيا من العدة والعتادهم اظمـأ الي موارد المنايا منكم الى السلامة من مخوف معرتهم عليـكم موعدهم احدى الحسنيين عاجل غلبة او كريم متقلب غـير انى رأيت ان اتقدم اليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدانية والشريعة الحنيفية فان ابيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظره وان تركت ذلك فني يقين المعـاينة لنعوتنا ما يغنى عن الابلاغ فى القول والاغراق فى الصفـة والسلام على من اتبـع الهدى)

ثم مرض المأمون سنة ٢١٨ ﻫ ومات بطرسوس وصلى عليـه اخوه المعتصم وقد عهد اليه بالخلافة قبل موته هذا ولقد كان المـأمون احسن بنى العباس خلقا نقادا للشعر محبوبا لرعيته ميالاً لمجالس العلم

والمناظرة شجع العلماء بالصلاه الوافرة فراجت فى عصره سوق العلم رواجا عظيما

فكان ديوانه نادي العلماء والإدباء يتناظرون ويتباحثون حتي اتسعت دائره الافكار ورقت المدارك غير ان الشغف بالمناظرة قد يؤدي الي الشطط والخروج من جادة القول وصوابه من ذلك ان زعم المأمون بخلق القرآن الشريف ويا ليته وقف عند ذلك فتحمل مسؤلية نفسه فقط ولكنه تجاوز الى مسؤلية غيره ايضا حيث كان يكتب الى العمال ان يحملوا العلماء والفقهاء على اعتقاد ذلك ومن لم يعتقد ذلك ويقل به منهم فيحرم من الفتيا في السر والعلانية وقرآة الحديث

وفى عصره ترجم كثير من كتب العلوم العقلية اليونانية وغيرها الي اللغة العربية وقدرت الدرجة الارضية ونمت الثروة الاهلية وكانت مالية الدولة في زمنه اعظم منها فى زمن غيره وفى عهده عم بساط الراحة والامن جميع اطراف مملكته واتسعت دائرة التجارة وامتدت الفتوحات غير ان نفوذ العمال من العرب قل فأخذ يتلاشي حيث كانت ثقته بخط العجم والترك من خراسان وغيرها فمد اليهم اياديه وأسبغ عليهم النعمة وقلدهم اسمى المناصب من ذلك الفضل ابن سهل حيث ولاه علي المشرق كله وعقد له لواء ذا شعبتين ولقبه ذا الرياستين الحرب — والعلم وقد جرى علي خطة ابيه وعمل بنصيحة جده المنصور لابنه المهدي

﴿ خلافة المعتصم ﴾

هو ابو اسحاق المعتصم محمد بن هرون الرشيد ثامن خلفأ بنى العباس بويع له بالخلافة بعد موت اخيه عبد الله المأمون في شهر رجب سنة ٢١٨ ء

وكانت ايامه ايام حروب واضطرابات حيث خرج عليه محمد القاسم العلوى بخراسان فأسر وحبس ثم غلب قوم من اخلاط الناس على طريق البصره وافسدوا البلاد فحاربهم حتى فرق شملهم وقتل واسر كثيرا منهم ثم اخذت جيوشة

تحارب بابك الخرمي بعد ان بنى ما كان خربه بابك من الحصون وشحنها بالرجال وقد دامت تلك الحرب اياما طوالا كانت عاقبتها اسر بابك وعائلته على يد افشين التركي قائد المعتصم وبأسره استنقذ من يديه من المسلمات واولادهن سبعة آلاف وسيمائة انسان وفتحت مدينة بذ ودخلها المسلمون

ولما علم ملك الروم ما فيه المعتصم من محاربة بابك واشتغاله بأمره انتهز الفرصة فخرج في مائية الف وأوقع باهل زبطره فقتل الرجال وسبي الذرية والنساء واغار على اهل ملطيه وغيرها من حصون المسلمين ومثل بمن سار في يده من المنتامين فسمل اعينهم وقطع انوفهم وأذانهم ولما بلغ ذلك المعتصم استعظمه وكبر لديه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهي اسيره في ايدي الروم (وامعتصماه)

فاجاب وهو على سريره (لبيك لبيك) ونهض من ساعته وصاح (النفير النفير) فتجهز بما لم يعهد لخليفة قبله من السلاح والرجال وبلغه ان عمورية (بروسه) عين النصرانية وهي عندهم اشرف من القسطنطينه فسار جيشه حتى دخل ارض الروم وحاصر مدينة عمورية وكانت حصينة فنصب عليها المجانيق حتى فتحها عنوه بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما فكان ذلك فتحا عظيما وفيه يقول ابو تمام حبيب الطائي قصيدته التي مطلعها

السيف اصدق انبأ من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

وفيها يشير الى تلبية الهاشميه بقوله

لبيت صوتا زبطريا هرقت له * كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

ثم عاد المعتصم بعد ذلك الى طرسوس

وفي ايام عهده استكثر من الاتراك الموالي وجعل منهم جندا عظيما وبنى مدينة سامرا وانزلهم بها وكان يرحل اليها في بعض فصول السنة وتوفي المعتصم في ربيع الاول سنة ٢٢٧ هـ بعد ان ترك لمن بعده العنا والشقا بهؤلاء الموالي الذين ضعفت بهم الخلافه العربيه ولاغرابة فهم دخيلون في الوطن والدين

***

﴿ الضعف وابتدائه بالدولة العباسيه ﴾

اخذت الدولة العباسيه فى دور الضعف والانحطاط وذلك لأن لكل دوله ادوارا شبيهه بادوار الحياة من الطفوليه الى الشيخوخة فالدوله العباسيه بلغت شبابها فى ايام الرشيد والمأمون وذلك العصر العباسى الزاهر ثم اخذت بعدهما فى الانحدار نحو الكهوله فالشيخوخة كما بلغت الدوله الامويه شبابها فى ايام عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد

وقد مر بك ان الدوله العباسيه انما قامت بنصره الفرس واهل خراسان فحفظ العباسيون لهم هذا الفضل فقربوهم واستخدموهم فى مصالح الدوله واتخذوا منهم الوزراء والعمال والكتاب وغيرهم وبقدر قرب الفرس من العباسيين تباعدت العرب عنهم فضعف شأنهم ولم يجدوا حيلة فى ارجاع نفوذهم وبلغ الفرس ارفع المنازل او اعلاها عند العباسيين ايام البرامك

ولما نكبهم الرشيد ظن العرب انهم سيرجعون الي شوكتهم ونفوذهم ثم مات الرشيد واختلف ابناه الامين والمأمون على الخلافه وكان الامين عربى الابوين فناصرته العرب والمأمون فارسى الأم فناصره الخراسيون وبقتل الأمين عاد النفوذ الي الفرس وعادوا الى امتهان العرب وبموت المامون افضت الخلافه الي اخيه المعتصم بالله وكانت امه تركية الاصل من بلاد الصفد فشب محبا للاتراك وكان لايأمن الفرس على نفسه بعد ان قتلوا اخاه الامين ولا يثق بالعرب لاضطهاد العباسيين اياهم فلم يرله غنى عن اقتناء من ينصره غير

الفرس والعرب فاتخذ الوفا من الاتراك واكثر منهم حتى بلغ عددهم ثمانيه عشر الفاً فضاقت بهم بغداد وضجر البغداديون من سوء تصرفهم فابتنى لهم مدينه سامرا وانزلهم بها وأجرى عليهم الارزاق ولا ريب انهم كانوا عونا له فى تأييد سلطانه والفوز فى حروبه ضد اعدائه من الروم وغيرهم

غير انهم كانوا سبيلا الى تقهقر الدوله العباسيه بما كان من مطامعهم فى الاموال واستئثارهم بالنفوذ فاصبحت الدوله وبيت مالها وخلفاؤها مرمى لاغراضهم فاضطربت الاحوال وابتدأت الدوله فى التقهقر من ذلك الحين

ثم آلت الخلافه لهرون الواثق بن محمد المعتصم سنه ٢٢٧ هـ فصادر الكتاب فى الاموال وحبسهم وأمن الطريق بين مكه والمدينه وفرق فى اهل الحرمين اموالا جزيله وتم الفداء بين اسرى المسلمين والروم وتوفى سنه ٢٣٢ هـ

ثم قام بالخلافه جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بعد وفاه اخيه فنكب وزير اخيه محمد بن عبد الملك الزيات وصادره فى امواله وكان يبغض العلويين بغضا شديدا وينكر مذهب الاعتزال وفى ايامه افتتح المسلمون قصر يانه (بصقليه)وغنموا منها غنائم يعجز القلم عن حصرها وقد كان المتوكل عهد الى ابنه المنتصر

ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الأمر لنفسه وكان المنتصر تنكر عليه انحرافه عن سنة سلفه فيما ذهبوا له من مذهب

الاعتزال والتشيع اعلى

فاتفق المنتصر مع الموالي الاتراك على قتله وثاروا عليه بالمدينه وقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧ ﻫ فهو ثانى خليفه قتل من العباسين وكان ذلك اول جرأة الاتراك على الخلفا

ثم تولى محمد المنتصر الخلافه بعد قتل ابيه ولم تطل مدته فمات سنة ٢٤٨ ﻫ ولسوء ما قدمته يد الاتراك من قتل المتوكل عمدوا الى تولية احمد المستعين بن محمد المعتصم الخلافه حذرا من ولد المتوكل ومن ذلك الحين الي انتهاء الدوله صار بيد الاتراك الحل والعقد والتولية والعزل حسب اهوائهم فهوت بذلك مصلحة البلاد وعم الفساد

وبعد أن تولي الخلافه المستعين واقام بسامرا ارتحل الى بغداد فخاف الاتراك فاخرجوا المعتز بالله بن المتوكل وكان محبوسا وبايعوه بالخلافة واستولى على الاموال التى كانت بسامرا للمستعين فاستعان بها على قتاله وارسل جيشا عظيما من الترك لقتاله ببغداد ثم اتفق كبار الدولة ببغداد على خلع المستعين فخلع نفسه وبايع المعتز بالله سنة ٢٥٢ ﻫ ثم قتل واحضرت رأسه لدى المعتز وفى عهد المعتز اخذ نطاق الدولة العباسية يضيق شيئا فشيئا حيث استبد يعقوب الصفار بسجستان وماحولها وخلفه على ذلك بنوابيه ويقال لهم الصفاريه كما استبد بمصر احمد بن طولون وجعلها ميراثا لعقبه من بعده واليه تنسب الدوله الطولونيه وفى سنة ٢٥٥ ﻫ طلب

الاتراك ارزاقهم من المعتز ولم يكن لديه مال فأخرجوه من مقره ومدوا اليه يد العذب حتى مات بعد ان اشهدوا القضاة على خلعه

ثم بويع بالخلافة لمحد بن المواثق ولقب بالمهتدى بالله وفى خلافته خرج عليه على بن محمد بن عبد الرحيم من عبد القيس وادعى انه من ولد الحسين بن على رضي الله عنهما جهة البصرة ودعى الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع لديه منهم خلق كثير وأغار بهم على كثير من البلدان ولا يزالون يسعون فى الارض فسادا وقد استعصى اخضاعهم على العباسيين حتى جاءت سنة ٢٧٠ ه وفيها قتل قائد الزنوج وانتهت فتنتهم بعد ان ضعفت قوى الدولة العباسية بما لاقته من شر حروب الزنوج

وبعد مضى سنة من خلافة المهتدى خلعه الاتراك وقتلوه وقد كان ورعا كثير العبادة قصد ان يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى امية

• ثم تولى المعتمد على الله احمد بن التوكل وفى ايامه استفحل ملك يعقوب الصفار حيث استولى علي بلخ — وكابل — ونيسابور وابتدأت الدولة السامانية ببلاد ما وراء النهر وهى من اصل فارسى على يد نصر بن احمد بن اسد بن سامان سنة ٢٦١ ه وفى سنة ٢٧٨ ه تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة يستحلون دماء واموال من خالفهم

وقد اعتدوا على طرق العامة للسلمين فكانوا اعظم مصيبة عليهم

وفى سنة ٢٧٩ هـ توفى احمد المعتمد فكانت خلافته ثلاثاوعشرين سنة وكان ضعيف الرأى استبد عليه اخوه الموفق — ثم بويع بالخلافه ابو العباس احمد المعتضد بالله بن طلحة بن المتوكل بعد وفاة عمه وفى ايامه غزا الروم عدة غزوات برا وبحرا حتى فتح بلادا وحصونا كثيرة وخفضت له الصفارية جناحها غير ان أمر القرامطة قد اشتد فى عهده ثم توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ وقد كان شجاعا مهيبا ذا عزم وعفة .

ثم بويع بالخلافة ولده على المكتفى بالله وفى عهده غزا الروم عدة غزوات فقتل وأسر كثيرا منهم وغنم مابلغت قيمة السهم فيه الف دينار واستنقذ كثيرا من اسرى المسلمين وقاتل الترك ببلاد ماوراء النهر فهزمهم وقتل منهم مالا يحصى وقد كانوا اغاروا على بلاد الاسلام فى جموع كثيرة وفى ايامه دخلت مصر تحت حكم العباسين بعد أن زالت منها الدوله الطولونية — وظهرت دولة بنى حمدان بالموصل وهم من عرب تغلب ويعرف رئيسهم بأبى الهيجاء عبد الله ابن حمدان . كانت لهم وقائع مشهورة فى الحروب الصليبيه ثم توفى المكتفى بالله فى ذى القعده سنة ٢٩٥ هـ

وكان شجاعا حازما كأبيه — ثم بويع المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله وفى ايامه ظهرت دولة العبيد يين بأفريقية وأول خلفائهم عبيد المهدى وينتهى نسبه الى جعفر الصادق رضى الله عنه وتعرف ايضا بالدولة الفاطميه وقد ملكت مصر وسيأتى بيانه وقد غزا المقتدر

الروم عدة غزوات سبى وقتل كثيرا حتى طلب منه الهدنة وفى عصره كثرت الفتن والاضطرابات الداخلية حتى قتل فى شوال سنة ٣٢٠ ﻫ وهو يقاتل مؤنسا خادمه الذى استبد بملك الموصل وقد كان المقتدر مهملا لشؤون خلافته محكما للنساء والخدم فى دولته مبذرا للاموال حتى طمع أهل القاضية فى الاستبداد — ثم بويع القاهر بالله محمد بن المعتضد ولم يطل عصر خلافته حيث خلع فى جمادى الأولى سنة ٣٢٢ ﻫ وفى عهده ابتدأت دولة بنى بويه ببلاد فارس وينتهى نسبهم الى الساسانيين

— ثم بويع احمد الراضى بن المقتدر وفى عصره عظم ملك بنى بويه حتى قاربوا بغداد وتوفى فى سنة ٣٢٩ ﻫ وكان فاضلا اديبا سخيا وهو آخر خليفة كانت نفقته وجوائزه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين — ثم بويع اخوه ابراهيم المتقى وكانت ايامه ايام فتن واضطرابات غلب عليه القواد والمتغلبون

واستولوا على بغداد واحدا بعد واحدا وهو مغلب والحل والعقد والابرام والنقض بأيديهم ووزير الخليفة عامل من عمالهم فخرج من بغداد ونزل على بنى حمدان بالموصل ثم ضجر المقام عندهم فاستأمن من (توزون) المتغلب على بغداد وقتئذ فأمنه ولما عاد خلعه وسمل عينيه سنة ٣٣٣ ﻫ فبئست الخلافه التى تؤول الى هذا الحال وفى عهده اغار الروم على بلاد الاسلام حتى قاربوا مدينة حلب ودخلت طوائف من الروس اقليم آذربيجان

ثم بويع عبد الله بن المقتفى ولقب بالمستكفى وفى عهده زحف معز الدوله بن بويه فى عساكر الديلم فاستولى على بغداد وغلب على المستكفى ثم خلعه واعتقله فاضطرب الناس وعظم النهب فى دار الخلافة وغيرها سنة ٣٣٤ ﻫ وبدخول بغداد فى حكم بنى بويه لم يبق للخلافة غير الاسم فانفرد المتغلبون بالامر حتى رسمت اسماؤهم على السكة — ثم بويع الفضل المطيع لله بن المقتدر وفى ايامه سلب من الخلفاء ما بقى لهم من حقوق الخلافة فكان وزير الخليفة مقصور النظر على اقطاع الخليفة ونفقات داره والوزراء كانت لمعز الدولة ثم اشتد على الخليفة العباسى وكان من الشيعه . يرى الحق فى الخلافة للعلويين وأقطع الاجناد وكثيرا من قرى العراق فلم يلتفتوا لعمارتها فانقلب حالة الدوله وابتدأ الخراب وأمر الناس فى يوم عاشوراء ان يغلقوا دكاكينهم ويعلنوا النياحه حزنا على الحسين ففعلوا ذلك ولم يقدر اهل السنة على منعه — وفى خلافه المطيع أغار الروم على ثغور المسلمين وتوغلوا فى داخل ارضهم فلم يمنعهم من ذلك مانع — واستولى على مصر الفاطميون .

وفى سنة ٣٦٣ ﻫ خلع المطيع نفسه وبويع ابنه عبد الكريم الطائع وفى عهده تأسست دوله آل سبكتكين بغزنه وهى دولة لها آثار فى الفتوحات الاسلاميه —. وفى سنة ٣٨١ ﻫ طمع بهاء الدوله من بني بويه فى مال الطائع فقبض عليه وخلعه ونهب قصور الخلافة فقال الشريف الرضى فى ذلك

امسيت ارحم من قد كنت اغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني * يارب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات ما اعتز بالسلطان ثانيه * قد ضل عندى ولاج السلاطين

ثم بويع احمد القادر بالله بن اسحاق المقتدر وفى عهده انقرضت دولة بنى حمدان بالموصل ودولة بنى سامان وانقسم ملك بنى سبكتكين ثم توفى القادر سنة ٤٢٢ هـ بعد ان رد الى الخلافه ابهتها وجدد ناموسها وكان ذهب رونقها بجسارة الاتراك والديلم عليها — ثم بويع ولده القائم بأمر الله بعهد من أبيه وفي عهده اختل نظام ملك بنى بويه وضعف أمرهم وابتدأت الدولة السلجوقيه ببلاد خراسان وهى من أصل تركى وفي سنه ٤٤٧ هـ صار طغرلبك السلجوقى حتى دخل بغداد واسقط دولة بنى بويه وتزوج الخليفه بنت أخيه وقد كان معظما للخليفه اكثر له العطاء وتزوج طغرلبك بنت الخليفه القائم بأمر الله ولم يجسر أحد قبله على ذلك من ملوك بني بويه مع ما كانوا عليه من القوة والقهر للخلفاء ثم توفى القائم سنه ٤٦٧ هـ

وبويع المقتدى بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم بعد وفاة جده وفى ايامه سار سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب قونيه الى انطاكيه فملكها من الروم وكانت تحت يدهم من سنه ٣٥٨ هـ — ثم توفى المقتدى سنه ٤٨٧ هـ وكان قوى النفس عظيم الهمه — وبويع ولده احمد المستظهر بالله وفى ايامه ابتدأت الحروب الصليبيه بين الافرنج والمسلمين وسنفردها بالكلام بعد وتوفى المستظهر سنه ٥١٢ هـ

ثم بويع ولده الفضل المسترشد وقد وقع بينه و بين السلاطين السلجوقيين وامرائهم وقائع كثيرة انتصر فى بعضها وفى آخرها هزمه السلطان مسعود واسره و بينما هو فى خيمته اسير قتله جماعه سنه ٥٢٩ هـ — ثم بويع ولده منصور الراشد ولم يمكث بالخلافة كثيرا بل تنازع مع السلطان مسعود السلجوقى حتى خلع سنة ٥٣٠ هـ — ثم بويع محمد المقتفى بن المستظهر وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه فحكم على عسكره واصحابه فيما بقى لمملكته من البلدان بعد استبداد الملوك فى الاعمال والنواحى وفى عصره قامت دولة بنى خوارزم شاه فيما وراء النهر وانقرضت دولة آل سبكتكين وتوفى المقتفى سنة ٥٥٥ هـ — ثم بويع ولده يوسف المستنجد وبقى فى الخلافه الى ان توفى سنة ٥٦٦ هـ

وخلفه ولده حسن المستضىء وفى خلافته انقرضت الدوله العلويه بمصر ورجعت الخطبه للخلافة العباسيه بها ثم توفى سنة ٥٧٥ هـ

و بويع ولده احمد الناصر وقد هدم دار سلطنة السلجوقيين ببغداد واستولى على كثير من الجهات والنواحى وفى ايامه ظهر التتار وهم قبائل رحالة كانت تسكن حول بحيرة بيكال وترأس ملكهم جنكيزخان (اى الملك العام) فأغار على الصين حتى استولى على بكين ثم توجه نحو المغرب والبلاد الاسلامية على ماعلمت من الانقسام الذى نجم عنه الضعف وكان اقربها الى المغول مملكة علاء الدين خوارزم شاه فاغار جنكيزخان ومعه سبعمائه الف مقاتل حتى

استولى على تركستان وما حولها واوغل بها قتلا ونهبا مما تقشعر له الابدان ويقال ان الناصر هو الذى اطمع التتر فى ذلك لما كان بينه وبين خوارزم شاه من الفتن ثم توفى الناصر سنة ٦٢٢ هـ

وكان فاضلا عالما ألف فى فنون متعددة ثم بويع ولده محمد الظاهر وكانت طريقته مستقيمة واخباره فى العدل مأثورة فرق فى العلماء ليلة الفطر التى بويع فيها مائه الف دينار وكتب الى وزيره بخطه بعد البسمله (انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا ولكن لنبلونكم أيكم احسن عملا ولقد غفرنا لكم ماسلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح السنة واظهار الباطل الجلي فى صورة الحق الخفى حيلة ومكيدة وتسمية الاستيصال والاجتياح استيفاء واستدراكا للاغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل وأنياب أسد مهيب تنطقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد وانتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم ماطلتم بحته فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا وفقركم غنى وباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقبل العثرة ولا يؤاخذ الا من اسر ولا ينتقم الا ممن استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه يخاف الله فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم فى طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله فى أرضه وامنائه على خلقه والا هلكتم والسلام) هذا

ولو بقى طويلا لدبر شؤون رعيته وأصلح عبث المفسدين بالبلاد

فتوفى سنة ٦٢٣ هـ — ثم بويع المنصور المستنصر بالله بن محمد الظاهر وقد كان حسن السيرة فى الرعية عادلا بنى المدرسه المستنصريه على شط دجلة وحبس عليها الأوقاف ولم يزل هـذا الخليفة ببغداد فى النطاق الذى بقى للعباسيين بعد استبداد اهل النواحى وتملك ؟

التتر البـلاد حتى تغلبوا على ملوك النواحى ودولهم ثم زاحموا العباسيين فى هذا النطاق الذى بقى لهم وتوفى المستنصر سنة ٦٤١ هـ

ثم بويع ابنه عبد الله المستعصم وكان فقيها محدثا وكان وزيره ابن العلقمي رافضيا والفتنة ببغداد

بلغت مابلغت حتى سطى الشيعه على أهل السنه فانفذ المستعصم ابنه ابا بكر فنهب بيوت الشيعة ولم يراع فى ذلك ذمة الوزير فا آسفه ذلك وتربص بالدولة واسقط معظم الجند يموه بانه يدافع التتر بمـا يتوفر من ارزاقهم وكتب الى هولاكو ملك التتر وهو من عقب جنكيز خان وأطمعه فى ملك بغداد فزحف عليها بجيش عظيم وحاصرها فخرج اليه ابن العلقمى واستأمن لنفسه ورجع الى الخليفة وخدعه ثانيا وحسن له الخروج الى هولاكو

مظهرا له امانه فخرج الخليفة ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معـه ثم قتله شدخا بالعمد ووطأ بالاقدام ثم استباح بغداد اياما وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف فداستهم العسا كر حتى ماتوا ويقال ان الذى احصى ذلك اليوم من القتلى الف الف وستمائة الف واستولوا من قصور الخلافه وزخائرها

على مالم يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد والقيت كتب العلم التى كانت بخزائنهم جميعها فى دجلة وكان شيئا لا يعبر عنه واعتزم هولاكو على اضرام بيوت بغداد نارا فمنعه أهل مملكته و بالجملة فقد صنع التتار ببغداد صنعا لم يعهد مثله فى أى تاريخ ومع هذا لم ينل ابن العلقمى ماطمع فيه بل اهين ثم قتل وهكذا يجزى الخائنون و بذلك ذهبت الخلافه العباسية من العراق سنة ٦٥٦ ه و بقى المسلمون بلا خليفة حتى وصل الى مصر من بقى حيا من العباسيين بعد مذبحة هولاكو فأقاموا الخلافه بها تحت ظل المماليك

اما هولاكو فلم تمكث مملكته كثيرا بل انقسمت بعد موته الى امارات صغيرة حتى ظهر تيمورلنك فاخضعها مع غيرها سنة ٧٥٠ ه

﴿ حالة الدولة العباسية ﴾

كان للخلفاء السابقين منهم عنايه كبرى بتأمين الطرق وتعمير البلاد وحفر الانهار وانشاء السدود وكانوا يعاملون الرعايا معاملة عادلة قائدها الرفق (الامن قام ينازعهم الملك) فالمنصور كان يتتبع العمال الظالمين و يأخذ اموالهم و يضعها في بيت سماه بيت مال المظالم وكان يتسا ل عن اسعار الغلة و يبحث عن كل مايقضى به القضاة وعما يرد الى بيت المال واخبار المهدى — والرشيد — والمأمون في العدل والرفق بالرعية كثيرة ولذلك عظم سلطانهم

واتسعت التجارة تحت حمايتهم ورغب الناس فى حكمهم واشتغل

كل امرئ بما يعنيه فاخصبت الارض وعمرت البلاد وكيف لا تعمر البلاد فى ظل العدل وهو ميزان نصبه الله بين عباده ولا يتم عز السلطان الا به اذ لا عز للملك الا بالرجال ولا قوام لهم الا بالمال ولا سبيل اليه الا بالعمارة وانما العمارة بالعدل (العدل اساس الملك) لكنهم اتبعوا فى سياستهم التفريق بين قبائل العرب فضعف شأنهم فى خلافهم

ولما قتل الامين وتولى المأمون الخلافة وكان فارسيا من جهة امه وتربى فى حجر الفرس وشب على حبهم ذهب عز العرب وصارت الموالى فى خلافة العباسيين هم أهل الدولة وحماة الخلافة بعد ان كانوا كالارقاء فى خلافة بنى امية — ثم استبد الجند التركى بالدولة حتى قتلوا المتوكل وكان ذلك فاتحة جرأتهم على الخلفاء بالقتل والعزل والتولية فعجز الخلفاء عن القيام بشؤون الدولة وهم اصحابها المسئولون عنها وصارت الاحكام تصدر باسمائهم وهم مدفوعون اليها فتغلب العمال والامراء على الاطراف وأسسوا بها ممالك واخذوا يضايقون الخليفة فيما بقى له من الملك حتى استولوا على مدينة بغداد وشاركوه فى الخطبة لهم على المنابر وجعلوه أشبه برئيس دينى فقط غير ان ذلك لم يكن على حالة واحدة بل كان فى بعض الاوقات يعود للخليفة شىء من النفوذ وان لم يدم كثيرا وعلى العموم كان للعباسيين منزلة سامية لدى الناس لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك على خلاف حالهم مع الامويين مع مالهم من الآثار فى الاسلام وكان

الخلفاء العباسيون أهل علم وادب يميلون الى العلم ويجلون أهله ويبذلون العطاء فى سبيلة فما تركوا عقبة امامه الا ازالوها ولا وسيلة فى تحصيله الا سلكوها وقد كثر الاختلاط فى عصرهم بين العرب وغيرهم من الروم والفرس فكان وسيلة الى ترجمة الكتب العديدة فى الفنون المختلفة من لغات تلك الامم الى اللغة العربية فاتسعت دائرة العلوم والمعارف وراج سوقها وكان للعلوم الدينيـة العناية الكبرى فدون الفقه فى عصرهم وشاع ذكر الائمة المجتهدين كالامام أبى حنيفه النعمان بن ثابت بن زوطا من أهل كابل كان خزازا أدرك اربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ الفقه عن حماد بن ابى سليمان وروى عنه القاضى ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهما وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا كثير الخشوع دائم التضرع الى الله تعالى نقله ابو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد على ان يوليه القضاء فأبى وهو يقول (اتق الله ولا ترع فى امانتك الا من يخاف الله والله ما انا مأمون الرضا فكيف اكون مأمون الغضب (٨٠ — ١٥٠ ه) ودفن ببغداد — والامام ابى عبد الله مالك بن انس بن مالك الاصبحى امام دار الهجرة وأحد الائمة الاعلام أخذ العلم عن ربيعة الرأى وافتى معه عند السلطان وقال قل رجل كنت اتعلم منه مامات حتى يجيئنى ويستفتينى (٩٥ — ١٧٩ ه) ودفن بالبقيع — والامام ابى عبد الله محمد بن ادريس بن العباس القريشى يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف كان

كثيرا المناقب جم المفاخر منقطع النظير اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر مالم يجتمع فى غيره حتى ان الاصمعى قرأ عليه اشعار الهزليين وقال احمد بن حنبل ماعرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى ولد فى سنة ١٥٠ ﻫ وقيل فى اليوم الذى توفى فيه الامام ابو حنيفة بمدينة غزه وحمل منها الى مكة فقرأ القرآن وقدم بغداد ثم خرج الى مصر وتوفى بها سنة ٢٠٤ ﻫ — والامام احمد بن حنبل ينتهى نسبه الى عدنان ولد فى بغداد سنة ١٦٤ ﻫ وكان امام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره وكان من أصحاب الشافعى وفيه قال خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا افقه من ابن حنبل ودعى الى القول بخلق القرآن فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع اخذ عنه الحديث جماعة من الاماثل منهم محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم ابن الحجاج النيسابورى وتوفى سنة ٢٤١ ﻫ ببغداد هذا ولقد صنفوا فى الفقه الاسفار الجليلة — واشتغل بالتصنيف فى الحديث الائمة المحدثون كالامام ابى عبد الله محمد بن ابى الحسن البخارى الحافظ صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رحل فى طلب الحديث الى الامصار وشهد بفضله ائمة بغداد واعترفوا بتفرده في علم الرواية والدراية ولد سنة ١٩٤ ﻫ وتوفى ٢٥٦ ﻫ وروى عنه ابو عيسى الترمذى — والامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القسرى النيسابورى صاحب

الصحيح من اعلام المحدثين رحل الامصار وروى عنه أهل بغداد ولد سنة ٢٠٢ هـ وقيل سنة ٢٠٦ هـ وتوفى سنة ٢٦١ هـ وغيرهما وكتب فى التفسير شيء كثير اما العلوم العربية فقد نالت حظا وافرا و بلغت شأوا بعيدا فى صدر الخلافة واشتهر فى النبوغ فيها الكثير من العلماء كالخليل وسيبويه وغيرهما ممن كتب فى النحو والصرف — والاصمعى وابى نواس واضرابهما ممن كان راوية فى اللغه حافظا لآدابها وكانت الاغاني فى عصر العباسيين ميدان تسابق الفرسان فيتفننون بالشعر الحماسي والادبى فارتقت بها الاخلاق وصنف فيها العلماء من ذلك كتاب الاغانى لابى الفرج على بن الحسين الاصفهانى ولد سنة ٢٨٤ هـ وتوفى سنة ٣٥٦ هـ

وفى عصرهم ترجم اكثر ما كان معروفا من العلوم عند الامم المتمدنة من ذلك الفلسفة — والطب — والهندسه — والموسيقى — والمنطق والنجوم — والرياضات — والفلاحة — والطبيعه — والكمياء فدرسوها وتصرفوا فيها فادخلوا فيها آراء جديدة فارتقت وأصبحت على شكل خاص وممن نبغ فى تلك العلوم واشتهر بها يعقوب الكندى فكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته التى بلغت ٢٣١ والفارابى وهو فارسى النسب كان فيلسوفا كاملا درس كل مادرسه الكندى وفاقه فى كثير كالمنطق وتعمق فى الفلسفة وألف كتبا فى مواضع لم يسبقه أحد اليها من ذلك احصاء العلوم والسياسه المدنية وهو المعروف الآن بالاقتصاد السياسي ومن الغرابة ان أهل

التمدن الحديث يزعمونا نه من مخترعاتهم وتوفى سنة ٣٣٩ هـ

وابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخارى المشهور بالشيخ الرئيس كان من اشهر الحكماء والاطباء وانتفع بتأليفه أهل الشرق والغرب ولد سنة ٣٧٠ هـ وتوفى سنة ٤٢٨ هـ — وغيرهم مما لا يحصى وبالجملة فقد كانت هذه فى عصرها دولة العلم والادب بلغت فيها مبلغا لم تضارعها دولة اخرى ومن تلك المعارف استقى الغربيون معارفهم الحديثه

ولما دون الفقه فى عصر العباسيين وتعددت فيه المذاهب واشتغل الائمة بالاستنباط من الكتاب والسنة والقياس تعددت الفرق بتعدد المذاهب واشتغل كل فريق بدراسة مذهبه وجالوا جولة فى المباحث الدينيه فسهل عليهم ارجاع الحوادث والواقعات إلى القواعد والاصول فانتفع الخلف بعملهم هذا

وكما تعددت فى ذلك تعددت فى العقائد الدينيه وكان لبعض خلفائهم يد فى ظهور بعض تلك الفرق على بعض فحدث الشقاق والنزاع بين تلك الطوائف الا انه لم يخرج عن دائرة البحث واقامة البرهان — ولما اتسعت مدينة بغداد فى عمرانها وأمها الناس من جميع الجهات وتزى الكثير بزى العلم وأهله واضطربت الدولة العباسية عقب سلب ماللخلفاء من الحقوق ظهر المفسدون وحدثت الفتن بين اهل المذاهب كالشافعية والحنابلة وبين ارباب العقائد كاهل السنة — والشيعة . وكثيرا ما افضت الى امتشاق الحسام بين العوام ودامت تلك الحالة

ببغداد فكان من نتائجها زوال الخلافة العباسية من بغداد وهكذا يكون الحال ان حل الشقاق والنزاع محل الوفاق والوئام فما نزل الشقاق بأمة الا ولحقها الدمار واحاط بها البوار ولله فى خلقه شؤون (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير)

(مصر فى عهد الاسلام)

بدخول المسلمين بلاد مصر سنة ٢٠ هـ وطرد الروم منها على يد عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب انقرض الدور الاول (الجاهلى) ودخلت مصر فى الدور الثانى (الاسلامى) ومنه يبتدئ تاريخها الحديث وفيه تقلب عليها دول مختلفة بلغت احدى عشرة دولة اختلف حال المصريين فى عصرها ما بين رقى وانحطاط وسعادة وشقاء وأول هذه الدول دولة الخلفاء الراشدين — واخرها الدوله المحمديه (العلويه الحاكمه الآن)

(أشهر ولاة مصر وأعمال كل منهم فى عصر الخلفاء الراشدين)

(عمرو بن العاص)

بعد ان فتحت مصر على يد القائد عمرو بن العاص جعله عمر ابن الخطاب واليا عليها فنزل الموضع الذى ضرب به فسطاطه

واسس المدينة التي تسمت باسمه وجعلها خططا وانزل الجند بها بحسب قبائلهم واتخذها قاعدة الديار المصرية و بنى المسجد الجامع بها ولا يزال الى يومنا هذا تقام فيه الجمعة الاخيرة من رمضان كل عام — ثم شرع فى تنظيم البلاد فقسمها الى كور واقام على كل كورة حاكما ينظر فى الشؤون وجعل عبد الله بن ابى سرح على الوجه القبلي واحسن جباية الاموال واصلح مقاييس النيل وابطل قبيح عادة المصريين عند فيضان النيل (ضحية النيل) بقوله ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله — وحفر الترعة التى تبتدئ من النيل وتنتهى ببحر القلزم (الاحمر) ليسهل وصول الميرة والطعام الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي التى تعرف بخليج امير المؤمنين وفى ولايته فتحت برقة صلحا — وطرابلس عنوة واراد فتح افريقية فمنعه عمر بن الخطاب عن ذلك وما زال واليا على مصر عاملا مصلحا للبلاد حتى نال اهلها راحة لم يروها منذ ازمان وساد الامن فى البلاد — وكثيرا ما اوصى الجند بما يدل على خبرته وحسن سياسته من ذلك قوله (يا معشر الناس انه قد تدلت الجوزاء وذلت الشعرى واقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب الرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته بحسن النظر فحى لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه واربعوا خيولكم واسمنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم و بها مغانمكم

وأ نفالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا واياكم والمومسات المعسولات فانهن يفسدن الدين و يقصرن الهمم فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا ابصاركم ولا اعلمن ما اتى رجل قد اسمن جسمه واهزل فرسه واعلموا انى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية فاحمدوا الله يامعشر الناس على ما اولاكم وتمتعوا فى ريفكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحى الى فسطاطكم على بركة الله اقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم

وفى سنة ٢٦ ﻫ عزله عثمان بن عفان عن ولاية مصر

(عبد الله بن سعد بن ابى سرح)

تولى مصر بعد عزل عمرو بن العاص فى خلافة عثمان رضى الله عنهما وفى ايامه غزا افريقية وقتل ملكها جرجير — وجزيرة قبرص مع معاوية بن ابي سفيان فصالحهم اهلها على سبعة آلاف دينار وفى سنة ٣١ غزا بلاد النوبة وحاصر مدينة دنقله ورماها بالمجانيق حتى صالحه ملكها — وغزا الروم بحرا الغزوة المعروفة بذات الصوارى وكان مع الروم سبعمائة مركب ومع المسلمين مائتان وانتصر المسلمون فى ذلك انتصارا عظيما

ولما حدثت الفتن فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه طاب الناقمون عليه عزل عبد الله بن سعد بن ابى سرح عن ولاية مصر وتولية محمد بن ابى بكر فأجابهم غير ان ذلك لم يتم لما حدث من صنيعة الكتاب وقتل عثمان

وبقتله و بيعة على بن ابى طالب بالخلافة اضطربت الامور ووجدت فى مصر شيعة لعثمان يطالبون بدمه يرأسهم معاوية بن خديج وأقام على قيس بن سعد بن عبادة وهو من أكابر الانصار واليا على مصر وقال له (سر الى مصر فقد وليتكها واجمع اليك ثقاتك ومن احببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك اهيب لعدوك واعز لوليك واحسن الى المحسن وأشد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق يمن) فقال له قيس (اما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم ادخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها ابدا فأنا ادع ذلك الجند لك تبعثهم فى وجودك

فخرج فى سبعة من أصحابه حتى دخل مصر فصعد المنبر وأمر بكتاب الخليفة فقرئ على اهل مصر بأمارته و يأمرهم بمبايعته واعانته على الحق وقال ايها الناس (انا قد بايعنا خير من نعلم فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فبايعه الناس واستقامت مصر الا ان شيعة عثمان انعزلت بخربتا من اعمال البحيرة ولم ير سعد قتالهم فسعى الواشون بينه و بين

على حتى ظن انه عليه فعزله و ولى محمد بن ابى بكر واقام بها الا ان معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد ومن معهما من العثمانية خرجوا يطلبون بدم عثمان فالتف عليهم كثيرون وفسدت مصر على محمد بن ابى بكر فأرسل معاوية بن ابى سفيان عمرو بن العاص فى جيش الى مصر وقد استفحل امره وكثرت اتباعه فدخلها عمرو وانضمت اليه الشيعة العثمانية وكتب الى محمد بن ابى بكر (اما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن ابى بكر فانى لاحب ان يصيبك منى ظفر ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج انى لك من الناصحين) فندب محمد الناس الى الخروج فانضم اليه ثلاثة آلاف والتقى الجيشان فظهرت رجال عمرو وتفرقت اصحاب ابن أبى بكر ففر من وجه عمرو واقتفى اثره ابن خديج حتى ظفر به فقتله وجعله فى جيفة حمار وألقاه فى النار ولما بلغ ذلك أم المؤمنين عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وأخذت تدعو على معاوية وعمرو وضمت اليها عياله ولم تعد تأكل من هذا الوقت الشواء كما جزع عليه على وقال عند الله نحتسبه

(أشهر الولاة فى عصر الدولة الاموية)

بدخول عمرو بن العاص مدينة الفسطاط وقتل محمد بن أبى بكر بايع اهل مصر لمعاويه سنة ٣٨ هـ واقام عمرو بن العاص واليا عليها

من قبل معاويه فغزا قبائل البربر على يد عقبه بن نافع وكانوا قد نقضوا ولم يزل عمرو واليا عليها مطلق اليد في خراجها يأخذ مابقى من الخراج بعد عطاء الجند والنفقه فى المصالح لنفسه خاصه برضا من معاوية حتى توفى سنه ٤٣ ﻫ وكان من افراد الدهر دهاء وحزما وفصاحه

وفى سنه ٤٤ ﻫ تولى شؤون مصر عقبه بن عامر الجهنى وكان قارئا فقيها له الهجرة والصحبه والسابقه الا انه لم يكن من السياسه وحسن التدبير على ما يرضى معاويه فعزله وولى مكانه مسلمة بن مخلد سنه ٤٥ فأحسن جبايه الاموال بها ونظم غزواته فى البر والبحر وامر باتخاذ المنارات وطالت امارته بها حتى توفى سنه ٦٢ ﻫ

ثم تولى امارة مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم من قبل ابيه سنه ٦٥ بعد ان استرجعها مروان من عامل ابن الزبير وقال مروان لولده (يابنى عم المصريين باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم واوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره وينقد قومه اليك وقد جعلت معك اخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وما عليك يابنى ان تكون اميرا بأقصى الارض أليس ذلك أحسن من اغلاق بابك وخمولك فى منزلك) ثم قال له (أوصيك يابنى بتقوى الله وأن لاتعد الناس موعدا الا انفذته له ولو حملته على

الاسنة واوصيك ان لا تعجل فى شىء من الحكم حتى تستشير فان الله لو اغنى أحدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحى الذى يأتيه قال الله تعالى (وشاورهم بالامر)

فسار عبد العزيز فى مصر سيرة حسنة وامر ببناء قنطرة الخليج فى طرق الفسطاط و بنى مقياسا للنيل فى حلوان وهو اول مقياس بناه المسلمون لمصر ولما حل الطاعون بالفسطاط سنة ٧٠ ﻫ خرج عبد العزيز منها ونزل حلوان وجعلها دارا له ولاعوانه و بنى بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس بها النخل والكرم ثم توفى عبد العزيز سنة ٨٦ بالفسطاط وكان جوادا حليما حازما بشوشا

(عبد الله بن عبد الملك بن مروان)

تولى بعد موت عبد العزيز من قبل ابيه عبد الملك بن مروان واوصاه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز بالفطنة والدراية فكان من اعماله بمصر ان نسخ دواوينها بالعربية بعد ان كانت بالقبطية وفى عصره غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهى اول شدة رآها المصريون وقيل انه كان يرتشى وهذا مما يجعل الامم فى شدة بؤس وأتعس حالة

ولما رأى الوليد ذلك عزله واخذ جميع مامعه من المال فكان عليه اثمه ولغيره غنمه

(أيوب بن شرحبيل)

ولاه الرجل الصالح والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فرفع عن المصريين ما كانوا يتألمون منه وزاد فى اعطيات الناس وعطل الحانات واتبع فى سيره طريق الخليفة والناس على دين ملوكهم ولا يزال واليا بها حتى حوله يزيد بن عبد الملك الى افريقية

﴿ عبد الملك بن موسى بن نصير ﴾

تولى امارة مصر من مروان بن محمد سنة ١٣١ ﻫ وهو الذى امر باتخاذ المنابر بالكور ولم تكن قبله بل كان ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وهو آخر ولاة بنى أمية بمصر وبانقراض الدولة الاموية دخلت مصر تحت حكم العباسيين سنة ١٣٣ ﻫ الى ان تأسست الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ ﻫ وقد بلغت ولاتهم عليها خمسة وستين اميرا الكثير منهم لم تطل مدته منهم يحيى بن داود وهو من اهل خراسان من اصل تركى وكان من اشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة منع الناس من اغلاق الدروب بالليل واغلاق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب من دخولها ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شىء فعلى اداؤه وجرت الامور على هذا النمط مدة ولايته وامر الاشراف والفقهاء بلبس القلانس الطوال والدخول

بها عليه يوم الاثنين والخميس بلا اردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله ثم صرفه المهدى عن مصر سنة ١٦٥ هـ بعد ان اقام بها سنتين

(وموسى بن مصعب بن الربيع من اهل الموصل)

تولى على مصر من قبل المهدى فشدد فى طلب الخراج وزاد على كل فدان ضعف مايقبل وضرب خراجا على الحوانيت وعلى الدواب فكرهه الناس ونابذوه حتى قتل وكان ظلوما غشوما مرتشيا سمعه الليث بن سعد وهو يقول فى خطبته (انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها)فقال اللهم لاتمقتنا

(وعلى بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس)

اظهر فى ولايته حزما وسياسة فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ومنع الملاهي والخمور وكان كثير الصدقة ومن اعماله انه هدم الكنائس المحدثة فى مصر وقد بذل له النصارى خمسين الف دينار على ان يتخلى عن هدمها فأبى ولسيرته المرضية فى الرعية رغب اهل مصر فيه حتى ادعوا اهليته للخلافة فطمع فيها فسخط عليه الرشيد وعزله سنة ١٧١ هـ ولما كثر الاضطراب فى مصر فى عهد الرشيد والمأمون ذهب المأمون الى مصر لمراقبة شؤونها وكان قلقا عليها لما بلغه من تمرد اهلها ونقض عمالها فدخلها سنة ٢١٧ هـ وجعل يمر بقراها متفقدا

احوالها و يقـال انه كان يبني له فى كل قرية يمر بها دكة يضرب عليها سرادقه فكان يقيم بها يوما وايـلة وما زال يتحرى احوال الفساد و يقتلها و ينظم فى تنظيم احوالها واصلاح داخليتها حتى برح مصر فى آخر صفر من تلك السنة بعـد ان امر بترميم مقياس النيل الذى بالروضة و بناء جامع فيه وترميم مقياس اخميم و بناء مقياس آخر فى بنبنو را (الصعيد) ـ وعنبسة بن اسحق الضبى ومن اعماله انه بنى حصنا فى مدينة الفرماء وكذلك فى دمياط ـ وتنيس وانفق عليها اموالا طائلة وقاية من غزوات الروم لكنهم لم يكادوا يتحصـنون حتى هجم الروم على دمياط

و وافق ذلك ذهاب الجنـد منها الى الفسطاط فنهبوا واحرقوا المدينة ومسجدها الجامع وقتلوا كثيرا من المسلمين وسبوا من النساء والاطفال واهل الذمة نحو ستمائة ولمـا علم بذلك عنبسة ركب اليهم يوم النحر فى جيشـه ونفر معه كثير من الناس وقد تحول الروم الى تنيس وتحصنوا فى اشموم فلم يتبعهم عنبسة فكتب يحيي بن الفضل الى الخليفة العباسى المتوكل على الله يقول

اترضى بأن يوطأ حريمك عنوة ... وان يستباح المسلمون و يحربوا
حمـار اتي دمياط والروم وثب ... بتانيس رأى العين منه واقرب
مقيمون بالاشـموم يبغون مثلمـا
اصابوه من دمياط والحرب ترتب

فما رام من دمياط شبرا ولا درى   من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا انا بدار مضيعة   بمصر وانا الدين قد كاد يذهب

وكان ذلك سنة ٢٣٩ هـ وفى آخر هذا العهد كان امراء مصر من الموالي الاتراك تبعا للحال فى بغداد ومنهم — مزاحم بن خاقان — فجعل ارجون بن اولع التركى رئيس الشرطة فمنع الناس من الحمامات والمقابر ونهى ان يشق ثوب على ميت او يسود وجه او يحلق شعر او تصيح امرأة وعاقب فى ذلك وشدد فيه ومنع من الجهر بالبسملة فى الصلاة ومنع من التثويب وأمر بالاذان فى يوم الجمعة فى مؤخر المسجد وان يغلس بصلاة الصبح — وبا كباك — احد كبار الاتراك وكان من عادتهم ان يتولوا الامارة اسما فلم يكونوا يبرحون مجلس الخليفة بل كانوا يعهدون امر ذلك الى من يشاؤن فوكل رآسة الجند بالفسطاط الى احمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ وجعل امر الخراج بيد احمد بن المدبر وليس من التدبير على شيء بل كان ظالما غشوما زاد فى الضرائب وشدد الوطاءة على الناس فنقم عليه احمد بن طولون ذلك وحصلت بينهما وحشة وفى سنة ٢٥٧ هـ قتل با كباك فأقام الخليفة مقامه برقوق التركي وكان بينه وبين ابن طولون مودة وصداقة فعهد اليه بالنيابة العامة على مصر ولم يدم طويلا حيث توفى سنة ٢٥٩ هـ فولى الخليفة مكان احمد بن طولون ولاية عامة على القطر المصرى ورسخت قدمه فيها وجعلها تراثا لبنيه فكانت لهم فيها الدولة

المعروفة

(الدولة الطولونية)

كان طولون من احدى القبائل التي تألفت منها التركستان وكانت تقيم بجوار بحيرة لوب فحمله نوح بن اسد عامل بخارى الى الخليفة المأمون فتربى بدار الخلافة ونشأ ابنه احمد بها فحسنت تربيته وكان تقيا كريم النفس لين العريكة مع اقدام و بسالة وعلم بالسياسة وكان مغرما بمطالعة الحديث فاكتسب شهرة بالتقى والعدالة فلم تصب نفسه يوما الى مفسدة ولم تحدثه باتباعها ولما عهد اليه امر مصر اخذ فى اصلاح شؤونها و رفع المظالم التى انتابت اهلها واثقلت كواهلها من احتكار النطرون — و وضع الضرائب على الكلاء وصيد البحر المباح فكتب الكتب الى سائر العمال برفع ذلك ولما اتسعت احوال ابن طولون امر ببناء القصر واتخذ الميدان وامر القواد والاتباع ان يختطوا لانفسهم فاختطوا حوله حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط وعمرت عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وكان حدها طولا من قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وعرضا من الرميلة (بجوار قلعة الجبل) الى مشهد زين العابدين وكانت مساحتها ميلا فى ميل ولما ضاقت المساجد بالمصلين اخذ فى بناء مسجده المشهور فبناه بحجر القرميد والجير فقط وجعل بجواره بناء دعاه دار الامارة كان

ينزل به اذا ذهب للصلاة يوم الجمعة وهو الآن مسجد اثرى لا تقام به الصلاة وكان اول مسجد شاده ابن طولون جامع التنور ابتناه على قمة جبل المقطم فى مكان كان يدعى تنور فرعون

ومن اعماله ان اعاد حفر ترعة الاسكندرية وكانت قد سدت بالرمال واتخذ بها آبارا مسقوفة بالبناء لحفظ الماء العذب للشرب وامر بترميم منارتها واصلح مقياس الروضة وامر ببناء المارستان (المستشفى) وقد كان الفسطاط قبله خاليا من ذلك واجرى عليه الارزاق وتفقد سير الاطباء فيه وبنى حمامين للمارستان احدهما للرجال والآخر للنساء وقد بلغت النفقات على المارستان والحمامين ستين الف دينار ولا يزال كثير من آثار ذلك باقيا الى الآن

هذا ولقد كان ابن طولون من احسن من تولى امر مصر وكان خيرا ميالا لمواساة الفقراء فكانت صدقاته لا تنقطع عن اهل المسكنة والضعفاء وبلغ راتبه لذلك فى كل شهر الفى دينار سوى ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم

وفى سنة ٢٦٥ هـ استخلف احمد بن طولون ولده العباس على مصر وذهب الى الشام بجيشه فاستولى عليها وعلى غيرها من بلاد آسيا الصغرى وبينما هو يهم بالتقدم الى الامام بلغه ان ابنه العباس قد شق عصا الطاعة ومد يده الى الخزائن والاحكام واستبد فيهما فكر راجعا فخاف ولده سوء العاقبة ففر الى برقة وبيده المال ولا زال

بها حتى قهر عصاة برقة جيشه واحضر ولده لديه فاعتقله فى القصر ثم مرض ابن طولون سنة ٢٧٠

ولما يئس من الحياة قال (اللهم ارحم عبدك وعمه برحمتك) وأخذ يكرر فى الشهادة حتى مات فى العاشر من ذى القعدة ودفن بسفح المقطم وقد كان شجاعا هماما حليما شفوقا وهو اول من جلس فى مصر للنظر فى المظالم كان يجلس لها يومين فى الاسبوع

﴿ابو الجيس خمارويه﴾

تولى ملك مصر بعد موت ابيه ولعدله ونصرته للحق مالت اليه قلوب الرعية ومما يؤثر عنه انه زاد فى قصر ابيه وجعل فيه بيتا سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المحلول باللوز ورد على أحسن شكل واتخذ فيه صورا بارزة من خشب على ارتفاع قامة ونصف مصنوعة على صورته وصورة اهل بيته وجعل على رءوس تلك الصور الاكاليل من الذهب الخالص المرصعة بأصناف الجواهر فكان هذا البيت انفس بيوت الدنيا اذ ذاك غيرأن ذلك كان مخالفا لاوامر الشرع الشريف — وجعل امام البيت فسقية ملاءها من الزئبق وفى اركانها سككا من الفضة فيها زنانير من الحرير وصنع فراشا من الادم يحشى بالريح ويلقى على تلك الفسقية وتشد بالزنانير وينام عليها فلا يزال الفراش يتحرك بحركة الزئبق اتخذ ذلك باشارة طبيبه لعلة الارق ولم يعرف ان احدا من تقدمه عمل مثل ذلك — و بنى

فى داره دارا للسباع واقام عليها الخدم يقومون بما تحتاج اليه من الطعام والشراب و يقال ان سبعا من تلك السباع انس بخمارويه فكان اذا نام يحرسه و يعرف بزريق وجعل ميدان أبيه بستانا و زرع فيه انواع الرياحين والشجر المطعم العجيب وانواع الورد والزعفران وكسا اجسام النخل نحاسا مذهبا وجعل بين النحاس واجسام النخل ميازيب الرصاص واجرى فيها الماء فكان ينحدر الى الفساقى المصنوعة لذلك و يفيض منها الى مجار تسقى سائر البستان وكان غرس الرياحين على نقوش مصنوعة و كتابات مكتوبة يتعهدها البستانى بالمقراض فلا تزيد ورقة على ورقة وانشأ فيه برجا من خشب الساج وجعله اقفاصا تفرخ الطيور فيها وسرح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبشة ونحوها شيأ كثيرا ثم اتخذ ميدانا اوسع من ميدان ابيه و بلغ رزق الجيش فى ايامه تسعمائة ألف دينار كل سنة وكانت نفقة مطبخه ثلاثا وعشرين ألف دينار كل شهر

ولما ولى المعتضد الخلافة بعث الى خمارويه خاطبا ابنته قطر الندى وكانت أكمل نساء عصرها فى الجمال والآداب فسارع خمارويه الى الاجابة توثيقا لعرى المودة وجهزها و بنى على رأس كل مرحلة تنزل بها قصرا فيما بين مصر و بغداد فكانت اذا وافت المنزل وجدت القصر قد اعد فيه كل ما يصلح لمثلها حال الاقامة ولم تر تعبا ولا نصبا فى طريقها حتى قدمت بغداد اول المحرم سنة ٢٨٢ ه

فكان هذا مع ماقام به خمارويه من اداء خراج مصر (مائتا ألف دينار كل سنة) داعية لقرار السلام بينه وبين الخليفه وتمكن سلطانه بمصر والشام ولقد أخذ فى توسيعه لمحارب الروم ودخل قائدهم طغج بن جف الفرغانى فى عسكره طرابزون وفتح مكودية وعاد بالغنائم العظيمة — ثم قتل خمارويه على فراشه في ذى الحجة سنة ٢٨٢ هـ بدمشق الشام بيد بعض خدمه ونقلت جثته الى مصر ودفن بسفح المقطم بقرب أبيه فكانت مدة حكمه اثنتى عشرة سنة وكان من احسن الناس خطا

جيش بن خمارويه

تولى بعد قتل ابيه وكان صبيا ميالا للمجون فعكف على لذاته وشهواته وقرب الاحداث والسفلة منه وتنكر لكبار الدولة وبسط فيهم القول وصرح لهم بالوعيد فأجمعوا على خلعه وبعد تسعة اشهر من ولايته وثبوا به وقتلوه ونهبوا داره وبايعوا لاخيه هرون

هرون بن خمارويه

ولما تولى حكم مصر لم ينظر ولم يتدبر عواقب الامور بل اشتغل بلهوه ولعبه فأخذ رجال الدولة يقللون من الطاعة له وكان رئيس الدولة طغج بن جف صاحب الشام فانتهز المعتضد الفرصة لاسترجاع تلك البلاد لسلطانه فتقدم نحو آماد فبايعه حاكمها من قبل هرون

ابن خمارويه وتملك قنسرين ولم يكن فى استطاعة هرون وقتئذ الا الاذعان لسلطة الخليفة فتنازل له عن البلاد التى قرب عصيانها عليه

وفى سنة ٢٩٢ هـ ارسل الخليفة المكتفى بالله محمد بن سليمان الكاتب لاسترجاع الشام ومصر من بنى طولون فسار الى الشام فتملكها ثم هجم على مصر حتى بلغ الفسطاط ولما بين هرون و بين جيشه من الوحشة وعدم الاتفاق فيما بينهم لم يقدر على مدافعة جيش الخليفة وقتل فى هذه الحرب بيد مغربى وقيل ان الذى قتله عماه شيبان وعدى ولدا احمد بن طولون دخلا عليه وهو ثمل فقتلاه فى صفر سنة ٢٩٢ هـ بعد ان حكم تسع سنين كلها تعاسة وشقاء

— وفى يوم موته بايع بعض الناس عمه شيبان بن احمد لكنه لم يهنأ بها فان الكثير رفض حكمه وطلب الامان من محمد بن سليمان فأمنهم ودخل الفسطاط وألقى النار فى القطائع ونهب اصحاب الفسطاط وكسروا السجن واخرجوا من كان بها وفعلوا كل قبيح واخرجوا اولاد بنى طولون وقوادهم ولم يبق منهم احد وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وحل بهم الذل بعد العز وكانت مدة ملكهم مصر سبعا وثلاثين سنة وستة اشهر واياما ولقد رثتهم الشعراء الكثيرون وعددوا مآثرهم وآثارهم ولقد اجاد سعيد بن القاضى فى قصيدته التى مطلعها

جرى دمعه ما بين سحر الى نحر　　ولم يجر حتى اسلمته يد الصبر

وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى
يبيت على جمر ويضحى على جمر

تتابعن احداث يضيعن صبره
وغدر من الايام والدهر ذو غدر

أصاب على رغم الانوف وجدعها
ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر

وفقد بني طولون فى كل موطن
أمر على الاسلام فقدا من القطر

وكان ابو العباس احمد ماجدا
جميل المحيا لا يبيت على وتر

كأن ليالى الدهر كانت لحسنها
واشراقها فى عصره ليلة القدر

يدل على فضل ابن طولون همة
محلقة بين السماكين والغفر

فان كنت تبغى شاهدا ذا عدالة
يخبر عنه بالجلى من الامر

فبالجبل الغربى خطة يشكر
له مسجد يغنى عن المنطق الهذرى

وتنور فرعون الذى فوق قـلة
على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه
ويهدى به فى الليل ان ضل من يسرى
ولا تنس ما رستانه واتساعه
وتوسعة الارزاق للحول والشهر
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا
الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه
من الناس فى بد والبلاد ولا حضر

﴿ ومنها قوله ﴾

فمن يبك شيأ ضاع من بعد اهله
لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وبزوال الدولة الطولانية دخلت مصر ثانيا فى حوزة العباسيين فـكان الخليفة هو الذى يعين الامير عليها من قبله ولـكن كانت هذه المدة مملوءة بالفتن والاضطرابات لضعف الدولة وعدم قدرتها على كبح جماح الامير ان هو استبد بالرعية

(الدولة الاخشيدية)

جد هذه الدولة جف من اولاد ملوك فرغانه وكان ممن جلبه المعتصم ابن هرون الرشيد واقطعه وانزله بمدينه سامرا حتى مات بها سنة ٢٤٧ ه بعد ان ترك اولادا كثيرة منهم طغج ولقد اتصل هذا ببنى طولون وتولى الاعمال من قبلهم ثم رجع الى خدمة الخليفة المكتفي بالله حتى حبسه مع ولده ابى بكر محمد ولم يزل بالسجن حتى مات ثم افرج عن ولده ولما قام به محمد المذكور من تفريق الجمع الذى تجمع لقطع طريق الحجاج ولاه الرضى بالله امور مصر سنة ٣٢٣ ه ولما رأى محمد بن طغج ما كان من انحلال روابط الخلافة العباسيه وانقسام الدولة الاسلاميه طلب من الخليفة نصيبه من القسمة فما وسع الخليفة الا تثبيته في مصر وضم اليه سورية وفي سنة ٣٢٧ ه لقبه بالاخشيد (ملك الملوك) وهو لقب لملوك فرغانه وكان كثير الحروب حارب محمد بن رائق صاحب فلسطين وسيف الدولة ابن حمدان ولما حصلت الوحشة بين الخليفة المتقي واميرالامراء تورون وخرج الخليفة من بغداد ونزل على بنى حمدان بالوصل خرج اليه الاخشيد يدعوه الى المقام بمصر وعدم العود الى بغداد حذرا من القتل وغدر تورون وتعهد انه يقوم بكل ما يحتاج اليه الخليفة من النفقات والارزاق غير ان الخليفة لم يوافقه على ما اراد — وفي سنة ٣٣٤ ه توفى محمد الاخشيد بدمشق وعمره

ستون سنة وكان حميد الصفات جم المكارم أخصها البسالة والتدبير في الحروب والحرص على مصالح دولته ورعاية الجند وكان شديد العضل لا يكاد غيره يجر قوسه اكثر من المماليك لحراسته ولم يكن ينام ليلتين متواليتين في مكان واحد حرصا على نفسه وكانت مملكته على نحو المملكة الطولونية تشمل مصر وفلسطين وسوريا الى الفرات وقسما من بلاد العرب

(ابو القسم محمد انوجور)

تولى مصر باستخلاف ابيه وكان صغير السن ضعيف الرأى فكان العامل من دولته كافور الخصى عمل بأمانة ونشاط استوجب عليهما المدح والثناء ودفع هجمات سيف الدولة عن دمشق — ولما اغار ملك النوبة على مصر سنة ٣٤٥ هـ ارسل كافور جيشا في البر وانفذ عمارة بحرية في النيل واخرى في البحر الاحمر لتسد على النوبيين السبل ففروا يطلبون النجاة واستولى المصريون على حصنهم في ابريم جنوب اصوان بمائة وخمسين ميلا — ثم توفى انوجور سنة ٣٤٩ هـ

(ابو الحسن على بن الاخشيذ)

تولى بعد موت اخيه وكانت الامور بيد كافور كما كان من قبل وفى عهده حصل فى مصر قحط دام تسع سنين لعدم وفاء النيل

فحدثت اضطرابات داخلية وتوفى سنة ٣٥٥ ه

« كافور الاخشيذى »

كان كافور هذا عبدا أسود خصيا مثقوب الشفة السفلى جلب الى مصر فدخل فى ملك محمد بن طغج ثم تولى شؤون مصر بعد موت ابى الحسن وتلقب بالاخشيذى وطلب من الخليفة المطيع ان يثبته على ذلك ففعل وهو صاحب المتنبى الشاعر المشهور وكانت له فيه المدائح العظيمة حينما كان يصله بالعطاء الكثير ومنها قوله

فدى لابى المسك الكرام فانها
سوابق خيل يهتدين بأدهم
اذا منعت منك السياسة نفسها
فقف وقفة قدامه تتعلم
ومن مثل كافور اذ الخيل احجمت
وكان قليلا من يقول لها اقدمى
ولم ارج الا اهل ذاك ومن يرد
مواطر من غير السحائب يظلم
فلو لم تكن فى مصر ماسرت نحوها
بقلب المشوق المستهام المتيم

فاحسن وجه فى الورى وجه محسن
وايمن كف فيهم كف منعم
واشرفهم من كان اشرف همة
واكبر اقداما على كل معظم

ولما غضب عليه وقطع الاحسان عنه هجاه الهجاء الخبيث وهجا فى طريقه اهل مصر كلهم لقبولهم ولاية مثله ومن ذلك قوله

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم
أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الاولى ملكت كفاك قدرهم
فعرفوا بك ان الكلب فوقهم
أغاية الدين ان تحفوا شواربكم
ياامة ضحكت من جهلها الامم

هذا ولقد صدق المتنبى فى ذلك فان امة ترضى بسيادة عبد أسود يباع و يشرى لجديرة بأن تضحك من جهلها الامم وتستهين بها الشعوب ويحل بها البؤس والشقاء

ثم توفى كافور سنة ٣٥٧ ﻫ وتولى بعده احمد بن على الاخشيدى وسنه احدى عشرة سنة فلم يوافق الخليفة على ولايته وانقسمت العائلة الاخشيدية على نفسها ورأى ذلك منهم رجال الدولة فاستنجدوا بالفاطميين وكانوا قد ملكوا قسما عظيما من مصر فلبوا

الدعوة ودخلت مصر تحت حكمهم وانتهت هـذه الدولة بعد ان حكمت مصرا نحوا من أربع وثلاثين سنة

(الدولة الفاطمية)

تنسب هذه الدولة الى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقال لهـا دولة العبيديين نسبة الى أول خلفائهم عبيدالله المهـدى بن محمد الحبيب بن جعفر المصـدق بن محمد المـكتوم بن اسماعيل الامام بن جعفر الصادق قام بدعوتهم بافريقية أبو عبد الله الحسـين بن أحمد الشيعى وتبعه الناس وحارب بنى الاغلب حتى غلب عليهم واسـتولى على القيروان ورقادة وسجلماسـة وأخرج عبيد الله من سجنها و بايع له بالخلافة واقام بها اربعين يوما ثم ذهب الى رقادة فى ربيع سنة ٢٩٦ فجـدد له البيعة بها وتلقب بالمهـدى أمير المؤمنين و بعث عماله الى الجهات وأخذ فى توسيع ملـكه حتى خضع له معظم بلاد المغرب ودخلت جزيرة صقلية ومالطه وسردينيا فى حوزته — ولمـا تأسس له الملك وتمكن فيـه بنى مدينة المهدية وأدار عليها سورا جعل فيـه ابوابا زنة كل مصراع منها مائة قنطار من حديد ابتدأ فى بنائها سنة ٣٠٣ ﻫ ولم يحفظ لابى عبدالله الحسين الشيعى حقه بل قتله كما فعل أبو جعفر المنصور مع أبى مسلم الخراسانى و بتأسيس هذه الدولة أصبحت الدولة الاسلامية منقسمة الى ثلاث دول على كل منها خليفة يدعى الاحقية بالخلافة وهم بنو أمية بالاندلس

و بنو العباس فى بغـداد والفاطميون بالمغرب — ثم تطلعت نفس المهدى الى مصر لما هى عليه من الثروة والخصب فبعث أربعين ألف مقاتل فى ثلاث فرق ولما وقف الخليفة المقتـدر بالله على ذلك جهز من رد هـذا الجيش على اعقابه ثم توفى عبيـد المهـدى سنة ٣٢٢ هجريه

فقام بالامر بعده ولده و ولى عهده محمد القائم بأمر الله فاتبع سيرة أبيه وكان اكثر تشوقا لاخذ مصر من أبيه وكان بها اذ ذاك محمد بن طغج فحصن حـدودها الغربية وجعل بها حاميـة قوية غير انه ذلك لم يمنع جيوش الفاطميين من الاستيلاء على مدينة الاسكندرية واخـذهم قسما كبيرا من صعيد مصر وتوفى سـنة ٣٣٤ ه ولم يرق منبرا ولا ركب دابة لعيد مدة خلافته ولم يصل بالناس العيد الا مرة واحدة — وتولى بعده ابنه اسماعيل المنصور بنصر الله وكان شجاعا عاقلا خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لساعته توفى سنة ٣٤١ ه

(معد المعز لدين الله)

جلس على دست خـلافة الفواطم وحاول فتح مصر غـير مرة ولـكنه لم يفز حتى اذا كان الخلاف بين الاخشيديين ارسل وزيره ومدبره ومولاه جوهرا الصقلى (كان مملوكا رومياً رباه المعز لدين الله وكناه بأبى الحسن وعظم محـله عنده) ومعه مائة ألف فارس او اكثر من ألف صندوق من المـال وأمر اولاده واخوته ان يكونوا

فى خدمته فسار جوهر حتى دخل مصر وسار فى الصعيد ولم يجد كبير عناء فى فتحها لان اهل مصر ملوا حكم العباسيين ولذلك اتاه الاهلون والامراء وهو بالجيزة يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة٣٥٨ﻫ فنزل فى ماهو موضع القاهرة الآن — ثم نزل الفسطاط وخطب فى جامع عمرو باسم المعز لدين الله وازال الشعار العباسى وألبس الخطباء الثياب البيض وبايعه الناس للمعز لدين الله ولم يأل جهدا فى تثبيت قدم هذه الدولة فى الديار المصرية وأخذ فى اصلاح شؤونها وخفض الضرائب وحفر الترع فارتوت الارض وزادت غلتها فشبع الزارع وربح التاجر واستتب النظام وبلغ خراج مصر فى هذا العام (٣٤٠٠٠٠٠)

ثم شرع فى بناء مدينة حصينة تكون قاعدة لمصر (وكان تشييد المدن سنة فى ملوك الاسلام ليكون عنوانا على عظمتهم) واختار المكان الذى نزل به حين الفتح وكان رملة ليس به الا بساتين قليلة للاخشيديين وميدانهم ودير للنصارى به بئر تعرف الآن ببئر الجامع الاقمر وكانت نهاية هذا المكان من الغرب الخليج الذى تحول الآن الى شارع يسير به قطار الترام — ومن الشرق نهاية جبل المقطم فبناها وكانت مربعة الشكل تقريبا وجعل عليها سورا يمتد من باب زويلة الى باب النصر والفتوح ومن باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق فبلغت مساحتها (٣٤٠)

فدانا و بني بها لمولاه قصرين أحدهما كبير والآخر صغير ومكانهما بقرب المشهد الحسينى ولم يزل بعض آثار ذلك باقيا الى الآن — ثم أسس اول جامع بتلك المدينة وهو الجامع الازهر شرع فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ ه وكمل بناؤه لتسع خلون من رمضان سنة ٣٦١ وكتب بدائرة القبة التى فى الرواق الاول وهى على يمين المحراب والمنبر (الذى كان موجودا وقتئذ) بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله و وليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ٣٦٠ه

وأول جمعة صليت فيه فى رمضان سنة ٣٦١ ه — ولما تم بناء المدينة استحث جوهر مولده المعز فى القدوم الى مصر فقدمها فى رمضان سنة ٣٦٢ وسكن القصر الذى اعده له جوهر واحضر معه أجداده فى توابيت من بلاد المغرب — وفى سنة قدومه عهد الى يعقوب بن يوسف بخراج مصر وكان يهوديا ثم اسلم فى عهد كافور فأحسن الجباية ونظر فى المظالم فتوفرت الاموال وحسنت الاحوال وكتب المعز الى سائر مدن مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن ابى طالب وكان يركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وخضعت له بلاد الشام وله محاربات كثيرة مع

القرامطة ولا زال بمصر حتى مات فى ربيع الآخر سنة ٣٦٥ ﻫ واليه تنسب مدينة القاهرة فيقال القاهرة المعزية وكان عاقلا حازماً أديبا خطب له بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين الشريفين — ثم تولى بعده ابنه نزار ولقب بالعزيز بالله فأقر يعقوب بن يوسف على ما كان فى ايام ابيه ولما قطع اهل الحرمين الخطبة له بعث جيوشه الى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة وضيقوا عليهم حتى رجعوا الى دعوته وتوفى فى رمضان سنة ٣٨٦ ﻫ ببلبيس ونقل الى القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه وكان كريما شجاعا حسن العفو قريبا من الناس لا يميل الى سفك الدماء محبا للصيد اديبا فاضلا وهو اول من اتخذ وزيرا قرن اسمه باسمه واول من اتخذ الاتراك واستخدمهم وجعل منهم القواد واول من اقام طعاما فى جامع القاهرة (الجامع الازهر) لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان وكان له رغبة فى اقتناء الكتب فجمع منها جانبا عظيما وخصص لها مكانا فى قصره سماه (خزانة الكتب) وبذل الاموال فى الاستكثار من المؤلفات المهمة فى الفقه والادب والتاريخ ولقد تزايد عدد الكتب التى بها حتى بلغت على ما قيل (١٦٠٠٠٠٠) وكان العزيز يتعهدها بنفسه حينا بعد حين ورتب لها قيما يتولى شؤونها — أجرى الارزاق على جماعة من الفقهاء واشترى لهم دارا بجوار الازهر وجعلها لسكناهم فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا

بعد صلاة الجمعة الى وقت العصر و بلغ عددهم (٣٥) فقيها وهوالذى اسس جامع الحاكم فلما جاء الحاكم اتمه

﴿ الحاكم بامر الله ﴾

تولى بعد موت ابيه العزيز وكانت فيه اخلاق متناقضة من عدل وجور وجود و بخل واخافة وأمن ونسك و بدعة واما مايرمي به من الكفر وصدور السجلات باسقاط الصلاة فغير صحيح ولا يقوله ذو عقل ولو صدر من الحاكم شيء من ذلك لقتل لوقته بل انه أصدر منشورا حينما بلغه ان جماعة من الروافض تعرضوا لاهل السنة فى صلاوة التراويح وقرئ على المنبر بمصر جاء فيه أما بعد فان أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها عصم الله بها من عصم وحرم لها ماحرم من كل محرم من دم ومال وعرض . الصلاح بين الناس اصلح والفساد من العباد مستقبح يطوى ما كان فلا ينشر ويعرض عما مضى فلا يذكر ـ صلاة الخمس بها جاء الدين وصلاة الضحى وصلاة التراويح لامانع منهما ـ لايسب احد ممن سلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف ـ كل مسلم مجتهد فى دينه جتهاده.والى الله ربه ميعاده عنده كتابه وعليه حسابه ليكن اعباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم لا يستعلى مسلم على مسلم بما

اعتقده ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعترضه — ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعاً فينبؤكم بما كنتم تعملون — وما يؤثر عنه منع النساء من التصرف فى الاسواق

وفى سنة ٣٩٣ ﻫ أمر الحاكم بأمر الله ان يتم بناء الجامع الذى بدأ فى بنائه والده وانفق عليه اربعين الف دينار و بلغت النفقة على فرشه بالحصير وما يحتاج اليه من السلاسل والقناديل خمسة آلاف دينار — ومن آثاره فى خدمة العلم انه انشأ مكتبة سماها (دار العلم — دار الحكمة) بجوار القصر الغربى بالقاهرة وحمل اليها الكتب وزخرفها أحسن زخرفة وجعل بها المحابر والاقلام والورق وأباح للناس المطالعة والنسخ وكانت على شاكلة بيت الحكمة الذى اتخذه العباسيون ببغداد وكان الحاكم يستحضر العلماء للمناظرة بين يديه كما كان يفعل المأمون ويخلع عليهم الخلع وكثيراما افضت هذه المناظرات الى الخصام — ووقف الحاكم على الجامع الازهر وعلى الجامع الحاكمى ودار العلم اماكن ينفق عليها من ريعها وكان يصلى اول جمعة من رمضان فى الجامع الازهر والجمعة الثانية فى جامع الحاكم والثالثة فى الجامع العتيق بمصر (جامع عمرو بن العاصى) وتبعه الخلفاء الفاطميون على هذا النحو ولعل هذا هو السبب فى صلاة امراء مصر للآن آخر جمعة من رمضان بهذا الجامع — ثم قتل

الحاكم عند ما كان منفردا من رجال دولته بقرب جبل المقطم سنة ٤١١ هـ

(انحطاط الدولة الفاطمية وأسباب ذلك

خلافة الظاهر لاعزاز دين الله)

ان دعائم الملك لاتقوم الا بالكفاءة والنظر فى العواقب والاعتبار بما سلف من الحوادث التاريخية والفاطميون وان سبقهم العباسيون باتخاذ الاتراك مما كان سببا فى ضعفهم لم يتجنبوا ذلك ولم يتعظوا فاصطنع الخليفة العزيز بالله الاتراك والديلم واستكثر منهم وقربهم لديه وجعلهم خاصته وهم مجبولون على الاستئثار بالاموال والانفراد فى الاحكام فتنافسوا مع قبائل كتامة ومنهاجة وهوارة وغيرها من قبائل البربر (وهم قوم لايستهان بهم لشدة بأسهم) الذين تأسست على ايديهم دولة العبيديين وكان لهم بها الحل والعقد وعظم التحاسد بينهم حينما حلت الاتراك فى محلهم فترك النظر فى المصالح وانضم الى ذلك ان تولى الخلافة الفاطمية على بن الحاكم بعد قتل ابيه ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وكان ضعيف الرأى منصرفا الى اللهو وشرب الخمر ورخص فيه للناس فأفضى النفوذ الى بضعة من رجال دولته وقرروا ان لايدخل عليه سواهم واصبحوا يتصرفون فى امور الدولة حسب أهوائهم ويمنعون اهل النصح من الوصول الى

الخليفة وأخذوا فى الاستئثار بالاموال فأخذت الدولة فى دور الانحطاط وضاقت ابواب الرزق على العباد وانتقض عليه الشام وفى ذلك العهد اضطربت الاحوال وغلت الاسعار حتى بيع رأس البقر بخمسين دينارا وعز الماء فعم البلاء وفشت الامراض وكثر الموت فى الناس وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق واخذت اموالهم وقتل الكثير منهم وعاد من بقى فلم يحج احد من اهل مصر وتفاقم الامر لشدة الغلاء فصاح الناس الجوع الجوع ياامير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك ولا جدك فالله الله فى امرنا وكثر طمع العبيد ونهبهم الاموال — وتوفى الظاهر سنة ٤٢٧

(ابو تميم معد المستنصر بالله)

بويع بعد وفاة ابيه وعمره سبع سنين وكانت امه جارية سوداء فاستبدت عليه وتغلبت على دولته واستكثرت من العبيد حتى بلغوا الف عبد اسود وتتابع صرف الوزراء والقضاة ففسدت الاحوال ووقع الاختلاف بين جند الدولة المؤلف من الاتراك والعبيد وقاتل بعضهم بعضا وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدتهم فتغلبت الرجال على الجهات — وفى عهده حدثت الشدة العظيمة التى لم يرمثلها المصريون فان السعر ارتفع وتبعه وباء حتى كان يموت الواحد من البيت فلا يمضى اليوم حتى يعم من فيه الموت فخرب الفسطاط وخلا العسكر

(البناء الذى احدثه العباسيون عند استيلائهم على مصر) وكذلك قطائع ابن طولون — وقد كان الجميع زاهيا زاهرا آهلا بالسكان — ولما وقع بالمستنصر ماوقع من استيلاء الترك على الامور والتضييق عليه فى معيشته حتى صار يجلس على حصير بال ليس عنده من الفرش غيره ولا حاشية لديه الا ثلاثة خدم كاتب بدرا الجمالى سنة ٤٦٦ (وكان ارمنيا تربى بمصر وترقى فى الاعمال الى أن صار حاكم سورية) فسار حتى اتى مصر فجعله الخليفة وزيرا ولقبه بأمير الجيوش وولاه ماوراء بابه والخليفة وان قصد بذلك التباعد من استبداد الاتراك واستئثارهم بالاموال حتى تعود الدولة الى حالتها الاولى لم يصل الى مرغوبه لان الدولة وان خلصت من الاتراك فقد وقعت فى براثين الوزراء الارمنيين فاستبد امير الجيوش على مابه من المبالغة فى مذهب الامامية على الخليفة وان قام بالامور وحسنت الاحوال على يديه واسترد ما كان تغلب عليه اهل النواحى واخذ من القواد والامراء جميع ماأخذوه من المستنصر من الاموال والامتعة وذخائر الخلفاء واحسن الى الرعايا واسقط عنهم الخراج ثلاث سنين تحسنت الاحوال وشاد هذا الوزير جامعا فى لاسكندرية وآخرين فى القاهرة والروضة واصلح مقياسها وبنى دارا للوزارة وكان سور القاهرة قد تهدم بعضه فأصلحه وزاد فيه ولم تزل عاملا مجدا محبوبا لدى المصريين حتى مات سنة ٤٨٧ هـ

فقام ولده محمد فى الوزارة واقب بأمير الجيوش الافضل ولم يمكث المستنصر بعد امير الجيوش كثيرا بل مات بعد أن مكث فى الخلافة ستين سنة وهى مدة لم يلها احد من خلفاء المسلمين ولا ملوكهم ممن سبقه لكنه لقى فيها اهوالا وشدائد استهلك فيها امواله وصار الى حد العزل والخلع حتى تدارك امره باستقدام بدر الجمالى فقوم امره ومكنه فى خلافته وان كان ملجما عن التصرف ولم يكن له من الامر شىء وفى عهده خرجت جزيرة صقلية من حكمه استولى عليها الفرنسيون عندنا اختلفت سكانها وتحزب اهلها وصار بعضهم يحارب بعضا وكان ذلك سنة ٤٨٤

(أحمد المستعلى بالله)

بويع بعد وفاة ابيه وكان الافضل متغلبا عليه ولم يكن للمستعلى معه شىء من التصرف

وفى عهده ساق التعصب الذميم اهل اوربا جميعا الى محاربة المسلمين فجمعوا جيوشهم ودخلوا القسطنطينية وعبروا البسفور وأخذوا كثيرا من سواحل الشام الى ان وصلوا الى بيت المقدس وكانت فى حكم الخليفة المستعلى فأخذوه ولاختلال الدولة الفاطمية لم تقدر على استرجاعها ولم يمض عليهم سبع سنين حتى اسسوا مملكة يحيط بها الاسلام وجعلوا قصبتها مدينة بيت المقدس ثم توفى المستعلى سنة ٤٩٥ هـ

(أبو على منصور الآمر بأحكام الله)

ولاه العزيز محمد الافضل وسنه خمس سنين فكان المتصرف في دولته

وفى سنة ٥٠٦ هـ امر الافضل بحفر الخليج المعروف ببحر ابى المنجا وانشاء مرصدا عظيما على مرتفع في جوار جبل المقطم — ولما بلغ الأمر سن الرجال تنكر للافضل وثقلت وطأته عليه فأغرى عليه من قتله واحاط بداره واخذ من الذهب والفضة والذخائر شيأ كثيرا و بنى الجامع الاقمر داخل سور القاهرة

وفى ايامه استولى بودوين ملك القدس على مدينة عكا وطرابلس وغزه وكانت تحت حكم الفاطميين

ثم خرج لافتتاح مصر فى جيش عظيم فاستولى على الفرما وذبح اهلها واحرق جامعها وهم الى مصر فداهمه المرض ولم يتقدم بل رجع الى الشام فمات فى الطريق واشتغل الصليبيون عن مصر بما قام به عماد الدين زنكى و ولده محمود من محاربتهم

وفى سنة ٥٢٤ تربصت الفداوية للآمر فقتلوه وكان مؤثرا لذاته طموحا الى المعالى وقاعدا عنها

(الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد المستنصر)

قام بالامر بعد قتل الآمر وكان وزيره يانس صاحب الباب

الذى تسمى باسمه حارة اليانسية ونسميها الآن (درب الانسيه) وكان عظيم الهيبة بعيد الفور

ولما مات اراد الحافظ أن يخلى دست الوزارة من الارمن الذين كانوا على الفاطميين اشد وطأة من الاتراك على العباسيين ففوض الامر الى ولده فحدثته نفسه بالخلافة وعزم على اعتقال ابيه فقتله وفى آخر امره أخذ يباشر الامور بنفسه واخلى رتبة الوزارة وفى عهده اغار روجر ملك صقلية على افريقية وطرابلس الغرب فقتل الرجال واستعبد النساء ثم مات الحافظ سنة ٥٤٤ هـ وكان حازما كثير المدارة جماعا للمال يغلب عليه الحلم

﴿ اسماعيل الظافر بأمر الله ﴾

تولى بعد موت ابيه وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع الاغانى فتقدم الصقليون فى بلاده من جهة المغرب واستولى الصليبون على مدينة عسقلان من جهة المشرق وقتله وزيره العباس ابن ابى الفتوح سرا وادعى أن أخويه قتلاه بقتلهما سنة ٥٤٩ هـ

﴿ عيسى الفائز بنصر الله ﴾

ولاه العباس وسنه خمس سنين وانفرد بالتصرف وادارة الشؤون

ولما علم اهل القصر حقيقة الامر كاتبوا طلائع بن رزيك

الارمنى وكان واليا على الاشمونين والبهنسه فحضر الى القاهرة وفر العباس من وجهه وتكفل بالخليفة الصغير ودبر احواله الى ان مات سنة ٥٥٥ هـ

﴿ عبد الله بن يوسف بن الحافظ العاضد لدين الله ﴾

ولاه طلائع ابى رزيك وعمره احدى عشرة سنة وفى عهده تلقب الوزير طلائع بالملك الصالح ولا زال بالوزارة حتى قتل سنة ٥٥٦ هـ

وكان شجاعا جوادا اماميا محبا لاهل الادب جيد الشعر وفيه عقل وسياسة ومن اعماله نقل رأس الامام الحسين رضى الله عنه من مدينة عسقلان الى مصر حذرا عليها من الصليبين وبنى لها مسجدا خارج باب زويلة يعرف بمسجد الصالح واراد ان يدفن به الرأس الشريف فأبى الخليفة الا ان يجعله فى بعض اجزاء القصر وقد كان فدفنت بالمشهد الذى هى به الآن

ثم تولى الوزارة بعد الصالح ولده الملك العادل فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية الصعيد فجمع شاور الجموع وحارب العادل حتى قتله وأخذ اموال بنى رزيك وتولى الوزارة ولم يمكث بها كثيرا حتى ثار عليه رئيس الطائفة البرقية المسمى بضرغام فانهزم ولحق بالشام وتولى ضرغام الوزارة وقتل كثيرا من الامراء لتخلو له البلاد فضعفت الدولة المصرية واختلت احوالها وفقد اصحاب الرأى

والتدبير منها

ـ اماشاور فنزل على الملك العادل محمود نور الدين بدمشق واستصرخ به وشرط له ثلث الجباية على ان يعيده فى وزارته فأرسل نور الدين فى سنة ٥٥٩ هـ أسد الدين شيركوه ومعه ولد اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب فى جيش مع شاور الى مصر فوصل اليها وهزم عساكر ضرغام وقتله واعاد شاور الى وزارته وتمكن منها وعاد اسد الدين الى الشام

ولعدم وفاء شاور بما شرط لنور الدين عاد اسد الدين الى مصر واستولى على بلبيس فاستنجد شاور بالصليبين وحاصروا مع شاور اسد الدين ببلبيس ثلاثة شهور استرجع فيها الملك العادل بعض المدن التى كانت بيد الصليبين فخافوا من ذهاب الباقى وصالحوا شيركوه وخرج من بلبيس بمن معه الى الشام واستطال الفرنج على اهل مصر وشرطوا عليهم ان ينزلوا بالقاهرة وأن تكون ابوابها بأيديهم لئلا تدخل عساكر نور الدين وجعلوا على مصر ضريبة تحمل اليهم كل سنة ﴿تأمل﴾

ولتمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها ارسل الخليفة العاضد لدين الله الى السلطان العادل نور الدين محمود ليستغيث به فلم تقف همة نور الدين عند حرب الصليبين ببلاد الشام فأرسل العساكر النورية الى مصر لانقاذها من شرهم مع أسد

الدين شيركوه وانفق فيهم الاموال وفيهم صلاح الدين ابن اخ شيركوه على كره منه (ولقد احب نور الدين مسير صلاح الدين يوسف بن ايوب الى مصر وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير اليها وفيه سعادته وملكه وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم) فسار حتى دخل مصر ورحل عنها الافرنج ولما لم ير شيركوه من شاور صلاحا قتله

وتولى الوزارة للخليفة العاضد ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش حتى مات بعد شهرين من ولايته فتولى بعده ولد اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه واستبد على العاضد وتمكن من البلاد

وفى سنة ٥٦٧ هـ ارسل نور الدين الى يوسف صلاح الدين فى قطع الخطبة العلوية واقامة الخطبة العباسية مقامها فراجعه صلاح الدين فى ذلك خوفا من الفتنة فأصر نور الدين على ما طلب وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء ان يخطبوا للمستضيء العباسي ففعلوا ولم تحدث فتن ولم ينتطح فيها عنزان ثم مات العاضد فجلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصور الخلافة العلوية وعلى جميع ما بها وكانت كثرته تخرج عن الحصر وألقى القبض على جميع من بقي من الاسرة الفاطمية ووكل بهم من يحفظهم وأخرج جميع من

من فى القصور من العبيد والاماء فباع البعض وأعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس وكانت مدة الفاطميين من حين ظهور عبيد الله المهدى بسجلماسة الى ان توفى العاضد بمصر مائتين واحدى وسبعين سنة حكم فيها اربعة عشر خليفة

وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمردت ولم تصف الا وتمردت بل صفوها لايخلو من كدر

(سبب تلاشى الدولة الفاطمية)

كان السبب فى ذلك يرجع الى استبداد الوزراء على الخليفة الذى لم يبق له معهم غير السلطة الاسمية وكانت السلطة الفعلية بأيديهم وللمحافظة عليها كانوا يعتمدون الى من لايصلح للخلافة لصغر سنه فيجعلونه خليفة ولم يزل نفوذه يضعف فى حال تزايد نفوذ الوزراء حتى نالوا لقب الملوك فترقب الكثير منصب الوزارة وحدثت الفتن وكثرت الاضطرابات الى ان استنجد الخليفة العاضد بالملك العادل نور الدين فصدق عليه قول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فكان مسني العقيدة ولها فيما مضى ارتباط عظيم بالامور السياسية فعمل للعباسيين الذين هم أيضا على تلك العقيدة وانتقم لهم من اعدائهم الفاطميين الذين هم على مذهب الشيعة وقطع الخطبة

عنهم ولم يكن فى استطاعة الخليفة العاضد ان يدافع عن سلطانه لعدم توفر الوسائل لديه فمات عقب ذلك وبموته كان انقراض هذه الدولة وذهابها بالمرة بعد ان تركت من الآثار مايشهد لها بالحضارة كالقصر الكبير الشرقى والصغير الغربى والقصور الزاهرة والبساتين المتعددة بالاماكن المختلفة ومن آثارهم الجامع الازهر الشريف وجامع الحاكم والجامع الاقمر ومدينة القاهرة المعزيه التى هى الان عاصمةالديارة المصرية (وقلما بقى شىء من تلك الآثار على حاله)

وكانت هذه الدولة ميالة الى العلم والحكمة ولهم دار كتب لم يوجد فى مصر اكثر منها جمعا للكتب فكانت عدة الخزائن التى برسم الكتب في ما ترالعلوم بالقصر اربعين خزانة فيها ثمانية عشر ألف كتاب فى العلوم القديمة وهذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم (دار الحكمة) التى اتخذها الحاكم بجوار القصر الغربى — وكان الفاطميون يتخذون أعيادا ومواسم تتسع فيها احوال الرعية وتكثر نعمهم عليها فأولها موسم رأس السنة — ثم يوم عاشوراء وكانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وكان يصل الى الناس منه شىء عظيم وذلك تذكار لمقتل الحسين بن على رضى الله عنهما ثم الموالد الستة وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد على بن أبى طالب رضى

الله عنه وابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء رضى الله عنهم ومولد الخليفة القائم بالامر

وكان لهم فى شهر رمضان عدة انواع من وجوه الخير وكانت مصر فى العهد الاول من تلك الدولة مطمئنة البال وعلى العكس من ذلك فى آخرها

« الدولة الايوبية »

تنسب هذه الدولة الى أيوب بن شادى الكردى وكان فى خدمة عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الشام والموصل ثم صار فى خدمة ولده نور الدين محمود

ولما حدثت الفتن بمصر فى ايام العاضد الفاطمى وكانت مملكة السلطان محمود قد عظمت وامتد نفوذه وقوى امره استغاث به الخليفة فأرسل اليه الجند وفيهم صلاح الدين يوسف بن ايوب وكان من امرهم ما مر عليك من تولية صلاح الدين منصب الوزارة وقطع الخطبة للفاطميين الذى تبعه موت العاضد فمن هذا الحين صار صلاح الدين حاكما على مصر باسم سيده محمود نور الدين لكنه عمل لنفسه واعد القوات للاستقلال فحصلت الوحشة بينه و بين محمود وعزم هذا على المسير الى مصر وأخذها من صلاح الدين فأتاه أمر الله الذى لا مرد له

(وكان معتنيا بمصالح المسلمين مواظبا على الصلاة والجهاد وطبق

ذكره الارض بمحاسن سيرته وعدله بنى اسوار دمشق وحمص وحماه وحلب وشيرز وبعلبك وغيرها وشاد المدارس الكثيرة للشافعية والحنفية وانشاء الجامع النورى بالموصل والمارستانات والرباطات واستكثر عليها الاوقاف وكان من دأبه اكرام العلماء بما لم يعهد فى غيره) سنة ٥٦٩ هـ

فاستقل صلاح الدين بمصر ثم ضم اليها كثيرا من بلاد الشام فانتقلت العداوة التى كانت بين الصليبين وبين السلطان محمود اليه وصار هو المباشر لحربهم القوى على دفع هجماتهم بل المسترد الحصون التى كانت بأيديهم فاتخذ اسطولا قويا حاصر به سواحل الشام وصد هجمات الصليبين على الحجاز والتقى بهم بطبريه وحطين وكانت من اعظم الوقائع لم ير الصليبون مثلها وفيها أخذ السلطان منهم (صليب الصلبون)

ثم استولى على عكا وبيروت وغيرها من المدن الكثيرة التى كانت تحيط ببيت المقدس ثم عزم على فتحه فسار اليه ووقف الاسطول المصرى يقطع الطريق على الصليبين ويغنم ما يجده من مراكبهم وحاصر السلطان المدينة حتى فتحها فى رجب سنة٥٨٣هـ ورفعت عليها الاعلام الاسلامية فتقاطر الشعراء من سائر الجهات لتهنئته بما نال من الفتح ونظموا القصائد منها قول الحسين بن جبير الاندلسى

هو الفاتح البيت المقدس بعدما

تحامته سادات الدنا ومسودها

فضيلة فتح كان ثاني خليفة

من القوم مبتديها وهذا معيدها

وقول فخر الكتاب الجوينى من قصيدة طويلة

تسعون عاما بلاد الله تصرخ والا

سلام انصاره صم وعميان

فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم

بأمر من هو للمعوان معوان

لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد

تنزلت فيه آيات وقرآن

ياجامعا كلمة الاسلام قامع من

معبوده دون رب العرش صلبان

اذا طوى الله ديوان العباد فما

يطوى لاجر صلاح الدين ديوان

ولم تمنعه تلك الحروب من اصلاح مملكته حيث أصلح مجرى النيل واحتفر الترع واقام الجسور واسقط المكوس التى حدثت بمصر فى آخر الدولة الفاطمية وكتب بذلك منشورا قرىء على المنابر وعهد الى وزيره بهاء الدين قرقوش ببناء قلعة الجبل وسور القاهرة فقام

بهاء الدين وهدم قبة الهواء وجعل فى مكانها القامة واتخذ فيها بئرا تعرف ببئر يوسف و بنى السور بالحجر بعد أن كان مبنيا باللبن وزاد فيه وجعل عليه الابواب المصفحة بالحديد ولم يتم بناء هذا السور الا بعد موت صلاح الدين وشاد مدارس العلم واتخذ المارستان للمرضى والخانقاه للصوفية و بعد ان استولي على بيت المقدس اخذ فى عمارته واستنفد الوسع فى ترصيفه ومحى ماأحدثه الصليبون من الصور وكشف عن الصخرةولم يزل عاملا مجدا فى اعزاز الاسلام حتى توفى على فراشه فى صفر سنة ٥٨٩ هـ

ولم يترك فى خزينته الا دينارا وشيأ من الدراهم لكثرةماأنفقه على الجهاد وانواع البر فى حياته ودفن بقلعة دمشق ومدةملكه لمصر ثلاث وعشرون سنة فقسمت الدولة الايوبية على اولاده واخوته فكانت مصر للملك العزيز عماد الدين عثمان وكان فخر الدين جهاركس مولى ابيه متغلبا عليه ويقال انه اعاد المكوس التى ابطلها ابوه وتوفى سنة ٥٩٥ هـ

« العادل أبو بكر بن نجم الدين ايوب »

جمع البلاد التى كانت لاخيه صلاح الدين وجعلها تحت سلطانه ودخلت مصر فى ذلك سنة ٥٩٦ هـ

وله وقائع كثيرة مع الصليبين كان النصر فيها حليفه وفى عهده توقف النيل عن الزيادة فحصل قحط ووباء ذهب فيه الكثير

من العباد ووصل سعر الاردب من القمح الى مائة دينار ثم توفى العادل سنة ٦١٥ هـ ودفن بدمشق وكان حازما متيقظا غزير العقل سديد الرأى ذا مكر وخديعة صبورا حليما يسمع مايكره ويغضى عنه

« الكامل بن العادل »

كان عاملا على مصر من قبل أبيه ثم صار سلطانا عليها بعد وفاته فاستمر على محاربة الصليبيين وكانوا محاصرين مدينة دمياط من عهد ابيه حتى استولوا عليها سنة ٦١٦ هـ واحكموا السيف فى اهلها الى أن تجاوزوا الحد وجعلوا الجامع كنيسة وساحوا فى القرى يقتلون وينهبون فابتنى الكامل مدينة المنصورة (عاصمة مديرية الدقهلية) ونزلها بعساكره

ولقد ساعدته المقادير حتى طلب منه الصليبيون الامان ورحلوا عن دمياط بعد ان اجهدوا انفسهم فى تحصينها سنة ٦١٩ هـ وهوالذى بنى المدرسة الكاملية بين القصرين وكانت تسمى دار الحديث وبنى القبة العظيمة التى على قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وتوفى بدمشق سنة ٦٣٥ هـ وكان جليلا مهيبا حازما حسن التدبير أمنت الطرق فى ايامه يباشر تدبير المملكة بنفسه حتى كان ينظر بذاته اصلاح الجسور عند زيادة النيل فعمرت مصر فى ايامه اتم عمارة وكان محبا للعلماء وسوق الآداب والعلوم عنده نافقة — فقام ولده العادل فى مصر بعده ولكنه لم يمكث كثيرا فان أخاه الصالح

أيوب خلعه واستولى عليها(الصالح أيوب بن الكامل)

تم له الامر بمصر سنة ٦٣٧ هـ وهو الذى استكثر من المماليك الاتراك وجمع منهم مالم يجمع لغيره من اهل بيته وجعل اكثر امراء العسكر منهم وبنى قلعة فى الروضة بالقرب من المقياس واسكن بها هؤلاء المماليك فسموا المماليك البحرية وبني بلدة الصالحية (بمدرية الشرقية)وكان له بها قصر وانشاء المدرسة المنسوبة اليه

— وفى عهده استولى الصليبيون على دمياط ثانيا فخرج اليهم حتى دخل المنصورة فاشتد به مرض السل فمات بها وكتمت زوجته شجرة الدر ذلك عن الجند خوفا من الوهن ونقل الي قلعة الجبل وذلك سنة ٦٤٧ هـ وكان مهيبا عالى الهمة عفيفا شديد الوقار كثير الصمت

﴿ توران شاه ﴾

تولى بعد موت ابيه وفى عهده انهزم الفرنج هزيمة منكرة وأسر ملكهم لويس التاسع

ولما كان يميل اليه من الانفراد بالامر ولم يكن ذلك من مصلحة مماليك ابيه تربصوا له وقتلوه سنة ٦٤٨ هـ

«شجرة الدر»

كانت أم ولد الملك الصالح ثم اعتقها وتزوجها — ولما قتل

توران شاه ولم يكن للصالح عقب غيره اجتمعت الامراء واتفقوا على توليه شجرة الدر وجعلوا عز الدين ايبك التركمانى رئيس العسكر فكانت اول امرأة ملكت فى الاسلام وخطب لها على المنابر وضربت السكه باسمها لكن الخليفه العباسى ببغداد لم يرض بذلك فاستمسك المماليك بقوله وثار وا عليها وخلعوا طاعتها ومن آثارها المسجد الذى به تربتها بالقرب من المشهد النفيسى

والدولة الايوبية وان قضت معظم عمرها في الحروب مع الصليبين فى الشام ومصر وأعظمهم أثرا فى ذلك مؤسس هذه الدولة صلاح الدين يوسف بن أيوب لم يشغلها ذلك عن النظر فى مصالح الامم التى كانت تحت سلطانهم فأسسوا المدارس وعظموا العلماء وأقاموا ميزان العدل بين الرعيه وابطلوا المكوس التى احدثت فى آخر الدولة الفاطميه شفقه بالناس ورأفه بهم والعالم الاسلامي مدين لهذه الدولة لوقوفها وقفة الليث إمام الصليبين الذين دفعهم تعصبهم الي الاغارة على مصر والشام والاستيلاء عليهما

﴿ الحروب الصليبية ـ الحملات التسع ﴾

الاسلام هو الدين الحنيفى الذى يعيش فى كنفه من لا يعتقه وهو الذى يجمع الشعوب المختلفه تحت رايته بدون ان يتعرض لهم فى معتقداتهم وجعل لهم من الحقوق ما للمسلمين وهذه تعاليمه تنادى بذلك من عهد نشأته الي يومنا هذا ولم يعهد أن أحدا من ملوك

الاسلام حاد عن هذا الطريق اولم يسلك هذا النهج المستقيم ولكن كل هذا لم يمنع اهل اوربا من التعصب عليه. واتفاقهم على اشهار الحرب على معتنقيه (المسلمين) وهو مايسمى فى عرف المؤرخين بالحروب الصليبيه وذلك ان رجلا فقيرا من رعايا فرنسا يقال له بطرس ترهب وذهب الي مدينه اورشليم (بيت المقدس) فشق عليه ان يرى قبر المسيح (على زعمهم) فى قبضه الاسلام فرجع الى اوربا وقابل البابا برومه وحادثه فى ذلك فأمره بالسياحه فى اوربا وتحريضها على حرب المسلمين فجال فيها و بيده الصليب فنال النجاح ولما تحقق البابا ذلك ذهب الى فرنسا وعقد مؤتمرا عاما في مدينه كليرمون سنه ١٠٩٥ م

فقرر المؤتمر اشهار الحرب على بلاد فلسطين ولقبوها بحرب الصليب المقدس — والله يشهد وملائكته ورسله أن هذا ليس حرب مقدسا وانما هى حرب احدثها رؤساء الديانه المسيحيه لحاجه فى انفسهم وساقوا اليها أفرادالامم المختلفه من الفرنسيين والطليانيين والأنجليزيين والنمساويين كما تساق النعاج الى الذبح

« الحملة الاولى »

سار الصليبيون بناء على قرار مؤتمر كليرمون. وسلكوا طريق القسطنطينيه ولقد احدثوا فى اثناء سيرهم من النهب والقتل مادل على أنهم لايريدون حربا مقدسه الى ان وصلوا القسطنطينيه وقد

بلغ عددهم مائة ألف مقاتل فعبروا البسفور ولم يتقدموا كثيرا حتى تفرقت كلمتهم فتركهم بطرس السائح وعاد الى القسطنطينية

ولما علم بقدومهم قليج ارسلان السلجوقى احاط بهم وأخذتهم سيوف المسلمين حتى أفنتهم ولم ينج بالهرب منهم الا القليل وذلك سنة ٤٩٠ هـ — ١٠٩٦ م بالقرب من مدينة قونية عاصمة ملك قليج

﴿ الحملة الثانية ﴾

ولما بلغ اهل اوربا ماحل بالحملة الاولى شملهم الحزن واجمعوا على الانتقام من عدوهم فسارت الجيوش برا وبحرا وكانت ثلاث فرق فيها اخو ملك فرنسا والرؤساء والقواد وجرت بينهم وبين ملك الروم بالقسطنطينية مشاحنات لعدم تجنبهم اموال رعاياه ودمائهم وكانت نتيجة ذلك ان دخلوا القسطنطينية وعبروا البسفور وحاصروا مدينة قونيه ولكثرتهم تغلبوا على شجاعة قليج ارسلان وجيشه واستولوا عليها سنة ٤٩٠ هـ

ثم ساروا الى انطاكية فحاصروها تسعة اشهر وفتحوها عنوة ووضعوا السيف فى المسلمين ونهبوا اموالهم فسار اليهم امراء المسلمين شرقا وغربا وحاصروا الصليبيين بها حتى وهنوا ولولا ما أصاب المسلمين من عدم الوفاق لثاروا بالمسلمين فان الخلاف اذا

حل ذهب النجاح فقوى الصليبيون عليهم وهزموهم واكثروا فيهم القتل ونهبوا متاعهم ثم ساروا الى معرة النعمان فاستولوا عليها واباحوها ثلاثا وخضع لهم اهل غزة وحمص

ثم حاصروا بيت المقدس نيفا واربعين يوما حتى ملكوها يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ — سنة ١٠٩٩ م ولبثوا يقتلون فى المسلمين اسبوعا حتى قتلوا فى المسجد الاقصى مايزيد على تسعين الفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وغنموا مالم يقع عليه الاحصاء ووصل الصريخ الى بغداد فأرسل الخليفة المقتدى الى سلاطين الدولة السلجوقية يستصرخهم ولتمكن الخلف فيما بينهم لم يفد ذلك شيأ وثبت قدم الصليبيين ببيت المقدس واخرجوا منها من بقى حيا من المسلمين واليهود وجعلوها عاصمة ملكهم الجديد واختاروا غودا فروا الفرنسى ملكا عليهم فحارب المصريين واخذ منهم مدينة عسقلان وغيرها ولم يمض عليهم اربع سنين حتى اخضعوا اكثر بلاد سورية

(الحملة الثالثة)

ان الحق لا يعدم نصيرا والاسلام وان لم يوجد من ابنائه من يقدر على دفع اغارة الحملة الثانية للصليبيين فقد قيض الله له بعد ذلك الملك عماد الدين زنكى حيث حاربهم واسترد منهم بعض الحصون وقام بعده ولده الملك العادل محمود نور الدين واشتدت

وطأته عليهم فطلبوا النجدة من البابا فخرج لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك المانيا فى جموع كثيرة وصلت الى بيت المقدس بعد عناء شديد ثم حاصروا مدينة دمشق سنة ٥٤٢هـ سنة ١١٤٨ م

فسار اليهم نور الدين من حلب واخوه سيف الدين من الموصل فوهنت قوة الصليبين وذهبت شجاعتهم ورحلوا عنها وعاد كل منهم الى بلاده وتركوا بودوين الثالث ملك بيت المقدس فاسترد منه نور الدين حصونا كثيرة

(الحملة الرابعة)

ولما استرد السلطان صلاح الدين مدينة بيت المقدس وغيرها من الصليبيين شق ذلك على البابا فأصدر منشورا عاما لسكان اوربا يدعوهم فيه الى اسعاف الصليبيين بالشام واسترجاع مدينة اورشليم التى بها القبر المقدس (على زعمهم) فسار فريدريكوس ملك النمسا والمانيا من طريق القسطنطينية واجتاز عقبات كثيرة حتى هلك وهو يغتسل فى نهر فترأس الجيش غيره وسافر ملك فرنسا فليب اوغسطوس وملك الانجليز ريكاردوس بحرا والتقى الجميع عند مدينة عكا

وقد حاصرها الصليبيون الذين بالشام فقوى امرهم ودام الحصار سنتين سفك فيها الكثير من الدماء ثم دخلوا المدينة وقتلوا كثيرا

من الاسرى و رجع ملك فرنسا الى بلاده ومكث ريكاردوس ملك الانجليز مدة طويلة كانت كلها وقائع بينه و بين جيوش صلاح الدين حتى حصلت الهدنة بينهما لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر من شعبان سنة ٥٨٨ هـ

(الحملة الخامسة)

كتب البابا الى ملوك اوربا يطلب منهم عود قبر المسيح الى حكمهم عقب موت السلطان صلاح الدين فلم يلتفت الى ذلك ملك فرنسا والانجليز لاشتغالهما بمحاربة بعضهما ولم يقم بهذه الحملة الا هنريكوس السادس ملك النمسا وألمانيا فسير الجيوش برا و بحرا وسبقته الى عكا وحصلت بينهم و بين الملك العادل ابن ايوب بعض وقائع

ولما علموا بموت الملك هنريكوس عادوا الى اوطانهم — سنة ٥٩٤ هـ

(الحملة السادسة)

اتفق الكثير من الفرنسيين والبندقيين بناء على تحريض البابا على الذهاب الى فلسطين وفيهم القواد العظام فساروا الى أن وصلوا الى القسطنطينية وعن لهم ان يخلعوا ملك الروم ويقيموا غيره فحصلت بينهم محاربات كثيرة حتى احتلوا المدينة وقتلوا الكثير

من سكانها ونهبوا دورها واحرقوها فالتجأت النساء الى كنيسة اياصوفيا وخرجت الاساقفة حاملين الانجيل يطلبون الامان فلم يلتفتوا اليهم (تأمل فى فعلهم هـذا مع دعائهم الشفقة على مسيحى فلسطين) وملكوا المدينة وغيرها وانتخبوا من بينهم ملكا على هذه المملكة الرومية وبقيت فى قبضتهم نيفا وخمسين سنة ولم يذهب احد الى فلسطين وكفى الله المؤمنين القتال

(الحملة السابعه)

عقد البابا مؤتمرا بمدينة روميه سنة ٦١٢ جمع رؤساء الدين المسيحى ونواب ملوك اوربا فاتفقوا على ايقاف الحرب فيما بينهم خمس سنين وعلى انقاذ اورشليم من ايدى المسلمين

ومع هذا لم يذهب الا ملك هنكاريا وقبرص ثم عاد الاول من طريقه وهلك الثانى بسورية اما نواب البابا والقواد والجنود فكانت كثيرة جدا فذهبوا الى عكا وشنوا الغارة عليها لكنهم لم يصلوا الى مطلبهم لوجود الملك العادل بالشام فتحولوا الى مصر وحاصروا مدينة دمياط ستة عشر شهرا واستولوا عليها فى نهايتها وحكموا السيف فى اهلها وحولوا جامعها الى كنيسة القديسة مريم فاختط الكامل بن العادل مدينة المنصورة لتمنع الصليبيين من المسير الى داخلية البلاد واتته النجدات من الشام وغيرها

— اما الصليبيون فانهم اغاروا على القرى واكثروا فيها

القتل والنهب. وساروا فى النيل الى ان وصلوا الى المنصورة ونزلوا أمام جيش الكامل فعرض عليهم اخلاء بيت المقدس وعسقلان وطبرية وغيرها من البلاد التى فتحها السلطان صلاح الدين على ان ينسحبوا من مصر ويردوا اليه مدينة دمياط فاستولى عليهم الطمع وابوا ذلك

فسارت سرية من خلفهم وقطعت عليهم النيل فحال بينهم وبين الميرة وبقية جيشهم بدمياط فطلبوا من الكامل الامان على ان يتركوا دمياط بلا عوض وخرجوا منها بعد ان اجهدوا أنفسهم فى تحصينها سنة ٦١٩ هـ

(الحملة الثامنة)

نهض لهذه الحملة اكبر ملوك اوربا فى تلك العصور لويس التاسع ملك فرنسا بناء على قرار المؤتمر الذى عقده البابا بمدينة ليون وقصد دمياط وكانت مشحونة بالرجال والذخائر الوافرة ففروا منها واستولى عليها بدون قتال

فعظم ذلك على الملك الصالح وشنق كثيرا من الامراء ونزل المنصورة وكانت بين فرعين من فروع النيل لمنع الصليبيين من الوصول الى القاهرة

— وبعد استيلائهم على دمياط ساروا فى النيل ونزلوا بالمكان الذى نزل به رجال الحملة السابقة وايد الله المؤمنين بنصر

من عنده وقتلوا الكثير منهم واسروا لويس التاسع وجمعا من كبار دولته فقيد بالحديد وجعل فى دار ابن لقمان بالمنصورة (وهى الى الآن) ووكل به الطواشى صبيح ولم يزل بها حتى فك من أثره على ان يرد دمياط فتسلمها المسلمون سنة ٦٤٨ ﻫ وسار الى عكا

وفى ذلك يقول جمال الدين يحيي بن مطروح نائب دمشق من قصيدة

قل للفرنسيس اذا جئته
مقال صدق من قؤول فصيح

اتيت مصرا تبتغى ملكها
تحسب ان الزمر ياطبل ريح

وكل اصحابك اودعتهم
بسوء تدبيرك طن الضريح

ألهمك الله الى مثلها
لعل عيسى منكم يستريح

ان كان باباكم بذا راضيا
فرب غش قد اتى من نصيح

وقل لهم ان اضمروا عودة
لاخذ ثار او لقصد قبيح .

دار ابن لقمان على حالها

والقيد باق والطواشى صبيح

(الحملة التاسعة)

قام سلطان مصر الظاهر بيبرس بمحاربة من بقى من الصليبين بأرض الشام حتى استولى على انطاكية وغيرها فطلبوا المساعدة من البابا وبعد عناء شديد سافر لويس التاسع ثانية وراى الاغارة على تونس فنزل بأنقاض قرطاجنة فاستعد لمحاربته صاحبها محمد بن ابى زكريا الحفصى وقال احمد بن اسماعيل الزيات

يافرنسيس هذه اخت مصر

فتهيأ لما اليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر

وطواشيك منكر ونكير

فحسن فاله فان هجمات العرب والسودانيين توالت عليهم حتى اخذهم الضجر والملل ونزل بهم المرض فمات لويس وكثير من رجاله ورحل الباقى عنها سنة ٦٦٩ هـ

وكانت هذه آخر حملات الصليبين ومحاربأتهم المقدسة على زعمهم بعد انمكثت مائة وثمانين سنة لم ينالوا منها سوى فناء الرجال وذهاب الاموال والله على كل شئ قدير ولو كره الكافرون

(دولة المماليك البحرية)

أمة الترك اشبه الامم بأمة العرب فهى قبائل رحالة تميل بطبعها الى الحرب والغلبة ولم تذعن قبائلها للاسلام الا بعد زمن طويل ولما وهنت عصبية العرب وابهف الملك حده واحتاج الخلفاء فى تأييد سلطانهم كان استخدام الاتراك فى الدولة الاسلامية فتعلموا آداب الملك وضروب السياسة وصاروا قواد العساكر ورؤساء الاساطيل الى ان كانت لهم دول متعددة كدولة بنى سامان وسبكتكين وطولون وطغج والدولة السلجوقية وفروعها

ولقد سلكت الدولة الايوبية مسلك من سبقها من الخلفاء وغيرهم واصطنعت الاتراك واكثرهم فى ذلك الصالح نجم الدين ايوب فاتخذ من تلك الامة العزيزة امراء كانوا يجلبون من دار الحرب الى دار الاسلام فى مقود الرق الذى كمن اللطف فى طيه فدخلوا فى الدين بعزائم ايمانية واخلاق بدوية لم يدنسها لؤم الطباع ولا خالطتها اقذار اللذات ولا دنستها عوائد الحضارة ولا كسر من سورتها غزارة الترف وبنى لهم بالروضة قلعة وجعلهم بها فسموا المماليك البحرية وهم وان ازالوا الدولة الايوبية بقتل توران شاه آخر ملوكها بمصر فقد تداركوا الايمان باحياء رمقه وجمعوا شمل المسلمين بالديار المصرية وحموا سياج الدين بها بعد ان كاد يختفي نوره بنكبة بغداد وازالة كفرة التتر كرسى الخلافة

وطمس رونق البلاد وعجزت الدولة الاسلامية لاستعراقها في الحضارة والترف عن صدهم ولبست اثواب البلاء والعجز ووقفوا امام هذا السيل الجراف والعدو المعاند واستردوا منه البلاد وفكوا اسرى العباد

(المعز ايبك الجاشنكير)

ولما قتل تورانشاه واعترض الخليفة على ولاية شجرة الدر بايعت المماليك المعز ايبك الجاشنكير سنة ٦٤٨ ه وحارب الايوبيين حتى ايد سلطانه

وفى عهده هدم سور دمياط للشدة التى توالت على المسلمين بسببها ثم قتل بتدبير زوجته شجرة الدر سنة ٦٥٦ه

(المنصور على بن ايبك)

تولى بعد قتل ابيه وعمره احدى عشرة سنة وفى عهده كانت واقعة بغداد وتحول التتر منها الى الشام فخلعه المماليك لعجزه عن القيام بعد ان حكم سنتين

(المظفر قطز سيف الدين)

اتفق المماليك على توليته وكان معروفا بالصرامة والاقدام وفى عهده عظم ملك التتر وعبر هولاكو الفرات وملك بلاد الشام وهدم اسوارها وفرت ملوكها من وجهه وبعث الى مصر منشورا يقول،

فيه من ملك الملوك شرقا وغربا الخاقان الاعظم ياأهل مصر انتم قوم ضعاف فصونوا دمائكم منى ولا تقاتلونى ابدا فتندموا لكنه قفل الى العراق قبل ان يحارب المصريين

ولما وصلت الرسل الى المظفر قطز دق رؤسهم بالسيف وسار الى الشام فحارب كتبغا وكان من اكبر قواد هولاكو ومعه جيش عظيم من التتر بفلسطين على عين جالوت حتى قتله وهزم جيوشه هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين فأفنوهم وتبع بيبرس البندقدارى من هرب منهم فى رؤس الجبال فأجهز عليهم ورد ملوك الشام الى ممالكها وقتل منهم من ساعد التتر على امرهم ودخل دمشق فتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر الذى لم يكن منتظرا

لان القلوب كانت قد يئست لاستيلائهم على معظم البلاد الاسلامية ولانهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه فمدحه الشعراء وقال فيه الخطباء ومن ذلك قول بعضهم

ملك جاءنا بعزم وحزم
فاعتززنا بسمره وبيضه

أوجب الله شكر ذاك علينا
دائما مثل فرض فروضه

وبينما هو عائد الى مصر وهو ظافر غانم بما اخذوه التتر من

ملوك الاسلام اغتالته المماليك وقتلوه رحمة الله تعالى عليه سنة ٦٥٨ هـ وكان القاتل له بيبرس البندقدارى

(الظاهر بيبرس)

تولى بعد قتل المظفر قطز فأطلق من في السجون واكثر العطاء وابطل كثيرا من الضرائب وفى عهده حضر الى مصر احمد ابن الظاهر بن الناصر فتلقاه الظاهر بيبرس واثبت نسبه امام جماعة من اكابر الفقهاء منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام و بايعه بالخلافة ولقب المستنصر بالله وخطب له على المنابر ونقش اسمه فى السكة

وقام الظاهر بنفقاته وما يلزم للخلافة وجهز معه جيشا ليسترد به بغداد وسار معه الى دمشق فسار الخليفة حتى حاربته التتر قرب بغداد وقتلوه مع غالب اصحابه ولم يجلس على كرسى الخلافة الا خمسة اشهر

وفى سنة ٦٦٠ هـ حضر آخر من العباسيين واثبت نسبه فبايعه الظاهر بالخلافة واسمه احمد الحاكم بأمر الله وهو ابو الخلفاء العباسيين الذين ظلوا بمصر فى مدة المماليك ولم يكن له من الامر شيء وعلى السلطان نفقاته ولقد فتح الظاهر الفتوحات الجليلة واخذ الكثير من سواحل الشام وكانت بيد الصليبين كقيسارية وانطاكية وغيرهما وهزم التتر عدة مرات واسترد كثيرا من البلاد

التى كانت بأيديهم وحارب الروم والارمن واستولى على بلاد النوبة وابطل كثيرا من المنكرات التى كانت بمصر وشدد فى ابطالها وبنى دارا للعدل بقرب القلعة وكان يجلس فيها للنظر فى المظالم واتخذ من اهل كل مذهب قاضيا وجدد عمارة المسجد النبوى وقبة الصخرة ببيت المقدس وبنى الجامع الكبير بالحسينية والمدرسة التى بين القصرين وجدد الجامع الازهر واعاد الخطبة فيه وغير ذلك من العمائر والقناطر وحفر الترع والخلجان مما يبقى ذكره دهورا طوالا وتوفى سنة ٦٧٦ هـ بدمشق ودفن بها

(السعيد بن الظاهر بيبرس)

تولى بعد موت أبيه فمكث سنتين ثم خلعه الاتراك وولوا اخاه العادل سلامش وسنه سبع سنين ووصيه سيف الدين قلاون الالفي فخلعه وتملك بعده

(المنصور قلاون)

تولى سنه ٦٧٨ هـ وفى عهده اتى التتر الى الشام مرتين فحاربهم وهزمهم وقتل بعض امرائهم وهو الذى بنى المدرسة والمارستان وفتح من يد الصليبين بعض الحصون وتوفى سنة ٦٨٩ هـ

(صلاح الدين خليل بن قلاون)

تولى بعد موت ابيه ولقب بالملك الاشرف فحاصر عكا حتى فتحها بالسيف سنة ٦٩٠ هـ مع حصانتها وهدم سورها واتفق له من السعادة مالم يتفق لغيره من السلاطين فانه فتح بعد ذلك مدينة صيدا وبيروت وصور وانطرطوس وغيرها بدون قتال مع مناعتها فرجعت جميع البلاد الواقعة على سواحل الشام الى الاسلام وطهرت البلاد من الصليبيين الذين كادوا يملكون مصر ويضمونها الى ملكهم بفلسطين

— ثم حاصر ايضا بعض حصون الروم حتى فتحها وقتل بيد مماليك ابيه سنة ٦٩٣ هـ ودفن بمدرسته بالقرب من مشهد السيدة نفيسة

﴿ الناصر بن محمد قلاون ﴾

تولى بعد قتل اخيه وسنه تسع سنين فتغلب عليه مملوك ابيه زين الدين كتبغا التمرى وخلعه وتولى الملك ثلاث سنين حصل فى اثنائها ضيق شديد لضعف النيل واعقبه فناء عظيم

— ثم خرج زين الدين الى الشام فقام احد الامراء منصور لاجين وتولى الامر سنتين عمر فيها جامع ابن طولون ثم ثار عليه الامراء وقتلوه فعاد الناصر الى ملكه وكان له مع التترعدة وقائع انتهت بانتصاره عليهم انتصارا باهرا

— ثم خلع نفسه سنة ٧٠٨ هـ وتولى بيبرس الجاشنكير

مملوك ابيه ولم يكن فى سيرته محمودا فكثرت الفتن بمصر فخلع نفسه بعد سنة وعاد الناصر الى الملك المرة ثالثة فكانت ايامه فيها من احسن ايام هـذه الدولة على مصر فاشتغل بالعمارة وبنى المساجد واقام الجسور وحفر الخليج الناصرى والبركة المضافة اليه وأنشأ بجوارها قصرا وميدانا ومرصدا وشاد المدارس واجرى الماء الى القلعة على القناطر العظيمة الموجود أثرها الى الآن واشتغل الناس ايضا بالعمارة حتى قيل ان العمائر فى مصر والشام زادت حتى وصلت الى الضعف فى ايام الناصر ولا غرو فقد ابطل كثيرا من المكوس والمظالم فأحبته الرعية واجمعوا على طاعته فاستتبت الراحة ولم يزل عاملا على تحقيقها حتى توفى سنة ٧٤١ فكانت مدة حكمه ٤٤ سنة

(السلاطين من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٦٢ هـ)

تولي بعده بنوه على الترتيب الآتى — ابو بكر — كجك — احمد اسماعيل — شعبان — حاجي — حسن — صلاح الدين فالبعض منهم توفى والبعض خلع وقتل وليس لهم آثار تدل عليهم الا السلطان حسن فانه شاد مدرسة بجوار قلعة الجبل فى غاية الاتقان والحسن تدل على ما وصلت اليه الحضارة فى ذلك العهد

(السلاطين من سنة ٧٦٢ هـ الى سنة ٧٨٤)

تولي من احفاد الناصر محمد بن حاجي فخلع — وشعبان بن

الحسين فخلع — وعلى بن شعبان فتوفى — والصالح بن شعبان فخلع وهو آخر ملوك هذه الدولة التى حكمت مصر نحوا من مائه وست وثلاثين سنة غالبها اضطرابات للتنازع فى الملك الذى تعطلت بسببه المصالح وضاع الامن

— ومن اعمال هذه الدولة عدا اثارها الباقية الي الآن وقوفها وقفة الليث امام كفرة التتر وصدهم عن مصر والشام واخراج من بقى من الصليبين بسواحل الشام وفي عهدها صارت الاراضى الزراعية اقطاعات بعد ان كانت قبالات فنجم عن ذلك جور يشبه الاسترقاق فلم تتمتع الاهالى بالراحة الا فى عهد الناصر قلاون

﴿ دولة المماليك الثانية ـ الجراكسة ﴾

الجركس قبيلة من الترك هاجرت الى غربى بحر قزوين وجاء الكثير منهم الي مصر للبيع فاتخذ اتابكي السلطان حسن بن الناصر قلاون المسمى بيبقا جملة منهم

ولما خصهم به الله تعالي من الذكاء والجمال صارت اليهم حماية الحصون والقلاع فسمت نفوسهم الي الملك فتغلبوا على رجال الدولة السابقة وحلوا محلهم واول ملوكهم الظاهر برقوق

﴿ الظاهر برقوق ﴾

بويع بالملك سنة ٧٨٤ هـ وفى عهده كانت اغارة تيمورلنك

على اسيا الغربية وهو وان لم يمكن تيمورلنك من دخول مصر فقد تمكن مماليكه من خلعه وسجنه بقلعة الكرك واعيد الصالح امير حاج الى الملك.

— ثم عاد برقوق الى السلطنة حتى مات سنة ٨٠١ ﻫ فأسف الناس لموته لاتصافه بالعدل واليقظة والرفق بالرعية وكثرة تصدقه على الفقراء ومحبته للعلم والعلماء ومن آثاره المدرسة الجميلة الصنع المعروفة بجامع برقوق

﴿ فرج بن برقوق ﴾

تولى بعد موت ابيه وفى ايامه استفحل ملك تيمورلنك واسر السلطان بايزيد العثمانى واغار على بلاد حلب وحماه ودمشق فقتل اهلها وخرب ديارها حتى صارت كأنها صحراء ولم يسع السلطان الا الخضوع امام بأسه

— وقد خلع وخلفه اخوه عبد العزيز ثم اعيد الى السلطنة وبقى بها حتى خلع وقتل سنة ٨١٥ ﻫ واتفق المماليك على تولية الخليفة العباسى المستعين بالله احمد بن محمد المتوكل لكنه خلع بعد قليل

(المؤيد شيخ)

بويع بعد الخليفة وهو من مماليك الظاهر برقوق وكان ملكا

جليلا كفاء للسلطنة عارفا بأحوال المملكة وافر العقل مقداما فى الحرب ومن آثاره الجامع العظيم بالقرب من باب زويلة ونقل اليه باب مدرسة السلطان حسن.

ومن محاسنه ان ابطل مكس الفواكه قاطبة وكتب بذلك على رخامة بباب جامعه توفى سنة ٨٢٢ ﻫ فقام ولده احمد فى السلطنة وسنه سنة والمدبر لامره الامير ططر فتطلع للملك وخلعه وتولى فلم يمكث الا ثلاثة اشهر ومات فقام ولده محمد وسنه ١١ سنه والمدبر لامره الامير برسباى فخلعه بعد ثلاثة اشهرجريا على العادة وتولى

﴿الاشرف برسباى﴾

تولى سنة ٨٢٥ ﻫ وهو من مماليك الظاهر برقوق وكان ملكا جليلا منقادا للشريعة يميل للعلم والعلماء وانشأ مدرسة بالصحراء وتغلب على الفرنج واخضع جزيرة قبرص

وكانت مصر فى ايامه سعيدة وكان اعلا ملوك الجراكسة همة واشدهم عزيمة توفى سنة ٨٤١ ﻫ فقام ولده يوسف بالامر ومدبره الاتابكى جقمق فغلب عليه وخلعه.

(الظاهر جقمق)

من مماليك الظاهر برقوق تولى الملك وسنه ٦٩ سنة وكان ملكا جليلا دينا متواضعا يحب العلم واهله وكانت البلاد فى ايامه

هادئة من الفتن لميل الخلفاء العباسيين اليه ثم خلع نفسه وتوفى سنة ٨٥٧ هـ فقام ولده عثمان مدة شهر ونصف

(السلاطين من سنة ٨٥٧ هـ الى سنة ٨٧٢ هـ)

الاشرف اينال وكان اميا — وابنه احمد — والظاهر خشقدم وكان روميا — والظاهر بلباى — والظاهر تمربغا — وكان روميا ايضا وكانت مصر فى تلك المدة فى اضطرابات ومماليك السلاطين يعاملون الناس بالعسف

(الاشرف قايتباي)

فى عهده صارت البلاد آمنة لعلو همته وحسن سياسته وكان انتصار العثمانيين على حليف المصريين شاه الفرس واعيا لاستكثاره من الجند وأن يبدأ العثمانيين بالشر قبل ان يبدؤا به فقطع طريق حاجهم وقبض على الوفد السياسى الهندى فكانت بينهما عدة وقائع حربية انتهت بمعاهدة ولضيق خزينته عن الانفاق على الجند اراد أن يأخذ مازاد من غلة الاوقاف ومما فى ايدى الناس فعقد مجلسا حضره الخليفة والقضاة الاربع والعلماء والامراء وعرض عليهم ذلك كاتب سره فأنكر شيخ الاسلام امين الدين الحنفي وقال على الملأ من الناس (لا يحل للسلطان آن يأخذ اموال الناس الا بوجه شرعى واذا نفد جميع مافى بيت المال ينظر الى مافى ايدى

الامراء والجند فيأخذ منه مايحتاج اليه واذا لم يوف بذلك ينظر فى المهم ان كان ضروريا للمنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط هذا هو دين الله ان سمعت آجرك الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ماشئت فاننا نخشى من الله أن يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لم لانهيتموه عن ذلك واوضحتم له الحق ولكن السلطان ان اراد ان يفعل شيأ يخالف الشرع فلا يجمعنا)

ثم قام فحار السلطان وانفض المجلس بدون جدوى وامثال هذا الشيخ قليلون

وفى ايامه بني الاتابكى ازبك قصورا متعددة حول بركة حفرها واجرى اليها الماء من النيل وشاد الناس القصور الجميلة حولها حتى صارت مدينة وتعرف الآن بالازبكية

اما قايتباى فانه عمر المسجد النبوى وانشأ قبة عظيمة على القبر الشريف ومدرسة مطلة على الحرم كما صنع ذلك بمكة و بيت المقدس ودمشق وغزة ودمياط والاسكندرية وله بها البرج العظيم وجامع بالصحراء وآثار بالجامع الازهر وجدد قبة الامام الشافعى وسيدى احمد البدوى وقناطر ابى المنجا وشبرامنت بالجيزة وغير ذلك مما ينبله الذكر الحسن توفى سنة ٩٠١ هـ

(السلاطين من سنة ٩٠١ هـ الى سنة ٩٢٢ هـ)

محمد بن قايتباى وكان طائشا فقتل — والظاهر قنصوه فخلع

— والاشرف جنبلاط صادر الناس فى اموالهم فخلع — وطومان باى اختفى — الاشرف قنصوه الغورى وفى عهـده اطمأنت البلاد عن ذى قبل و بنى جامعا ومدرسة ينسبان اليه

(اسباب ضعف الدولة وزوالها)

ان هذه الدولة نشأت ضعيفة على خلاف حال الدول فى نشأتها والسبب فى ذلك يرجع الى عـدم انحصار الملك فى بيت واحـد وتنـازع المماليك عليه فلم يتمكن السلطان من تقوية امره و بسط نفوذه

— اما زوالهـا فـكان على ايدى العثمانين بسبب تحالف ملوك هذه الدولة مع عدوهم شاه الفرس وغيره ممـا اغضب العثمانين الذى عظم ملـكهم فى عهـد السلطان سليم الاول وحبب اليه الاستيلاء على الشام ومصر والحرمين فصار بجيوشه يقصد الشام فقابله السلطان الغورى بمرج دابق قرب حلب فانهزم المصريون وقتل سلطانهم سنة ٩٢٢ هـ

فاتفق المماليك على تولية طومان باى نجـمع الجيوش وقابل السلطان سليم فانهزم ودخل العثمانيون القاهرة وخطب للسلطان سليم على منابرها وتعقبوا المماليك الجراكسة حتى كادوا يفنوهم . . . .
ثم قبض على طومان باى وعلق على باب زويلة وهو آخر ملوك هذه الدولة التى حكمت مصر والشام والحرمين ١٣٩ سنة وهى . وان

تركت آثارا زاهية الى وقتنا فقد كان شرها على المصريين اكثر من نفعها

« الدولة العثمانية »

ولما سقطت الدولة العباسية لم يكن للاسلام بعدها دولة عظيمة تحمى بيضته فضاعت وحدته الملكية واستقل كل حاكم بما لديه الى ان قيض الله له الدولة العثمانية التي تأسست وقت الحاجة اليها فجمعت تحت رايتها اغلب البلاد الاسلامية وفتحت كثيرا من الاقاليم التى لم يسبق تحليها بحلية الدين الحنيف واعادت للاسلام قوته واعلت بين الانام كلمته ومؤسس هذه الدولة عثمان الاول بن ارطغرل بن سليمان التركمانى

وذلك ان سليمان هذا كان اميرا على قبيلة التركمان التى كانت ببلاد تركستان وهاجر بها عند اغارة جنكيزخان على تلك الاصقاع فغرق فى الفرات عند عبوره فقام ولده ارطغرل فى الامارة مقام ابيه وسار نحو اسيا الصغرى وساعد السلجوقيين على عدوهم المغولى فنال منزلة عالية لدى علاء الدين السلجوقى فأقطعه الاقاليم فصار لا يعتمد فى حروبه الا عليه وبموته خلفه ولده عثمان فنال حظ ابيه لدى علاء الدين حتى منحه لقب بك واجاز له ضرب السكة باسمه وان يذكر اسمه فى الخطبة فصار ملكا لا ينقصه الا اللقب فناله بعد موت علاء الدين سنة ٦٩٩ هـ سنة ١٣٠٠ م

﴿ عثمان الاول ﴾

بويع بالملك فجعل عاصمته مدينه يكى شهر واعلن الجهاد الدينى ببلاد اسيا الصغرى وشتمت شمل التتر على يد ولده اورخان وحاصر هذا مدينة بروسه حتى فتحها توفى عثمان سنة ٧٢٧ ﻫ ودفن ببروسه

« اورخان الاول »

تولى بعهد من ابيه فاتخذ الجنود الانكشارية فكانوا من اكبر عوامل امتداد سلطنة آل عثمان وجعل عاصمته مدينة بروسه وفتح المدارس وشاد الجوامع والتكايا واجتازت جنوده بوغاز الدردنيل فاستولوا على عدة مدن ولم يزل مشتغلا بفتح البلاد بأسيا حتى مات سنة ٧٦١ ﻫ

(مراد الاول بن اورخان)

كانت فاتحة اعماله ان اخذ مدينة انقره وفتح مدينة ادرنه سنة ١٣٦١ م ولاهمية موقعها جعلها عاصمة ملكه واستولى على مدينة فليبة — ووراردار وغيرهما فصارت القسطنطينية محاطة بالاملاك العثمانية وفصلت عن الامارات المسيحية التى بشبه جزيرة البلقان واستغاثت ملوك هذة الامارات بملوك اوربا والبابا وطلبت منهم اخراج العثمانيين من اوربا حفظا للدين المسيحى من الفتوحات

الاسـلامية فهزمهم السلطان عند نهر ماريتزا سنة ٦٦٧ وفتح مدينة صوفيا ومو ناستر وسلانيك وغيرهاواخضع البلغار والصرب والار وملى ومات سنة ٧٩١ هـ

« بايزيد الاول بن مراد »

وفى عهده اتسع ملك العثمانيين بجهات اسيا وجعل البلغار ولاية عثمانية فخاف ملك المجر واستنجد بأو رباوالبابا فأعلن الحرب الدينية فاجتمع بعض ملوك فرنسا وامير بافاريا واستريا وكثير من الالمانيين فهزمهـم الساطان وأسر كثيرا من اشرافهم ثم شـدد الحصار على مدينة القسطنطينية

ولولا اغارة المغول على اسيا الصـغرى لفتحها لـكنه اكتفى بدفع الجزية و بنـاء السلمين بها جامعا ودارا شرعية للنظر فى قضايا المسلمين بها

ثم كان مـن حظه ان وقع اسيرا فى يد تيمور لنك المغولى سنة ٨٠٥ هـ ولا زال اسيرا حتى مات ونقلت جثته الى مدينة بروسه

« محمد جلبى بن بايزيد »

ولما اسر بايزيد استقل كثير من البلاد وتنازع الملك اولاده حتى غلب عليه محمد جلبى وكانت مـدته كلها حروب لاسترجاع الامارات التى استقلت وليس فيها فتح جديد

ثم مات سنة ٨٢٤ هـ واشتهر هذا الملك بحبه للعلوم وهو اول من ارسل الهدية السنوية الي اميرمكة

« مراد الثانى بن محمد جلبى »

تولي بعد موت ابيه فاسترجع كل البلاد التى استقلت عند حروب تيمورلنك وحاصر مدينة القسطنطينية فلم يتمكن من فتحها وله معا المجريين واليونانيين وقائع مشهورة توفى سنة ٨٥٥ هـ

(محمد الثانى الفاتح بن مراد الثاني)

اول مافكر فيه فتح مدينة القسطنطينية فحاصرها برا وبحرا حتى فتحها عنوة سنة ٨٥٧ هـ (بلدة طيبة)

— وا كتشف قبرأبى أيوب الانصارى وبنى بجواره السجدا وجرت عادة العثمانيين ان كل من يتولى يتقلد بسيف عثمان الغازى الاول بهذا المسجد — وحول كنيسة ايا صوفيا مسجدا جامعا ثم فتح مملكة طرابزون والصرب والبانيا وجميع اقاليم اسيا الصغرى ولم يبق فى بلاد البلقان الا مدينة بلغراد وبعض جزر للبنادقة ثم جعل للمملكه نظامات جديدة فسمى الحكومةبالباب العالي وجعلها من اربعة اركان الوزير — قاضى عسكر — الدفتر وار — نيشانجى — ووضع اول مبادى القانون المدنى وقانون العقوبات وبنى عدة مساجد بالقسطنطينية وغيرها وشاد المكاتب والمدارس

وتوفى سنة ٨٨٦ هـ

﴿ بايزيد الثانى بن محمد الفاتح ﴾

تولى بعد ابيه وهو صاحب الحروب التى كانت مع المصريين عند اطنة وطرسوس وتوسط فى الصلح باى تونس ولم تزد املاك الدولة فى عهده وتنازل لولده سليم الاول سنة ٩١٨ هـ

(سليم الاول بن بايزيد الثانى)

تولى بعد ابيه واشتغل بمحاربة اخوته حتى خلت له البلاد ثم حارب الشريف اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية بالعراق والعجم فهزمه ودخل تبريز سنة ٩٢٠ هـ واخضع اقليم دياربكر — ثم عزم على الانتقام من سلطان مصر الذى تحالف مع الشريف الصفوى على العثمانيين فسار بعد الظفر واستولى كما تقدم على مصر والشام وقتل السلطان الغورى سنة ٩٢٢ هـ

فصارت مصر من هذا الحين ولاية عثمانية وتنازل آخر الخلفاء العثمانيين بمصر عن حقه فى الخلافة للسلطان سليم فصارت بيده السلطة الدينية التى اكتسبها من الخليفة العباسى واخذ منه الآثار الشريفة وهى البيرق والسيف والبردة فتلقب بأمير المؤمنين من هذا الحين

ثم رحل الى القسطنطينية ومعه عدد عظيم من ارباب الصنائع

والحرف التى كانت مصر معروفة بها لذلك العهد واستصحب معه الخليفة الذى تنازل عن الخلافة وذلك بعد ان عين على مصر واليا من قبله وخصه بالاوامر السلطانية وترك بها طائفة من الجند لحفظ النظام والدفاع عن القطر ومن رؤساء الجند كان يتألف مجلس شورى الوالى الذى سنه السلطان وامر الوالى ان يتبعهم فيمايقررون ولهم عند الحاجة ان يطلبوا من السلطان عزله وجعل حكام السناجق (المديريات) من المماليك وعهد اليهم جباية الخراج ولقب احدهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد والباقى بالبكوات وجعل خراج مصر الى ثلاثة اقسام الاول يصرف على الجند والثانى يصرف الي مكة والمدينة المنورة والثالث الى خزينة الباب العالى ولم يلتفت فى ذلك الي راحة الاهالى بل تركها عرضة للمضار ومن هذا الترتيب تمكنت الدولة من ابقاء مصر فى قبضتها مدة طويلة

﴿ أشهر الولاة على مصر من الدولة العثمانية ﴾

سليمان باشا بقى فى مصر تسع سنين اقام فى اثنائها عمارات كثيرة منها جامع سارية بالقلعة

— داود باشا كان رجلا مستقيما كريم الاخلاق محبا للعلماء وكان له مكتبة جميلة والناس فى عهده فى سعادة وامن

— سنان باشا — تولى سنة ٩٧٦ واهتم بتنظيم شؤون مصر وحفر ترعة الاسكندرية وبنى بها جامعا وعدة حمامات وغير ذلك

— مسيح باشا — وفى عبده بطلت السرقات وارتاحت البلاد من شر هذه الطائفة واصلح الشؤون

ومن أثاره المسجد الذى باسم الشيخ نور الدين القرافي بضواحي القرافة

— السيد محمد باشا — نشط العلم والادب واعاد بناء الجامع الازهر وجعل فيه وظائف يوميه و رمم المشهد الحسينى

— محمد باشا — تولى سنة ١٠١٦ وكان حكيما حازما محافظا على الامن وابطل الضرائب التى ليست عادلة

— احمد باشا الكور يجى وهو الذى رمى النحاس على التجار وعلى سائر ارباب الحرف. فلحق الناس من ذلك ضنك شديد وشدة متناهية

(استبداد الغز بمصر على الدولة العثمانية)

لحرص الدولة العثمانية على بقاء مصر فى قبضتها لم تمكن الولاة من المكث فى مصر كثيرا حذرا من تطلعهم الى الاستقلال فأهملت القوانين وضعفت شوكة الدولة بمصر واخذت طائفة البكوات تستكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية فى الديار المصرية فآل الامر والنهى لهم فى الحكومة

وصارت حكومة الدولة بها صورية وكانت مصر ميدان الفتن والاضطرابات ولحق اهلها الذل والاهانة وهاجر كثير منهم الي الديار

الشامية والحجازية وتعطلت الزراعة لقلة المشتغلين بها وخربت البلاد ولم يكن هم هؤلاء الا جمع المال بأى طريق كان مع اهمال المنافع العامة التى عليها حياة البلاد

— وفى سنة ١١٧٧ ﻫ استقل عن الدولة وانفرد بالتصرف على بك الكبير فخفض الضرائب واصلح شؤون البلاد عن ذى قبل وضرب السكة باسمه وخطب له على المنابر وضم الى مصر جزيرة العرب على يد مملوكه محمد بك ابى الذهب ثم ارسله الى سورية ففتحها ثم حدثته نفسه بأن يكون ذلك له وان يغلب على علي بك فحاربه حتى ظفر به ومات بعد سبعة ايام من هزيمته سنة ١١٨٧ ﻫ ومن مآثره البنايات العظيمة بمدينة طندتا (طنطا) وهى المسجد الجامع والقبة التى على قبر سيدى احمد البدوى والمكاتب والمنارتان العظيمتان والسبيل المواجه للقبة وغير ذلك و وقف عليها اوقافا كثيرة ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين وطلبة العلم واجرى عليهم الوظائف اليومية وجدد ايضا قبة الامام الشافعى وغيرها من العمارات

ولما مات على بك عادت مصر الى الدولة العثمانية غير ان المتصرف فيها طائفة البيكوات والمماليك وكافأت الدولة شيخ البلد محمد بك ابا الذهب الذى غدر بمولاه بولاية مصر ولم يمكث كثيرا حتى مات

ومن آثاره مدينته المشهورة التى تسامت الجامع الازهر الشريف ثم اقتسم المماليك مصالح البلاد وتناوبوها فيما بينهم فساد الفساد وعم البلاء وكثر القحط وصودر الناس فى املاكهم فلم يأت على مصر دور اشد من هذا الدور الذى كثر شره وقل خيره ولم يكن لدى البكوات ومماليكهم دين يزجرهم ولا عقل يمنعهم من ارتكاب تلك الشرور والقبائح.

(احتلال فرنسا لمصر وخروجها منها)

دعا فرنسا لاحتلال مصر خصوبة ارضها والاضطراب الواقع فيها من حكامها المماليك وتطلعها لخيرات الهندستان الانجليزى وكانت انجلترا فى ذلك الوقت اكبر عدولها فسار اليها بابليون بونابرته فى جيش عظيم حتى احتل الاسكندرية فى المحرم سنة ١٢١٣ هـ

وسار بجيوشه برا وفى النيل والمماليك تنازعه حتى وصل الى القاهرة وخدر اعصاب الامة بما استعمله من الدهاء والمكر وضروب السياسة واسس المجالس من افراد الامة وصار لايبرم امرا مهما الا بعد اخذ رأى المجلس الخاص فكانت معاملتهم للمصريين فى اول الامر فيها لين ورفق الا ان الامر تغير فقسا الفرنسيس على الامة بعد وفرضوا على الناس الاموال واستعملوا فى البحث عن املاك المماليك وودائعهم كثيرا من الظلم والعسف

وصارت العساكر تدخل البيوت وتنهب ما فيها من غير مبالاة واكثروا من الضرائب وشددوا فى تحصيلها وجعلوا ضريبة على المواريث وعلى المسافرين من بلد الى آخر واباحوا بيع المسكرات فى الشوارع وهدموا بعض الجوامع والمنائر والمقابر وبنو القلاع والاستحكامات وقطعوا ارزاق الاوقاف عن اهلها فتمكنت الوحشة بين المصريين وبينهم واحتشد المصريون فيما بين القصرين وفى الجامع الازهر وعملوا المتاريس وكانت بينهم وبين الفرنسيين مناوشات

ثم أطلق الفرنسيون مدافعهم على الازهر وما حوله مدة فتخربت البيوت ومات الكثير من الناس ودخلت خيولهم الجامع الازهر ولم تسكن تلك الفتنة الا بتوسط العلماء وبقى الفرنسيون بمصر ثلاث سنين لم تر البلاد فيها يوما من الراحة لكثرة الغرامات التى توالى فرضها على الاهالي وفقد الامن فاتحدت الدولتان العثمانية والانجليزية على اخراجهم

فسار الصدر الاعظم يوسف باشا بعساكره عن طريق الشام واتت العساكر الانجليزية فنزلت بقرب الاسكندرية وهزموا العساكر الفرنسية فى عدة وقائع واحاط الجندان بمدينة القاهرة وفيها الجنود الفرنسية فخرجت من مصر فى اول سنة ١٢١٦ هـ وبعد ان تعين خسرو باشا واليا على مصر من قبل الدولة العثمانية

وتأيدت سلطتها عليها خرج الجندان عن مصر ايضا فعادت البلاد الي الحالة السابقة وتغلبت عليها المماليك واستبدت بالامر كما هو الشان الاول

(الدولة العلوية)

مؤسس هذه الدولة ذلك الرجل العظيم محمد على باشا الذى احي مصر بعد اماتتها والذى اعاداليها حضارتها بعد ان انتابتها النوائب والذى غرس فيها شجرة الحرية بعد ان فقدتها من أمد بعد

ولد هذا الرجل بمدينة قوله جنوب بلاد الرملى ونشأ يتيما حتى دخل فى سكك الجندية وحضر الى مصر مع الحملة البحرية التى جاءت لاخراج الفرنسيين وما زال يترقى حتى كان رئيس فرقة تبلغ اربعة آلاف من الالبانيين (الارنؤود) ولحسن سيرته واشتهاره بالعدل رغب فيه الناس وتعلقت به العلماء وطلبوا من الباب العالى ان يكون واليا على مصر فورد الفرمان بولايته فى سنة ١٢٢٠ هـ

فتولى شؤونها وسحاب الاضطراب محيط بأرجائها واخذ فى اصلاح امورها واذهب دولة المماليك منها وادخل البلاد فى عصر جديد استنشق فيه اولئك البائسون سكان البلاد رائحة الحرية التى فقدوها ولا غرو فى ذلك فالهمة العليا لاتقف فى وجهها الفتن ولا

تقوى على حدها عن بلوغ غايتها الكوارث وصدمات العصور

(محاربانه)

فى عهده استفحل امر الوهابين ببلاد العرب وانتشرت تعاليمهم وزاد نفوذ الامير سعود ببلاد نجد وهدد الدولة فى الشام والعراق واستولى على مكة والمدينة وكتب الي السلطان يطلب منه منع ولاة مصر والشام من الاتيان بالمحمل على الصورة المعهودة فلم ير الباب العالى بدا من تكليف بطل مصر ومحى معالمها بحرب هؤلاء

فاستعد الامير لذلك واتخذ دار صناعة (ترسانه) ببولاق لعمل المراكب فعمل عدة ونقلها على ظهور الجمال الى السويس ولخوفه من المماليك ورجوعهم الى ما كانوا عليه من المفاسد عزم على اهلاكهم قبل سفر الحملة فقلد ابنه طوسون قيادة الحملة وطلب من الامراء ان يحضروا الاحتفال بالباسه الخلعة التى وجهتها اليه الدولة فحضروا يوم الجمعة لخمس مضت من صفر سنة ١٢٢٦ هـ فقتلتهم الارنؤد وخلت منهم البلاد ونهبت دورهم العساكر ومن هذا الوقت عد نفسه اميرا حقيقيا على مصر لا يعوقه عن اصلاحها عايق فأرسل الحملة بقيادة ولده طوسون فاسترد من الوهابين الحرمين الشريفين

ولكن ذلك لم يمنع من استمرار الحرب مدة طويلة ذهب فى

اثنائها الامر بنفسه الي الحجاز ثم ارسل لمحاربتهم ولده ابراهيم وكان بطلا مقداما وقائدا مجربا لايهاب الموت فحاربهم حتى قبض على زعيمهم وارسله الى ابيه فخلع عليه السلطان خلعة الشرف وجعله واليا على مكة سنة ١٢٣٢

ثم عزم الامير على فتح السودان فأرسل ولده اسماعيل فى جيش فسار حتى فتح سنار وكوردفان ولكنه قتل هناك فسار احمد بك الدفتدار واخضع البلاد واقتص ممن قتل الامير وصار السودان من ذلك الحين تابعا لمصر ١٢٣٥ هـ

وفى سنة ١٢٣٩ هـ ارسل الامير بأمر الدولة حملة مصرية بقيادة ولده الامير ابراهيم لمحاربة اليونان (حرب مورة) فأظهرت الجنود المصرية شجاعة فائقة وكادت تفوز لولا ان اتفقت دول اوربا على محاربة العثمانيين والمصريين وخربت عمارتيهما قبل اعلانهما بالحرب واضاعت شرفها وهى التى تدعى انها محافظة عليه

— وفى سنة ١٢٤٧ تغير الامير من والى الشام عبد الله باشا تغيرا ادى الى ارساله الجنود المصرية برا وبحرا بقيادة ولده ابراهيم فاستولت على غزة ويافا وعكا ودمشق ولما رأت الدولة منه ذلك ارسلت جنودها فهزمها عند حمص واسكندرونه واخترق اسيا الصغرى واسر قائد الحملة العثمانية رشيد باشا وهدد القسطنطينية فتوسطت الدول وعقدت معاهدة كوتاهية التي مضمونها بقاء ولايتى

صر والشام فى يد الامير محمد على فعاد ابراهيم باشا الى الشام
اهتم بتدبير امورها ولكنه لم يمكث كثيرا حتى ثارت عليه البلاد
انتهزت الدولة الفرصة وارسلت ثمانين ألف مقاتل مع حافظ باشا
حارب به عند نصيبين وهزمه وتداخلت الدول فى الامر وارسلت
لدولة الانجليزية جنودها فحاربت ابراهيم باشا فى سورية وفى هذا
لوقت توفى السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد فرأى الامير
محمد على ان افضل شىء هو حل المسئلة مع الدولة بطريقة الود فجرت
المخابرات حتى تم الوفاق وجاءه الفرمان بولاية مصر بطريق الوراثة
لاكبر اولاده وحفدته من بعده وعليه ان يدفع لخزينة الدولة
(٨٠٠٠٠) كيس كل عام وأن لايزيد عدد العساكر المصرية
عن (٨٠٠) جندى وان يكون نوال الالقاب للضباط العظام من
حقوق السلطان المعظم وبذلك استراح الامير محمد على من تلك
الحروب ثم جاءه فرمان آخر بولايته على السودان وتوابعه فاطمأن
خاطره واخذ فى اصلاح البلاد وبذل فى ذلك من الجهد والعناية
ماليس وراءه غاية فأحيا الديار المصرية وأنماها من سائر الوجوه
حتى جعلها تجارى ممالك اوربا

(اصلاحاته)

اول شىء باشره من الاصلاح ان مسح الارض ووزعها على
المزارعين وجبى خراجها بطريقة عادلة ثم قسم البلاد الى مديريات

وانشأ الدواوين ونوعها على طريقة الممالك النظامية وشاد مجالس القضاء ورتب البريد واهتم بتأمين الطرق فاطمأن التجار على ارواحهم ومتاعهم وبنى الحصون بثغر الاسكندرية ورشيد ودمياط واهتم ان يجعل فى مصر جندا نظاميا فصادفته فى البدء صعوبات فغلب عليها بحكمته وعهد الى رجل فرنسى يسمى سيف بتعليم الجند خارج القاهرة فنظم فرقة بالصعيد ودخل بها القاهرة بعد عامين بهيئة ادهشت سكانها .

وقد اسلم هذا الرجل بعد وعرف بسليمان باشا الفرنسى — ثم وجه عنايته لانشاء الاساطيل البحرية فبنى الترسانه بالاسكندرية وجلب اليها الاكفاء من الاوروباويين فأخرجت عدة من السفن الحربية واقام بها مدرسة حربية احضر اليها الاساتذة من الفرنسيين والانجليز لتعليم المصريين .

— ثم شاد مدارس الطب والمستشفيات واستقدم الطبيب الفرنسى (كلوت بك) وعهد اليه بنظارة الطب فيها فخرج المهرة من المصريين وارسل الارساليات الى اوربا للتعلم العلوم والفنون المختلفة وانشأ ديوانا سماه ديوان المدارس فكان يدبر شؤون سبعين مدرسة منها ست عشرة مدرسة كبرى واليه ينسب وجود مطبعة بولاق الكبرى ولم تقصر همته عن تناول الماديات فقد بذل جهده فى اصلاح الرى ووضع اساس القناطر العظيمة

سنة ١٢٥١ ﻫ عند تفرع النيل الى فرعيه وهى المعروفة لدى الناس بالقناطر الخيريه

فكانت مصدر الخير لسكان الوجه البحرى وسهل ارواء ارضهم من يوم وجودها . وحفر من الترع اربعين ترعة بين كبيرة وصغيرة وانشأ الجسور والقناطر والسدود فزادت الارض المزروعة واخذت الحركة الزراعية تنمو فى البلاد فأدخل زراعة القطن بمصر وعليه حياة سكانها الآن وكذلك ادخل نبات النيلة والافيون وقصب السكر

ولما كثرت حاصلات البلاد وجه التفاته الى تنشيط التجارة فاتخذ مينا بالاسكندرية وحفر ترعة المحموديه لتوصيل البضائع واصلح مرفأ بولاق فاتسعت التجارة وكثرت العلائق بين سكان البلاد والاجانب وعاد كل ذلك بالنفع الجزيل — ثم انشأ المعامل المتعددة لحلج القطن وعصر القصب وصنع الطرابيش والورق وغزل القطن والحرير والكتان والصوف فى سائر جهات القطر واتخذ المعامل لصنع الاسلحة على انواعها ومما يؤسف له ان لا اثر لتلك المعامل على اختلافها وكثرة فوائدها فى بلادنا فى هذه الايام مع ادعاء تقدمها عن ذى قبل

وفى سنة ١٢٦١ ﻫ توجه الامير الى القسطنطينية وقابل السلطان ومكث بحضرته ساعة ثم خرج منها وسافر الى مسقط رأسه (قولة)

فأقام فيها عدة ابنية لتعليم الفقراء واعانة الضعفاء ثم سافر الى مصر فاستقبله المهنؤون وعلى صدره الطغراء الشاهانية ولم يزل عاملا على اصلاح البلاد حتى مرض فى سنة ١٢٦٥ هـ وانحرفت صحته فاعتزل الاعمال

﴿ ابراهيم باشا ﴾

هو ابن محمد على باشا كان سر عسكر الجنود المصريه فى عهد ابيه ولما اعتزل ابوه الاعمال توجه الى القسطنطينية لتثبيته على ولاية مصر فثبته السلطان وعاد اليها لمعاطاة الاحكام ولم يطل عهده فتوفى بعد مضى احد عشر شهرا من ولايته سنة ١٢٦٥ هـ

﴿ عباس باشا الاول ﴾

هو ابن طوسون باشا ابن محمد على تربى احسن تربية ورافق عمه ابراهيم فى حملته الى الديار الشامية وتولى زمام الاحكام على مصر بعد وفاته

وفى عهده توفى جده محمد على فى اواسط رمضان سنة ١٢٦٦ هـ بقصر رأس التين بالاسكندريه فنقل الى القاهرة ودفن بالجامع المضاف اليه بقلعة الجبل

ومن اعماله الشروع فى انشاء الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية ومد الخطوط التلغرافيه وتأسيس المدرسة الحربيه فى

العباسيه واهتم بحال الامن فى البلاد حتى انه كان يعاقب على التهمة و يسير بالليل فى ازقة القاهرة ليتعهد احوال سكانها وفى عهده كانت الحروب بين الدولة العثمانية والدولة الروسية فبعث نجدة للدولة ودعها بنفسه وشجعها بخطبة بليغة

وفى سنة ١٢٧٠ هـ توفى قتيلا بقصره الذى شاده على الشاطىء الايمن من فرع النيل الشرقى عند مدينة بنها

(سعيد باشا)

هو ابن محمد على كان محبا للعلم بارعا فيه ولى بعد وفاة ابن اخيه وكان قبل ذلك رئيس البحرية

ومن اعماله اتمام الخط الحديدى والتلغرافى بين القاهرة والاسكندريه والشروع فى مد غيره وسن لائحة الاطيان السعيديه التى قضت باسترجاعها من المتعهدين الى الاهالى فأقبلوا على اصلاحها و زراعتها ولائحة المعاشات التى استفاد منها عمال الحكومه اعظم فائدة

ومن اعماله ايضا تعديل الضرائب و رفع الجائر منها ونزح ترعة المحموديه — وفى ايامه تمت معاهدة ترعة السويس التى وصلت البحرين الابيض والاحمر ببعضهما وفصلت القارتين اسيا وافريقيا عن بعضهما

واقام على طرفها الشمالى مدينة عرفت (ببورت سعيد) وكان

ينتظر من تلك الترعة نفعا عظيما لمصر ولكن استأثر بها الاوربا ويون وا كثرهم نفعا الفرنسيون والانجليز

ومن اعماله ايضا انشاء القلعة السعيدية فيما بين القناطر الخيرية وقد تداعت اركانها الآن وكان ولعا بجمع العساكر المصرية مغدقا عليهم نعمه ميالا الى الوجود فيما بينهم وتوفى سنة ١٢٧٩ ﻫ بالاسكندرية ودفن بها

﴿ اسماعيل باشا ﴾

هو ابن ابراهيم نشأ فى حجر ابيه وتعلم وتثقف بحياطة جده وسافر الى فرنسا وتلقى العلوم العالية بمدرسة باريس وكان عضوا في مجلس احكام الدولة ايام ولاية عباس وترأس مجلس الاحكام بمصر ايام عمه سعيد فنظمه على مثال مجلس احكام الدولة ولي بعد وفاة عمه فنال بعد مضى عام لقب خديوى وتعدلت الوراثة الخديوية

فصارت لاكبر اولاد من يتولى الخديوية بعد ان كانت لاكبر الاسرة العلوية ورخص له الباب العالى فى وضع القوانين والنظامات الداخلية التى توافق طبائع المصريين واباح له عقد القروض من الخارج بدون استئذان الدولة

وفى عهده اتسع نطاق التجارة وكثرت فروع السكك الحديدية والتلغرافات واشرقت شموس المعارف على ارض مصر

وكثرت المدارس وهو الذى شاد دار الكتب العربيه (الكتبخانه) ودار الآثار المصرية ﴿الانتكخانه﴾ وهما من اجل الآثار وبنى مدينة الاسماعيلية على ترعة السويس التى فتحت فى عهده وصرف على الاحتفال الذى حضره الملوك والامراء بسخاء حاتمى ونظم مدينة القاهرة وشاد الابنية الفاخرة والقصور العالية بها وبالاسكندرية ونظم فروع الادارة وسن لائحة مجلس النواب المصرى وانشأ مجالس القضاء والمجالس المختلطة ومصلحة البريد وادخل الاصلاح على مطبعة بولاق وأمر بترجمة الكتب المفيدة واسس معامل الورق ونشط المطبوعات فتكاثرت فى عهده المطابع والجرائد ونهضت فى ايامه نهضة مرجع الفضل فيها اليه واتم فتح السودان وابطل تجارة الرقيق منه

وكل هذه المصالح جاءت بالنفع لمصر لكنها كانت مع ماعليه الخديوى من الاسراف سببا فى ان يمد يده الى ارباب الاموال الاوربيين والاستدانة منهم بالربا الفاحش مرة بعد اخرى حتى وصلت ديون مصر الى مائة مليون من الجنيهات فأصبحت حملا ثقيلا على الخزينة المصرية فوضعت الضرائب المتعددة واستعملت طرق القسوة في تحصيلها وقربت البلاد من الافلاس فتداخلت الدول الاجنبية للمحافظة على اموال رعاياها والفت لجنة صندوق الدين العمومي ولم ير الخديوى بدا من تأليف مجلس النظار فشكله وجعل

فيـه عضوين احدهمـا انجليزى والآخر فرنسى فعمل المجلس على قاعدة الاقتصاد واخلى كثيرا من الجند والضباط فثارت الضـباط وترك العضوان منصبهما وسعت الدولتان الانجليزية والفرنسية لدى الباب العالى فترك الخديوى الاعمـال سنة ١٢٩٦ هـ سنة ١٨٧٩ م وسـافر الى اوربا وخاطب ولده الخديوى توفيق عنـد سفره بقوله (لقد اقتضت ارادة سلطاننا العظيم أن تـكون ياأعز البنين خديوى مصر فأوصيك باخوتك وسائر الآل برا واعلم أنى مسافر و بودى لو استطعت قبل ذلك ان ازيل بعض المصاعب التى اخاف ان توجب لك ارتباكا على انى واثق بحزمـك وعزمك فاتبع رأى ذوى شوراك وكن اسعد حالا من ابيك) واقام بها مدة ثم اقام بالقسطنطينية حتى توفى وحضرت جثته الى مصر ودفن بجامع الرفاعى بجوار القلعه

﴿ توفيق باشا ﴾

هو اكبر انجال اسماعيل كان بارعا فى اللغة العربية والجغرافيا والتاريخ والطبيعيات والرياضيات واللغات الاجنبية وتقلد المناصب العالية فى ولاية ابيه واستلم زمام الاحكام بعد اقالته وكانت مصر مضطربة وخزائنها فارغة فألف الوزارة وعين مفتشـين احدهمـا انجلـيزى والآخر فرنسى واباح لهما حضور جلسات مجلس النظار وجعل رأيهما استشاريا ولم تمض عدة اشهر حتى استقرت الاحوال

فأخذ فى الاصلاح وامر بتشكيل لجنة التصفية التى امنت الدائنين على اموالهم وحفظت للفلاح المصرى الحق فيما دفعه من المقابلة وألغى كثيرا من الضرائب وقسط الاموال التى على الاطيان وجعلها فى اوقات محدودة وابطل ما كان يستعمل فى تحصيلها من القسوة فأمن الفلاح على نفسه وماله

فكانت امارته رحمه الله تعالى فاتحة عصر الاصلاح فى حالة الفلاح ولرأفته بالمصريين وحبه لهم انعم على الضباط منهم بالرتب العالية فتنفسوا الصعداء وتاقت نفوسهم الى المناصب العالية وحقدوا على اخوانهم الترك والجراكسة والتفوا حول زعيمهم احمد عرابى ونمت فيهم الحركة الوطنية ولعبت الايدى الاجنبية حتى تظاهر الجيش بساحة عابدين وتألف مجلس النواب المصرى وترقى عرابى حتى كان ناظرا للجهاديه فاضطهد الاتراك والجراكسة واستفحلت الثورة وتداخلت الدول وعقدت المؤتمر بالقسطنطينية وكلفت الدولة العثمانية بارسال جنودها لاخماد الفتنة وخدرت افكارها رجال السياسة لحاجة فى انفسهم فأبت من ذلك واتخذت انجلترا ذلك زريعة لتداخلها بالقوة فضربت الاسكندرية بمقذوفات اساطيلها سنة ١٢٩٩ هـ — ١٨٨٢ م وقضى الله ولا راد لقضائه فاحتلت الديار المصرية ودخلت عساكرها مدينة القاهرة واحتجت الدولة على هذا الاحتلال والحت على الانجليز ان تعين يوم الجلاء

وكثر البحث بينهما ولكنه لم يأت بفائدة فأرسلت الدولة معتمدا الى مصر من قبلها ليراقب حركات الانجليز بها

وكانت تلك الثورة المشؤومة سببا فى استفحال امر المهدى بالسودان وعجز الحكومة عن مقاومته وفى آخر الامر عملت الدولة المحتلة لمصلحتها وارغمت الحكومة المصريه على التخلى عن السودان (وليس لها عنه غنى) — ثم عادت الحكومه الى الاصلاح فسارت فى ذلك سيرا محمودا وفتحت المدارس واسست المحاكم النظامية وحفرت الترع وأنشأت القناطر ورفعت السخرة عن الفلاحين فصار تطهير الترع وانشاؤها من اعمال الحكومة لكنها رأت الغاء مجلس النواب والاستعاضة عنه بمجلس شورى القوانين ومجالس المديريات والجمعية العمومية ولم يزل هذا الخديوى عاملا لمصلحة بلاده حتى توفى بمدينة حلوان سنة ١٣٠٩ هـ — سنة ١٨٩٢ م

﴿ الى هنا انتهى مقرر السنة السابعة ﴾

(عباس باشا حلمى الثانى)

هو عباس باشا بن محمد توفيق باشا بن اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا تولى عرش الامارة الخديوية فى ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ بعد وفاة المغفور له أبيه

ولد سموه سنة ١٨٧٤ م وتربى أكمل تربية فتلقى دروسه الابتدائية بمدرسة عابدين التى أنشأها والده له ولدولة شقيقه البرنس محمد علي ثم أرسلهما الى مدرسة جنيف بسويسره فجدا فى تحصيل العلوم مدة بها ثم ذهبا الى فينا وانتظما بمدرستها الملوكية العليا وفي خلال جنيهما ثمار العلوم والمعارف بتلك المدرسة استأذنا والدهما في السياحة في أنحاء أوربا كي يقفا على مصادر أحوال مدنيتها فمرا بألمانيا وانكلتره وروسيا وايطاليا وفرنسا والممالك الاخرى فحظيت الملوك بهما وانزلوهما المنزلة اللائقة وكثيراً ما كان يذهب الى معارض أوربا والمجتمعات الادبية حتى وقف على أسباب مدنيتهم الحديثة فكان أوسع الخديويين اطلاعا ولا زال باوربا مدة الدراسة من كل عام حتى جاءهما البرق بوفاة الخديوي السابق في ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م ثم جاءته رسالة الصدر الاعظم بتثبيته على العرش فأسرع الى مقر حكومته فوصل الاسكندرية في ١٦ يناير من السنة المذكورة فاحتفل القطر بقدومه احتفالا يليق به وانعطف المصريون اليه أكثر مما الى غيره من الخديويين لما لاقوه من دعته ولطفه وصدق محبته لهم فامتاز بذلك كما امتاز بالنهضة العلمية بالمعاهد الدينية حيث مد يد المساعدة وبذل النفيس النافع لاصلاح المعاهد وسد حاجاتها

وأنشأ مالم يكن من المعاهـد الدينية وسن لذلك قانوناً به تدوم وترقي فرجي الاساتذة والطلاب من وراء ذلك خيراً ونجاحا وكان ذلك عملا صالحاً وأثراً باقياً في تاريخ الخديوية العباسية أسفر عن عنايته بالشريعـة وأهلها وقد أكمل الله له نعمة الايمان والاسلام ورضى له بذلك حيث وفقه لاداء فريضةالحج فبرح موكبهالقاهرة في٢٩ القعدة سنة١٣٢٧ هـ (١١ دسمبر سنة ١٩٠٩ م) فوصل جده في ١٤ دسمبر وحلت ركابه بمكة المشرفة فأدى مناسك الحج وفرضـه وتجنب الرخص فى حجه فـكان مظهر العبودية والاخلاص ثم قصد المدينة المنورة فزارالروضة المحمدية الشريفة على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تحية ثم وصل مصر فى ٢٥ يناير سـنة ١٩١ م فزينت له العاصمة زينة الاخلاص التى لم يسبق لها مثيل ومن يوم ان جلس على الاريكة الخديوية عني باصلاح شؤون رعيته وأخـذ في أسباب راحتهاورفاهيتها ورفع ماانتابها واثقل كاهلها من المظالم فصدرت الاوامر العالية الىادارةالمديريات والنواحي من ذلك الامر العالى الصادر في ٢٨ يناير سنة ١٨٩٢ م بالغاءالضرائب التى كانت قد وضعت على الصنائع

وفى أيام سموه صدر الامر العالى في ٣ نوفبر سنة ١٨٩٤ م بالغاء نظام البوليس الذى كان متبعاً فىزمن الخـديوى السابق ووضع النظام الحالى بناء على لائحة رفعها رئيس الوزارة المصرية نوبار باشا وفى عهـد سموه عدلت الضرائب بأمر عالصدر في ١٠مايو سنة١٨٩٩م وألغيت الضرائب التى كانت موضـوعة على السفن المسافرة في النيل بأمر عال

بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م ثم نظر بعين عدالته الى الضرائب (الدخولية) التى كانت الحكومة تتقاضاها على الفاكهة والخضار وغيرهما مما يدخل المدن فأصدر أمره بالغائها في أوائل سنة ١٩٠٣ كما ألغى احتكار الملح في اول سنة ١٩٠٦ م وفي عهد سموه بيعت الدائرة السنية وصفيت حساباتها فربح الاهالى تلك الصفقة وزادوها في مزارعها وممتلكاتهم وتمت الراحة للاهالى بذلك وبرفع مايعرف بالعونة والسخرة في تطهير مجارى الري وأنشأ الترع هذا .

ولقد كنا نرجو وراء ذلك اصلاحاً مالياً وتقدماً أدبياً للمزارعين فتتم نعمة الله عليهم فيشكرونه على ذلك بجدهم واجتهادهم فيما يثمر مالهم ودينهم ويقوم اخلاق ذراريهم فاذا نشاؤهم الذي تربي فى ظل الراحة ورفع المظالم يعيث في الارض فساداً فنهبوا المال وسفكوا دماء الابرياء وأصبح الاكابر بالقرى أصاغر وانقادت الاغنياء لجاذبية سلطانهم ورقت السفلى على العليا والقضاء الاهلى على ماتعلم والنار تحدث من مستضعف الشرر فالتهب ذلك واتسع الخرق حتى عم المدن والامصار ووافق ذلك أوائل الوزارة السعيدية فاجتهد في سعادة الاهالى حتى وقف على دواء علتها فسن مشروع النفى الادارى فاستحسنه أمير البلاد وأخذ صفته الرسمية من عهد غير بعيد وسيق المجرمون الى عذاب الذل والصغار وقد أفاد البلاد كثيراً وأصبح الناس آمنين على أموالهم وأرواحهم فجزى الله المشرعين والمنفذين جزاء جميلا

(الزراعة)

في عهده تقدمت الزراعة واتسعت مساحة الاطيان المزرعة فبعد ان كانت مساحة الاطيان الزراعية أقل من خمسة ملايين فدان ناهزت سبعة ملايين وكانت الاراضي التى تزرع قطناً في أول عهد سموه نحو تسعمائة ألف فدان فبلغت الآن مليوناً ونصفاً وكانت غلة القطن سنة ١٨٩١ م ٤٦٠٠٠٠٠ قنطاراً فقد بلغت مايقرب من سبعة ملايين قنطار فكثر عدد الملاك من الاهالى فكان في أول عهده ٧٥٠٠٠٠ شخصاً فأصبح عددهم ١٣٥٦٠٠٠ نفساً

وأنشئت مدرسة للزراعة ومعاريض وشركات وبنك ونقابات زراعية وعملت قناطر أسيوط على بعد ٢٥٠ ميلا جنوب القاهرة بدىء فيها في شتاء عام سنة ١٩٠٢ م وانتهت فى سنة ١٩٠٨ م وهي كالقناطر الخيرية شكلا الا ان القناطر الخيرية تمتاز ببنائها من حجر القرميد ويبلغ طول قناطر أسيوط ٨٣٣ م وعددها ١١١ قنطرة وعرض القنطرة خمسة أمتار وارتفاعها ١٢،٥ م والغرض من تلك القنطرة اصلاح الري في مصر الوسطي والفيوم لانها اذا أقفلت منعت جري الماء فيرتفع نحو ثلاثة أمتار فوق ارتفاعه الاعتيادي فتزيد مساحة الاطيان الزراعية نحو ثلثمائة ألف فداناً تروى من ترعة الابراهيمية ولقناطر أسيوط هويس لمرور السفن طوله ٨٠ م وعرضه ١٦ م ومن أعظم مشروعات الرى التى حدثت في عهده خزان اسوان أنشىء في سنة ١٨٩٩ م وانتهى في أواخر سنة ١٩٠٢ م وكانت مواده من حجر الفرانيت والسمنت والحصى وطوله

٢٠٠٠ متر ويمتد من الجبل الشرقى الى الجبل الغربي ويختلف ارتفاعه من ٢٠ م الى ٤٠ م باختلاف عمق قاع النهر وثخانته عندقاعدته خمسة وعشرون متراً ومن أعلاه سبعة أمتار ويوجد به مايةوثمانون فتحةعليها أبواب من الحديد سعتها مختلفة منها مائة وأربعون مسطح الواحدة منها أربعة عشر متراً وأربعون مسطح الواحدة منهاسبعة أمتار والغرض منه خزن المياه وقت الفيضان والانتفاع بها وقت التحاريق الصيفية فعادعلى الحكومة والاهالى بالفوائد الجليلة واستثمار خيرات أهل أرض النيل وكنوزه التي لاتنفد فكان ذلك من أجل الاعمال العلمية الزراعية بالديار المصرية ولاتزال الحكومة ساهرة على تحسين الزراعة واتساع منطقتها فهي تفكر الآن في تجفيف بحيرة البرلس والمنزلة وتطهيرها بواسطة مياه النيل والمصارف حتى تزادفي مزروعات وادي النيل وهذا وان كان خطيراً من أهم الاعمال وموارد الثروة بالديار المصرية فربما لايتم لعدم وجود المال العظيم الذي يعين الحكومة على ذلك وقدره بعض الخبراء بعشرين مليوناً من الجنيهات وربما أعطته الحكومة لشركات تقوم بعهدته كما قامت بغيره فتعود الحكومة بالربح الوافر وان المستقبل بذلك لكفيل

هذا ولقد تم فى عهد سموه أعمال سياسية منها تحديد تخوم مصر في الفرمان الشاهاني الصادر بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ١٣٠٩ هـ (٢٦ مارس سنة ١٨٩٢ م) وهو يخالف الفرمان الصادر للمرحوم توفيق الخديوي السابق في حدود مصر الشرقية عند شبه جزيرة سينا وقد

دامت المخابرات بين وزارة خارجية انكلتره والباب العالى في هذا الشأن حتى أصدر الصدر الاعظم ملحقاً تلغرافياً في ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ م مضمونه الاقرار على بقاء ادارة دفة شؤون شبه جزيرة طورسينا بزمام الخديوية المصرية بالكيفية التى كانت عليها فى عهد اسماعيل باشا وتوفيق باشا ثم اعادة الوجه ـ وطابا ـ والمويلح والعقبه الى ولاية الحجاز حيث لم تكن مبينة أصلا بخريطة سنة ١٢٥٧ هـ المسلمة الى جنتمكان محمد على باشا المبينة بها الحدود المصرية وكان الغرض من تبعيتها لمصر ضرورة مرور المحمل المصري عن طريق البر أما الفرمان الشاهانى الصادر عن الارادة الشاهانية الصادرة فى ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ فيتضمن ان جميع ايرادات الخديوية المصرية يكون تحصيلها واستيفاؤها باسم الحضرة الشاهانية واذن الحضرة الخديوية بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بأهالي مصر وتأسيسها على صورة عادلة وبتجديد المشارطات مع مأموري الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقي الحرف والصنائع وتسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو الاهالي والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البوليتيقية وفي حقوق متبوعية مصر لها وعلى الخديوي قبل اعلانه المشارطات التي تعقد مع الاجانب تقديمها الى الباب العالى ولخديوية مصر حق التصرفات الكاملة في مالية مصر غير انه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض الا بالاتفاق مع المداينين

الحاضرين أو وكلائهم الذين يتعينون رسمياً مقصوراً على تسوية أحوال المالية الحاضرة وعلى الخديوية أن تؤدي مبلغ ٧٥٠ الف ليرة عثمانيــة الويركو المقرر دفعه في كل سنة في أوانه وعليه أيضاً أن تـكون النقود التي تضرب في مصر باسم الحضرة الشاهانية والمحافظة على حدود مصر وأرضها فلا يجوز التنازل عن أي امتياز أو قطعة أرض للغير مطلقاً كما لايجوز جمـع عساكر زيادة عن ثمانية عشر الفاً لان هذا القدر كاف لحفظ أمنية بلاد مصر الداخلية في وقت الصلح الا اذا كانت حالة الدولة العلية اقتضت الزيادة بان كانت محـاربة ولا يرخص لخديوي مصر أن ينشيء سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من الدولة العلية ويجب أن تـكون رايات العسـاكر البرية والبحرية والعلامات المميزات لرتب ضباطهم كرايات العساكر الشاهانيـة ومن الواجب المحافظة على كل الشروط السـالفة الذكر واجتنـاب وقوع حركة تخالفها

واستمر العمل على ذلك ولم يحدث خـلاف الا في أواخـر سنه ١٩٠٦ م فنشأ على الحدود الشرقية الفاصلة بين مصر والشام وبعد مداولاة طويلة بين الباب العالى ومصر اتفق الطرفان على انتخـاب لجنتين فتم ذلك واجتمعتا على الحدود واقرتا على اتفاقية رسمية مؤرخة فى أول اكتوبر سنة ١٩٠٦ م مشمولة بخريطة لايضاح ذلك ومما تم في عهد سموه استرجاع السودان سنة ١٨٩٧ م بحملة مؤلفة من الجندين المصرى والانـكليزى تحت قيادة السردار كتشنر باشا عميد الاحتلال الآن

وفى سنة ١٨٩٩ م وضعت اتفاقية السودان تحت امضاء بطرس باشا غالي ناظر الخارجية المصرية من قبل الحكومة المصرية واللورد كرومر عميد الاحتلال فى ذاك التاريخ وهذا نصها

(١) تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضي الكائنة الى جنوبي الدرجة ٢٢ من خطوط العرض وهي أولا الاراضي التي لم تحتلها قط الجنود المصرية من منذ سنة ١٨٨٢ م ثانياً الاراضى التى كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتياً ثم افتتحتها حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد ثالثاً الاراضي التى قد تفتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان فصاعدا

(٢) يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معاً في البر والبحر بجميع انحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصري فقط

(٣) تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان الى موظف واحد يلقب حاكم عموم السودان ويكون تعيينه بأمر عالى خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية

(٤) القوانين وكافة الاوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية ايلولتها والتصرف فيها يجوز

سنها أو تحريرها أو نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والاوامر واللوائح يجوز أن يسري مفعولها على جميع انحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمنا تحوير أو نسخ أي قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوي

(٥) لايسري على السودان أو على جزء منه شيء مامن القوانين أو الاوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر من الآن فصاعدا الا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

(٦) ان المنشور الذي يصدره حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي بموجبها يصرح للاوروباويين بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كان ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أي دولة أو دول

(٧) لاتدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الاراضى المصرية حين دخولها الى السودان ولكن يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الاراضى المصرية الاانه فى حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن أو أى ميناء آخر من موانى ساحل البحر الاحمر لايجوز أن

تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجاري تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج ويجوز أن تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمنشورات التي يصدرها بهذا الشأن

(٨) فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

(٩) يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

(١٠) لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأمورى قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

(١١) ممنوع منعاً مطلقاً ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراآت اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن

(١٢) قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ م فيما يتعلق بادخال الاسلحة النارية والذخائر الحربية والاشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ م

(الترتيبات الحالية للحكومة المصرية)

الحكومة هى السلطة المدبرة لشؤون البلاد القائمة بتعهد مصالح الامة في الداخل والخارج فهي التي تعمل للفرد ما لا يجوز أن يعمله بنفسه ولها على الافراد حق الطاعة فيما لا يخرج عن حدود القوانين فان خرجوا عن ذلك أكرهوا على الخضوع بواسطة القوة حتى لا تحل الفوضى محل النظام فتبيد البلاد وأهلها

ودعائم الحكومة بالمعنى المتقدم أربعة ـ الدين ـ والعدل ـ والمشورة ـ والخزينة ـ

(الحكومات وأنواعها)

تتنوع الحكومات باعتبارات الى أنواع كثيرة من أنواعها ـ الدستورية ـ والاستبدادية ـ والمستقلة ـ وغير المستقلة

أما الدستورية فهي التي تجري على أساس قانوني ووضع نظامى وهو الميثاق الذي يقف عنده ولا يجاوزه حاكم الامة أميراً كان أو سلطاناً ملكاً أو قيصراً أمبراطوراً أو رئيس جمهورية وأساس هذا الدستور أن لا تجتمع سلطتا التشريع والتنفيذ في يد واحدة ومثل ذلك حكومة انجلترا ـ وتنقسم الى قسمين ـ دستورية ملوكية ـ ودستورية جمهورية ـ فالدستورية الملوكية هو ما تولى حكمها ملك وخضع للدستور النيابي المعروف بالقانون النظامي ـ والجمهورية ما تولى زمامها شخص تنتخبه الامة ولا يعمل عملا الا باقرار المجلس النيابي عليه وهذا

المجلس قد انتخبته الامة لينوب عنها وذلك كحكومة فرنسا

(الحكومة الاستبدادية)

هي التي يتولى زمام أمورها فرد واحد يتصرف فيها بلا قيد ولا رقيب عليه كحكومة الحبشة وتنقسم الى قسمين ـ استبدادية مطلقة ـ واستبدادية مقيدة

فالمطلقة ـ هي التي يكون القائم بالامر فيها غير خاضع لقانون ما أو لقاعدة من القواعد فلا حد لسلطانه ونفوذه ولا قيد لقوته بل العبرة بارادته وهواه كحكومة الحبشة

أما المقيدة ـ فهي التي يكون نفوذ الحاكم فيها وسلطانه مقيداً بقانون يجب عليه مراعاته دفعاً للاستبداد

(الحكومة المستقلة)

تتنوع الى حقيقية ـ واصطلاحية ـ فالمستقلة حقيقة هي الحائزة لتمام حقوقها في الداخل والخارج فلا منازع لها في سلطتها ولا يعلو كلمتها كلمة سوي انها ترتبط بقواعد القانون الدولى وخصوصاً بالمعاهدات والاتفاقات الدولية التي اعتمدتها عن رضا واختيار ـ والمستقلة اصطلاحاً ـ هي التي تحت الحياد وكفل وجودها اتفاق الدول الكبرى بمقتضى معاهدات ومن صفاتها أن تكون حائزة لجميع الحقوق الاستقلالية مما عدا ما يتعلق منها بالحرب واشهارها وهذا شأن بلجيكا وسويسرة فلا يجوز لاحداهما أن تعدى على البلاد الاخرى أيا كان السبب

ولذلك لاتحتاج الى جيش مدافع بل غاية الامر تحتاج الى قوة قليلة العدد لحفظ الامن والنظام بداخلية البلاد

(الحكومه الغير المستقله)

تنقسم الى حكومه خاضعة لاخرى ـ وحكومـه تحت الحماية ـ فالخاضعه ـ هي التي تجردت عن حقوقها السياسيه في علاقتها مع الدول فلا يمكنها ان تعقد معاهدات الا بأمر الحكومه ذات الولاية عليها وليس لها حق التصرف في بعض الامور الداخليـه مثل تكوين الجيوش وبناء السفن الحربيه وعقد القروض وضرب المسكوكات وهذا ناشىء من تغلب الاولى على الثانيه كمصر بالنسبه للدولة العليه ـ أما الحكومه التي تحت الحماية فهي الحكومه الحرة التي اختارت دولة أخرى أقوى منها للدفاع والذود عن حقوقها وتدبير شؤونها بمقتضى معاهدة تعقـد بين الحكومتين كتونس مع فرنسا من ابتداء سنه ١٨٨١ م

والفرق بين القسمين ان نفوذ الدوله القوية على الاولى منبني على الظفر والغلبه بخلاف نفوذها على الثانيه فانه مبني على معاهدة سلميه

(السلطة العمومية)

تنقسم الى قسمين عظيمين أحـدهما القوة المنشئة وثانيهما القوة المنشأة فالاولى عبارة عن اجتماع لجنة مؤلفة من ذوى الكفاءة والدراية تنتخبهم الامة مؤقتاً لوضع قانون شامل لنظام الهيئة الحاكمة بكيفية تكفل لافرادها مالهم من الحقوق وتقيهم شر الاستبداد والجور وهذا مايسمونه

بالقانون النظامي أو الاساسي أو الدستور وتلك اللجنة تسمو جميع الحكام فتمنحهم سلطتهم واختصاصهم وتتكفل ببيان حقوق الانسان الخمسة وهي ـ المساواة ـ والحرية الشخصية ـ واحترام الملكية ـ وحرية الاديان والتعليم ـ واحترام المسكن

ومتى تم الدستور تلاشى اللجنة خوفا من أنها لو بقيت بقى معها نفوذها فربما استبدت فغيرت وبدلت الدستور كما تهوى وتشاء فيعود الاستبداد تحت ستار الدستور وهذا القانون أقوى مما ينشئه نفس صاحب السلطة الموضوعة لها الحدود لان لذة الانفراد بالامر يندر أن تزول من خاطره ولو أكد عدم مخالفته للقانون بالايمان والمواثيق فأن لذة الانفراد كثيراً ما تدفعه الى محاولة التخلص من قيود الدستور بمجرد سنوح الفرصة ليتمكن من قضاء شهواته وتحقيق أمانيه فان الظلم كمين في النفس القوة تظهره والضعف يخفيه — أما الثانية — أى القوة المنشأة فهى الأثر المترتب على أعمال الاولى وعليها تدبير الامور في داخل البلاد وخارجها وتقع عليها مسؤولية جميع الشؤون وتنقسم الى ثلاثة أقسام وهي السلطة التشريعية ـ والسلطة التنفيذية ـ والسلطة القضائية ـ أما التشريعية فهي المنوط بها التشريع أى سن القوانين ـ واللوائح العمومية الموافقة للبلاد وهذه السلطة قائمة بوظيفتها هذه في الممالك المتمدنة

أما في القطر المصري فاول قانون وضع في هذا الخصوص هو لائحة ٢١ رجب سنة ١٢٨٣ (نوفمبر سنة ١٨٦٦) حيث ان الخديوى اسماعيل باشا أوجد بمقتضاها مجلساً نيابياً لاستشارته في شؤون البلاد ثم عدل هذا

النظام في سنة ١٨٨١ فى عهد توفيق باشا تعديلا ضعيفاً الى أن تغلب الحزب العسكري في سنة ١٨٨٢ فنال من الحكومة في ٧ فبراير من هذه السنة مجلساً نيابياً له القول الفصل فى وضع الميزانية والتشريع على العموم ومن حقه مراقبة الموظفين وأصبح الوزراء بمقتضاه مسؤولين بالتضامن قبل النواب بعد أن كانوا مسؤولين فقط امام الخديوي

ولم يلبث هذا النظام الا قليلا فكان الفراغ من أعمال أول جلسة لهذا المجلس فى ٢٦ مارس سنة ١٨٨٢ ولم يجتمع بعد ذلك لان الحركة العسكرية التى كانت قد أحدثت في القطر ماأوجب نشوب الحرب بين الجيشين المصري والانكليزي وانتهي الامر باحتلال البلاد في سبتمبر سنة ١٨٨٢.

ولما عادت البلاد الى السكينة بعد الثورة العرابية التى أدت الى الاحتلال وضع النظام الحالى الصادر في أول مايو سنة ١٨٨٣ وقد افتكره اللورد دوفرين مبعوث انجلتره وعولت الحكومة برأيه فيه حيث ندبته لدرس أحوال القطر وأن يضع تقارير عنها وأشار بعدة اصلاحات منها هذا النظام المعروف بالقانون النظامي وصدر به الامر العالى فيأول مايو سنة ١٨٨٣م وهويتضمن بيان الهيئات النيابية المنشأة بمقتضاه وهي ـ مجالس المديريات ـ ومجلس شورى القوانين ـ والجمعية العمومية ـ ومجلس شورى الحكومة

(السلطة التنفيذية)

هي القوة المكلفة بتنفيذ الاوامر والقوانين التي تسنها القوة التشريعية والاحكام التي تصدرها السلطة القضائية وبها النظر في المسائل السياسية وحلها والادارة الداخلية ومايتعلق بذلك وبها يبرم الامير الصلح ويشهر الحرب ويعين السفراء ويقبلهم ويقر الامن بالبلاد

وهـذه القوة أكثر اختلاطاً بالافراد وتسمى بالحكومة وهـذا يشمل الحاكم الاصلى بالبلاد وجميع الحكام الاداريين من وزير الى شيخ البلد وخفيرها

(السلطة القضائية)

هي المكلفة بتوقيع العقاب وبالفصل في الخصومات التي تقع بين الاهالي وبعضهم أو بينهم وبين الحكومة التي تقضي بجميع العقوبات طبقاً للقوانين وتفصل النزاع الناشيء بين الطرفين في الحقوق المدنية والتجارية فيتقاضى أمامها الجميع من رفيع ووضيع

(حقوق الخديوية المصرية)

كان القطر المصري . ولاية من الولايات العثمانية حتى تولت أمره العائلة المحمدية العلوية فاستقلت الحكومة المصرية اداريا ومنحت جملة امتيازات خصوصاً في أيام محمد علي باشا واسماعيل باشا ومن هـذا أمكن أن يقال ان خديوي مصر مستقل ولاحد لسلطته الادارية سوى ماوضعه بنفسه من الحدود بتنازله عن بعضها لمأمورين مخصوصين منحهم

جزأ منها يستعملونه بحسب مايرونه نافعاً للامـة تحت مسؤوليتهم امام الجناب العالي ويشهد لذلك فرمانا اسماعيل باشا وسمو الخـديوي المعظم (عباس باشا حلمى) وبالجمله فلا سيطرة للحكومة العثمانية فى البلاد المصرية الا في ثلاثة أمور ـ ما يختص بالمالية والسكة ـ والمسائل السياسية ـ والقوات البرية والبحرية أما الاول فقد قضي الفرمان بان تحصيل الضرائب أجمع في مصر يكون باسم الحضرة الشاهانية وهو أمر لايخرج عن حد الشكل فلا يغير جوهر الاستقلال لان الحكومة المصرية هى التى تفرض الضرائب وتعدلها وتلغيها كما تشاء وتستولى على الايرادات باسمها الخاص بدون تداخل الباب العالي فى ذلك هذا ولقد كان اقتراض المال في المدة التى قبل ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ (٢٢ رجب سنة ١٢٨٩) موقوفا على اذن من الباب العالي ولـكن الخديوي اسماعيل باشا سعى فى ازالة ذلك وحصل على فرمان في ذلك التاريخ يجيز له اقتراض ما يلزم من النقود باسم الحكومة المصرية بدون احتياج لطلب رخصة من الباب العالي وقد ترتب على هذه الاباحة أن توغل الخديوي اسماعيل باشا في الديون حتي أضعف الحكومة فاوجب تداخل أوربا فى شؤون البلاد وتم ذلك بعزل اسماعيل باشا وتولية ابنه توفيق باشا وانشأ صندوق الدين وعمل قانون التصفية ومنعا لمثل هذه المضار فى المستقبل وصيانة لحقوق الدائنين وبناء على طلب حكوماتهم نزع من الحكومة الحق في عقد القروض بلا استئذان من الدولة العلية بمقتضي فرمان تولية توفيق باشا وتولية عباس باشا

ومما يتعلق بالمالية أن تؤدي الحكومة المصرية الي الدولة العلية سنويا ويركو المسمى بالخراج وقد اختلف باختلاف الايام حتي بلغ ٧٥٠٠٠٠ جنيه عثماني وهو يعادل من العملة المصرية (٦٦٥٠٤١) جنيه مصرى وهى القيمة الجاري اداؤها الآن دلالة على تبعية مصر لسيادة الدولة العلية _ أما السكة فكانت الفرمانات تقضي بلزوم مماثلة العملة المصرية الذهبية والفضية لما يضرب منها في الاستانة شكلا وعياراً وقيمة غيران اسماعيل باشا حصل على فرمان سنة ١٨٦٦ م يجيز للحكومة المصرية أن تضرب نقوداً ذات عيار وقيم مخصوصة تخالف نقود الدولة العلية الا أنه يجب أن يكون منقوشاً عليها الطغراء واسم السلطان الحالى وتاريخ جلوسه وهذا لا يتعدى دائرة الشكل فأن العملة المصرية الآن لها نظام خاص وضع فى سنة ١٨٨٥ جعل الفرق جسيما بينها وبين النقود العثمانية

أما مايتعلق بالمسائل السياسية _ فخلاصته أن مصر خاضعة للباب العالى خضوعا يكاد يكون تاما فلا يجوز للحكومة المصرية أن تعمل عملا من الاعمال الآتية بدون اذن من الباب العالى (أولا) التنازل عن أى جزء من القطر المصري وملحقاته فان ذلك محرم على الحكومة المصرية (ثانياً) تحرير المعاهدات السياسية الخارجية بعد ان جعل لمصر حكومة وراثية فلم تمنح سوى الادارة الداخلية وان حصلت بعد ذلك على بعض امتيازات سياسية فأن الفرمان الصادر في ١٠ يونيه سنة ١٨٦٧ بمنح اسماعيل باشا لقب (خديوى مصر) يتضمن امتيازاً آخر وهو الترخيص له بان يعقد مع وكلاء الدول الاجنبية وثائق خصوصية متعلقة بالجمارك

وأمور الضبطيــة للرعايا الأجانب والترنسيت (حق مرور البضائع من مدينة الى أخرى بدون تأدية الرسوم الجمركية) وأدارة البوســته ولا يسوغ باي وجه من الوجوه أن تحرر الوثائق المذكورة بصفة معاهدات سياســية وزيد على ذلك في فرمان المــرحوم توفيق باشا هــذه الجملة (وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التى تعقدمع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى) وقصدت الدولة من ذلك التحقق من أن المشارطات التى يعقــدها الخديوي عملا بالترخيص السابق لاتشتمل في الواقع على اشــتراطات سياسية مما لايجوز له عمله ويكون ماساً بحقوق الدولة (ثالثاً) أحداث سفارات للحكومة المصرية لدى الدول الاجنبية فالحـكومة المصرية محجورة من ذلك لان القانون الدولى لايسمح ببعث سفارات الا اذا كانت من قبل حكومات مستقلة وليس شأن مصر كذلك - والحـكومة اذا كانت غير مستقلة فمن الاصول الدولية ارسال قناصل فقط للنظر في الامور التجارية ولـكن لاهميــة القطر وشؤونه السياسية قد اعتادت الحـكومة الاوربية والاميريكانية ودولة ايران على ارسال وكلاء سياسيين لينفردون بالنظر في المسائل السياسية دون الأمور التجارية فأن القائم بها هم القناصل الاعتياديون

(مايختص بالقوات البرية والبحرية)

فذلك انه لما خضع محمد على باشا للدولة العلية وصدر له فرمان التولية على مصر بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ تقرر ان ينقص عدد الجيش الى ثمانيــة عشر الف عسكرى وقت السلم اما في وقت الحرب فيجوز ان

يزاد عدد عساكر الجيوش على حسب مقتضيات الاحوال كما نص على ذلك في الفرمان ولـكن اسماعيل باشا حصل على مايمكنه من جعل عدد الجيش بالمقدار الذي يراه بالغا مابلغ ولـكن الفرمان الصادر بتولية المرحوم توفيق باشا والفرمان الصادر بتولية سمو عباس باشا قد رجع فيهما الى تحديد الجيش بثمانية عشر الف عسكرى فى وقت السلم اما اذا كانت الدولة محاربة فيجوز ان يزاد عدد الجيش الى الحد المناسب

كما تقرر بفرمان محمد على باشا ان لا ينشيء سفنا حربية الا باذن خصوصي ولـكن الفرمان الصادر لاسماعيل باشا بتاريخ غرة جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ حصل المنع مقصورا على (السفن الزرخ اى المدرعة بالحديد) وقد جاء فرمانا تولية المغفور له توفيق باشا وسمو الجناب العالى عباس باشا بمضى ماذكر ومؤدي هذه الفرمانات كلها واحد وهو انه لا يجوز للمصريين ان يكون لهم اسطول بالمعنى الصحيح حذرا من انهم يستعملونه اضرارا بالدولة العلية ولهذه المناسبة ننقل هنا مايروى من ان (مسعوديه) وهي افضل البوارج التى تملكها الدولة العلية انشئت من اموال المصريين وحكايتها ان عالى باشا الذى كان صدرا اعظم علم ان اسماعيل باشا اوصى بصنع بارجة فحسب عمله تجاوزا لما تجيزه الفرمانات ولـكنه لم يشأ ان يجرح عواطفه بل كتب اليه يقول (ان مولانا السلطان علم بان فخامتكم اوصت بصنع مدرعة لتهديها الى حكومته السنية فسر باخلاصكم كل السرور وهو يؤمل ان ترسلوها توا الى مياه الاستانة) ولم يكتب عالى باشا هذا الكتاب الا لما علم ان البارجة تمت او كادت فلم يسع اسماعيل

باشا حينئذ سوى ان اهداها لجلالة السلطان

ومما قضت به الفرمانات الصادرة من عهد محمد على باشا الى وقتنا هـذا ان تكون ملابس العساكر والرايات والعلامات المميزة للرتب مماثلة للملابس والرايات والعلامات العثمانية غير ان العمل بمقتضي ذلك قد اهمل من بعض الوجوه فان ملابس الجيش المصرى مخالفة نوعا لما هي عليه في الجيش العثماني الرتب والنياشين (عسكريه او ملكيه) كلها واحدة فى الحكومة المصرية والدولة العثمانية ومن حقوق الخديوي ان يمنح منها الى رتبة اميرالاى من الرتب العسكريه والى الرتبة الثانية من الرتب الملكية اما الرتب الاخري فقد جرت العادة على ان الخديوي هو الذي ينعم بها أيضا ولكن على شرط اخطار الدولة العلية عنها واستصدار البراءة بها من الحضرة السلطانية

هـذه هي القيود المرتبط بها القطر المصري ازاء الدولة العثمانيـة على حسب الفرمانات ـ والناظر يرى أنها وان كانت مؤثرة في الاستقلال الخارجي فهي غير ماسة الاستقلال الداخلى فمن حقوق الخديوي وضع القوانين الادارية والقضائية والمالية واصـدارها للعمل بها وبيده مقاليد حكم البلاد وتدبير شؤونها بالاشتراك مع وزرائه ولديه مجالس شبه نيابية ولماليته ميزانيه مستقلة مشتملة على قيمه الدخل والخرج وباسم الخديوي تصدر الاحكام من المحاكم فهو في الواقع القائم بأمر البلاد في الداخل بغير تداخل ما من الدولة العليه

﴿حجر الحكومة المصرية بامتيازات الاجانب وتداخل الدول في شؤونها﴾

قضت الفرمانات الصادرة من آل عثمان الى ولاة مصر بان القطر المصري مستقل داخلا ومتمتع باستقلال في الخارج يكفي لحاجة البلاد فصح أن يقال بعد ذلك أن الحكومة المصرية مطلقة الارادة تدير ماتشاء ولكنها مغلولة اليد فى الواقع حيث توجد بعض قوانين ومعاهدات ونظامات مخصوصة لايمكن تغيرها ولاتحويرها الا بعد تصديق الدول الاجنبيه فاقتضى ذلك ضعف سيطرة الحكومة بالنسبة للاجانب ووجب علينا النظر في حالة الاجانب من وجهتي التداخل فى شؤون البلاد والامتيازات أما التداخل فقد اقتضاه سوء تصرف بعض الولاة فى البلاد حتي أثقل كاهل البلاد فلم تستطع مالية الحكومة أن تقوم بمرتباتها فتنوعت الديون وتعذرت في زمن اسماعيل باشا حتى بلغت ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٩ جنيه فى سنة ١٨٧٦ ولما عجزت الحكومة المصريه عن اداء الفوائد والاستهلاك اهتمت الدول الاجنبية يومئذ بهذا مراعاة لمصلحة الدائنين وعزمت على أن تضع المراقبة على المالية المصرية فأصدر الخديوي أمرا في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٦ بتأسيس صندوق الدين كي يقوم بتسليم الاموال اللازمة لوفاء الديون وتألف من أربعة أعضاء أجانب فرنسوى وانجليزى ونمساوى وايطالى ثم اقتضي هذا النظام السعى في توحيد الديون وتم بعد أن بلغت ٩١ مليون جنيه

وخصص لتسديد ذلك ايراد أربع مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وكذلك ايرادات الدخولية والسكة الحديد والجمارك وغير

ذلك من أهم ايرادات الحكومة ومع هذا فلم يبلغ هذا النظام المراد به كفالة الديون درجة النجاح لعدم الميزانية الكافلة بتعيين هذه الايرادات ولظهور فساد التقديرات التقريبية مما زعزع ثقة الدائنين فاضطر الخديوي الى اتخاذ طريقة أشعد فأصدر أمرا فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ يخول فرنسا وانجلترا حق المراقبة الرسمية على مالية القطر وعين مراقبين من الدولتين وجعل لهما السلطة المطلقة فى الأشراف على الادارة الحالية والتداخل في شؤونها غير أن الشؤون المالية كانت قد ارتبكت الى درجة نتيجتها عدم ظهور ثمرة من أعمال المراقبين فجنح الخديوى الي طريقة أجدر بالاصلاح المالى من سابقتها فعين لجنة عليا للتحقيق من المسترجوس معتمدا انكليزيا والمسيو جوبير معتمدا فرنساويا من وظيفتهما تحري عجز الايرادات والبحث عن الظلم الواقع في تحصيل الضرائب وعلاجه والسعى في تعيين الايرادات المحققة حتي يمكن التعويل عليها فقامت اللجنة بعملها ورفعت تقريرا اشارت فيه الى ان من دواعي اختلال الاحوال المالية عدم وجود ميزانية وعدم انتظام طريقة الحساب وتوزيع الضرائب بطريق الاستبداد وتمتع الخديوي بسلطة مطلقة فلم ير الخديوي بداً من الامتثال لما رفعته اللجنة واراد الطمأنينة لارباب الديون فأنشأ في أغسطس سنة ٧٨ مجلس النظار ليشترك معه في ادارة البلاد وجعل فيه اثنين من الاجانب أحدهما فرنساوي ناظراً للاشغال والآخر انجليزي ناظراً للمالية ولكن لم تلبث هذه الوزارة كثيراً حيث أن الخديوي تغيرصفوه

من مراقبة الوزيرين الاجنبيين فمالت نفسه الى التخلص منهما فأسقط الوزارة واستبدلها باخرى جميع أعضائها وطنيون وكان ذلك فى ٨ ابريل سنة ١٨٧٩ وتخلص الخديوي من مراقبة مجلس النظار الشديدة عليه لوجود الوزيرين الاجنبيين فيه ولكنه لم يستطع سبيلا الى حل اللجنة العليا وقد جاء فى تقريرها انه يستحيل على الحكومة القيام بدفع الديون المطلوبة منها فيالاوقات المعينة لها فلم ير حينئذ الخديوى الا أن يتغلب على اللجنة من طريق الامة فأوعز الى مجلس النواب أن يبدى آراء واقتراحات تفيد أن ايرادات البلاد كافية لتسديد الديون خلافا لزعم اللجنة فأدركت الباعث علىهذا العمل فضلا عن كون رأي مجلس النواب بعيداً عن الصحة لتجاوز المصروفات عن الايرادات بنحو خمسة ملايين جنيه في سنتى ١٨٧٧ و١٨٧٨ فاضطرت اللجنة الى الاستقالة وظهر وقتئذ أن هناك عقبات يضعها اسماعيل باشا تحول دون كل اصلاح مالى فلم تر كل من فرنسا وانجلترا بداً من طلب عزله وتم لهما ذلك فى يونيه سنة ١٨٧٩ ولما كان الغرض من وجود الوزيرين الاجنبيين ثقة أرباب الديون وقد زالت بانفصالهما من الوزارة اقتضت الضرورة وضع نظام آخر فصدر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩ يقضى باعادة المراقبة ثانياً فعين مراقبان احدهما فرنساوي والآخر انجليزى من حقهما مراجعة جميع أعمال الحكومة والحضور بمجلس النظار على سبيل الاستشارة وبقيت حتى ألغيت في سنة ١٨٨٣ واكتفى بصندوق الدين وقانون التصفية الذى بين القواعد المتعلقة بالدين من حيث دفع الارباح والاستهلاك

وصادقت الدول على ذلك وأصبح تغيير ذلك وتبديله لا يكون الا باتفاق جميع الدول ـ أو العظمى على الاقل ـ وهي انجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا وروسيا

أما صندوق الدين فتأسس في سنة ١٨٧٦ كما تقدم والآن يتركب من ستة أعضاء من الدول المذكورة ووظيفته النيابة عن أرباب الديون في أنه يستلم الايرادات الناتجة من المصالح والمديريات المخصصة للديون وكان من حقه أن يبقى في خزينته المبالغ الزائدة على المقدار المقرر دفعه سنوياً للدائنين لتحفظ هذه الزيادة بمثابة مال احتياطي وكان من حقوقه أن يعين لمصروفات الحكومة حداً لاتتعداه وان يضع ميزانية المصاريف الخاصة بادارته بالمقدار الذي يراه وليس للحكومة حق المراجعة كما منعت من حق الاقتراض الا باذن صندوق الدين وكذلك التصرف في الاحتياطي لاصلاح الاعمال النافعة بالبلاد ولا زال العمل على ذلك حتى جاءت سنة ١٩٠٤ فعدلت اختصاصات صندوق الدين بالامر العالى الصادر في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ عقب الوفاق الذى تم بين انجلترا وفرنسا فانفك الرهن عن المصالح والمديريات المخصصة للدين ووجب أن لايستلم صندوق الدين من ايرادات الحكومة سوى مبلغ ثلاثة ملايين جنيه ونصف وهو قيمة المقرر السنوي للدين والزائد على ذلك يدفع للمالية مباشرة وعلى هذا التعديل استولت المالية من خزينة صندوق الدين على نيف وستة ملايين من الجنيهات كان متجمد الدين بصفة مال احتياطى وبالامر العالى المتقدم أصبحت الحكومة تقدر

مصروفات ادارتها بالطريقة التى تراها ولها أن تقترض بدون استئذان صندوق الدين ولا يصح أن تتجاوز المصاريف المتعلقة بادارة صندوق الدين ٣٥٠٠٠ جنيه سنوياً الا بتصديق من مجلس النظار وخلاصة القول أن صندوق الدين أصبح بعد ذلك الامر العالى لامحل له سوى انه خزينة مخصوصة تستلم من ايرادات الحكومة قيمة المقرر للدين وتقوم بتسليمه للدائنين

هذا ولقد ضم الامر العالى المتقدم الى الوفاق الانجليزي الفرنساوي باعتبار انه ملحق به وصدقت عليه الدول ثم نشر وتقرر أن يكون نافذاً من أول يناير سنة ١٩٠٥ .

أما امتيازات الاجانب ـ فتقضي الاصول النظامية والقوانين الاساسية أن لا يخرج أحد عن سلطة الحكومة فلا يصح الاستثناء من حكم القانون لاحدما شريفاً أووضيعاً وطنياً أو أجنبياً فيقف كل واحد على معرفة العقاب الذى يقع عليه أن صدرت منه جريمة ويثق بان العقاب نفسه ينال من يمس حقوقه أياً كان ومتى روعيت هذه الاصول النظامية كان من شأنها أن تكفل للجميع على السواء الطمأنينة على النفس والمال وتلك المساواة في الحقوق والزواجر هي مركز دائرة الشريعة الغراء ومنها أخذت وجعلت أصولا نظامية وان ضمنت بعض الدخيل من الاحكام ومما يؤكد ذلك القواعد المقررة من قديم الزمان في علاقات الممالك المتضمنة أن كل حكومة ملزمة بحماية الاجنبي القاطن أو المار باراضيها كما تحمي الوطني التابع لها والاجنبي ملزم بان يحترم

جميع قوانينها لاسيما ما يتعلق منها بالضبط والربط فوجب عليه أن يخضع لقوانينها كما وجب عليها حفظ نفسه وماله فيؤدي نفس الضرائب المفروضة على الاهالى ويخاصم امام محاكم البلاد المدنية أو الجنائية اذا قصر فى تعهداته المدنية أو ارتكب جريمة ولكن الشرق ومنها مصر منح الاجانب بعض الامتيازات بمقتضي معاهدات تقرر بموجبها للدول حق الاستئثار بالحكم فيما يختص برعاياها وسبب ذلك أن الحكومات الاسلامية اعتادت من قديم الزمان أن تتساهل للمسيحيين الذين في بلادها فأجازت لهم عدم اتباع الاحكام المرعية وتركتهم يتقاضون في أحوال مخصوصة بحسب قواعد دينهم وقوانينهم ولشدة الاختلاط وتمكين العلائق ومضي الزمن أصبحت هذه العادة بمثابة القانون وأضحى هذا التسامح حقاً لهم لايحتمل النزاع على أن منها على ما بني على المعاهدات من ذلك معاهدة عقدت بين سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وجمهورية بيزا مؤرخة في ١٥ صفر سنة ٥٦٩ (سنة ١١٧٢ م) تدل على منحهم جملة امتيازات خاصة بالتقاضي والمحاكمة وكذلك منح الفورنتيين أبو النصر قايد باي سلطان مصر عدة امتيازات قضائية في سنة ١٤٨٨ ومن الغريب أنه حصل التوسع في العمل بهذه المعاهدات حتى عمت جميع رعايا الدول المسيحية وجرى الحال على ذلك حتى حلت الدولة العلية المحل الاول من الدول الاسلامية فنسيت هذه المعاهدات بعض النسيان غير أنها مالبثت حتى عادت بعودة الاختلاط ومقتضيات الاحوال فعقدت معاهدتان بينها وبين فرنسا الاولي في سنة ١٥٣٥ م

بين السلطان سليمان الاول وفرنسوا ملك فرنسا وكان مضمونها التأمين على أرواح الفرنسويين وتجارتهم والثانية في سنة ١٧٤٠ م بين السلطان محمود الاول ـ ولويس الخامس عشر ملك فرنسا وصارت صاحبة الشأن في حماية رعاياها وجميع الاجانب الذين يلتجئون اليها وتبعت فرنسا الدول الاخرى في عقد هـذه المعاهدات المعروفة أيضاً باسم العهود نامات وأخذت الامتيازات تزداد شيئاً فشيئاً بمساعي الدول من جهة وباهمال الحكومات الشرقية من جهة أخرى اقراراً لبعض العادات وان كانت خارجة عن المعاهدات في نفس الامر ولامرية في نفوذ ذلك على مصر لجزيتها خصوصاً وأن الفرمان الصادر لمحمد علي باشا في أول يونيه سنة ١٨٤٠ اشترط فيه مراعاة المعاهدات الموجودة والتى ستوجد فتمتع الاجانب بالامتيازات في مصر أسوة بسائر بلاد الدولة العلية وهي على ضربين الاول خاص بالاموال ـ والثاني خاص بالتقاضي

فالاول يقضي باعفاء الفرنسويين والمستخـدمين لدى السفارات والقناصل من دفع أي خراج أو أي ضريبة ولم يفرض عليهم سـوي بعض الرسوم الجمركية وكانت هـذه الامتيازات قليلة الاهمية في المعنى لان القوانين العثمانية لم تـكن تسمح للاجانب بان يملكوا أرضاً أو عقاراً ما في بلاد الدولة العلية ولـكن صدر فرمانان في سنة ١٨٦٧ و١٨٦٩ جعلا الاجانب مساويين للعثمانيين في حقوق تصرف الاملاك في جميع الممالك المحروسة ماعدا الحجاز على أن يخضعوا للقوانين العثمانية فيما يختص بالاملاك وعلى أن يكون للمحاكم العثمانيـة وحدها الاختصاص بالحـكم

في المواد العقارية فعلى خضوع الاجانب للقوانين العقارية المحلية عملا بالفرمانين أصبحوا يدفعون الضرائب العقارية ولكن تقيدت الحكومة بتصديق الدول متى شاءت تقرير أى ضريبة كما حصل ذلك في سنة ١٨٩٠ عند فرض عوائد الصنائع (البطانطا) التي تقرر الغاؤها في سنة ١٨٩٢ أما الثاني فقد اختلفت جهة التقاضي باختلاف الدعاوي فهم تابعون للمحاكم المختلطة فيما يختص بالمعاملات المدنيـة والتجـارية وخاضعون لمحاكم قنصلياتهم فى مواد الاحوال الشخصية والجنائية الا بعض مستثنيات ومن امتيازاتهم أن لا يجوز لرجال الحكومة أن يدخلوا منزل أجنبي الا برضاه طبقا لمعاهدة سنة ١٧٤٠ وكما يجب احترام المسكن يجب احترام الشخص فـلا يمكن البتة القبض على الاجنبي الا فى حالة التلبس ويجب مع ذلك في هذه الحالة تسليمه الى القنصلاتو التابع هو لها فى ظرف أربع وعشرين ساعة وقد أصبح ذلك حصنا لهم يتلصصون ويسلبون أموال الوارثين البسطاء مقامرة واحتيالا والحاكم ينظر اليهم نظر الحسير النادم والحكومة آخذة في رفع شيء من هذا الغل

ومن هذا كـله بان ان الحكومة المصرية كانت مغلولة القدرة ولم تزل مقيدة نوعا بقيود دولية من شأنها التأثير في استقلالها داخلا وخارجا وهذا بالنظر لعلاقاتها الدولية وصرفه عن روابطها بالدولة العلية

(مجلس النظار)

هو الهيئة الحاصلة باجتماع رؤساء الجهات المعروفة بالنظارات تحت رئاسة الجناب الخديوي رئيس النظار المتضامنة فى الاصلاح والخطأ عند أمير

البلاد المشاركة له في السلطة تنازلا منه لراحة البلاد واصلاح شؤونها

فبعد ان كانت السلطة الخديوية لاتتجاوز أرادته فهوالحاكم المطلق بالبلاد لنص الفرمانات تنازل عن بعض سلطته التشريعية لمجالس شورية كما تنازل عن بعض سلطته الى الهيئة المعروفة بمجلس النظار فصدر الامر العالى به سنة ١٨٧٨ من اسماعيل باشا باللغة الفرنساوية بتقليد نوبار باشا رئاسة مجلس النظار وتكليفه بتشكيله فكان الخديوي اسماعيل باشا أول من تنازل وسن نظام مجلس النظار رغبة في أصلاح البلاد وترقية أهلها وقطعاً لحجة الدول عليه بانفراده بالامر ومعاكسته للمراقبين وتبديد الاموال في غير وجهها ولما تشكلت هذه الهيئة الحاكمة صدر أمر عالى بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ يقضي بتوزيع الاعمال بحسب أنواعها على جهات مختلفة سميت بالنظارات يدعى رئيس كل منهما ناظراً وقد ذكرت في الامر العالى بالترتيب الآتي ـ نظارة الخارجية ـ نظارة المالية ـ نظارة الجهادية ـ نظارة البحرية ـ نظارة المعارف ـ نظارة الاوقاف ـ نظارة الداخلية ـ نظارة الحقانية ـ نظارة الاشغال ـ هذا وتعرف الجهادية الآن بالحربية وألغيت نظارة الاوقاف في سنة ١٨٨٤ وانفصلت أدارتها عن الحكومة وأصبحت ادارة مستقلة

ووظائف النظار هي أدارة نظاراتهم وتعيين الموظفين وفصلهم واصدار الاوامر بصرف جميع المصاريف الخاصة بالمصالح التى تحت أدارتهم كما هو موضح بالاوامر الخديوية

أما رئيس مجلس النظار فوظيفته أن يجمع المجلس تحت رياسته

وعليه أن يعرض على الحضرة الخديوية قرارات المجلس خصوصاً ما يكون مستلزماً صدور أمرها عليه هذا ومن حق المستشار المالى الحضور في جميع جلسات مجلس النظار اعتماداً على أن قرارات المجلس من شأنها التأثير في مال القطر المكلف هو بالاشراف عليه ـ أما باقى المستشارين فلا يحضرون جلساته الا أذا أظهروا رغبتهم في أن تسمع أقوالهم في المسائل ذات الاهمية المتعلقة بدواوينهم وهكذا شأن السردار ووكيل نظارة الاشغال وقد تقرر ذلك كله في مجلس النظار بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٨٩٣م

(اختصاص مجلس النظار)

لمجلس النظار حق التشريع والتنفيذ فالتشريع كأن يحضر الاوامر العالية ويسن بعضها من تلقاء نفسه غير معول فيها على أخذ رأي أحد والبعض الاخر بعد أخذ رأي مجلس شورى القوانين أو الجمعية العمومية ورأيه استشارى فلا يجب على مجلس النظار اتباعه والعمل برأيه هذا وزمام التشريع بمجلس النظار مطلق عداما جاء بالمادة (٣٤) من القانون النظامى التى نصها (لا يجوز ربط أموال جديدة أورسوم على منقولات أوعقارات أوعوائد شخصية في القطر المصري الا بعد مباحثة الجمعية العمومية في ذلك واقرارها عليه) ومن هذه السلطة التشريعية استمد كل ناظر حق التشريع على جهة الاستقلال فله ان يضع لوائح يعمل بها فيما يتعلق بشؤون نظارته بشرط أن لاتخالف القوانين والاوامر العالية وتأكد هذا الحق من المادة (٣٤٨) عقوبات ونصها (من خالف أحكام اللوائح العمومية والمحلية الصادرة من جهة

الادارة العمومية أو البلدية أو المحلية يجازى بالعقوبات المقررة فى تلك اللوائح بشرط أن لا تزيد عن العقوبات المقررة للمخالفات فان كانت العقوبة المقررة في اللوائح زائدة عن هذه الحدود وجب حتما انزالها اليها فاذا كانت اللائحة لاتنص عن عقوبة ما يجازى من يخالف احكامها بدفع غرامة لاتزيد عن ٢٥ قرشا مصريا) فاللائحة العمومية هى التى يكون العمل بها جاريا في القطر كله ـ أما اللائحة المحلية فهى اللائحة الموضوعة لجهة من جهات القطر خاصة ومصدر اللائحة المحلية من الادارة العمومية كالنظارة أو الادارة المحلية كالمديرية أو الادارة البلدية وفى الحقيقة مصدرها الادارة العمومية لان هذه اللوائح الصادرة من الفروع تعرض أولا على النظارة للموافقة على أساوبها قبل نشرها فى الجريدة الرسمية

أما القوة التنفيذية بمجلس النظار ـ فترجع الى تكليفهم بتنفيذ جميع القوانين على اختلاف أنواعها وللنظار الحق في تعيين الموظفين الذين لا يتوقف تعيينهم على قرار من مجلس النظار كما لهم الحق في مراقبة الموظفين على العموم و بيدهم الادارة وما يتعلق بها مثل الامن العام (المنوط بالداخلية) وتحصيل الضرائب (الخاص بالمالية) وسير المحاكم (المتعلق بالحقانية) وأدارة المدارس (المعارف) وغير ذلك

وبالجملة فسلطة كل ناظر تمتد في جميع أنحاء القطر وملحقاته ولكنها محدودة من جهة نوعها فناظر الحقانية مثلا سلطته لا تتجاوز المحاكم وما يتعلق بها ولا مانع من أن يكون الشخص الواحد ناظراً لنظارتين ـ ومما ينبغي الوقوف عليه أن الجناب الخديوي حفظ لنفسه دون سواه الرياسة

العليا للقوات البرية والبحرية بمقتضى أمر صدر من المعية الى ديوان الحربية في ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ (١٠ رجب سنة ١٢٩٩) فى عهد المرحوم توفيق باشا

وللجناب الخديوي أن يصدر أوامر من تلقاء نفسه بدون أن تعرض على مجلس النظار وتسمى هذه ـ ارادة سنية ـ كتعيين رئيس مجلس النظار ورئيس مجلس الشورى ومدير عموم الاوقاف

أنواع قرارات مجلس النظار وحكمها ـ جميع قراراته ترجع الى نوعين أحدهما مالا يستلزم توقيع الجناب الخديوى عليه ويسمى قرارات على الاطلاق وثانيهما مايستلزم توقيع سموه عليه وهو الاوامر المعروفة (بالدكريتات)

ومن حكمها أنه يمكن الغاء الضعيف بالقوى فالقرارات لاتلغي الاوامر العالية وأن جاز العكس

(عهدة النظار امام الجناب الخديوى)

اقتضت مشاركتهم لسموه فى السلطة مع تضامنهم لبعضهم أن يكونوا جميعاً مسئولين أمام الجناب الخديوى عن الاعمال التى من شأنها التأثير فى حالة القطر من الداخل أو الخارج فاذا أخطأ النظار كلهم أو بعضهم خطأ يضر بالبلاد سقطت الوزارة من رئيس وأعضاء بناء على التكافل بينهم ولذلك جرت السنة في تشكيل الوزارة أن ينتخب سمو الخديوى رئيس مجلس النظار وحده وتصدر بذلك ارادة سنية ثم ينتخب الرئيس أعضاء الوزارة ويعرض أسماءهم على الجناب الخديوى فيصدق على تعيينهم ـ

وفضلا على سقوط الوزارة فعليهم مسؤولية أخرى تستوجب المحاكمة أمام محكمة ادارية مخصوصة تحكم بلوم الناظر المخطيء أوبرفته وتتألف هذه المحكمة العليا الادارية من النظار الذين لادخل لهم في الدعوي ومن المستشار المالى والمستشار الخديوى تحت رياسة رئيس النظار أو أكبرهم سناعند المانع ومتى أقيمت الدعوى على الموظف لايقبل منه الاستعفاء حتى لايفر من العقاب لانه ربما يكون في عمله مايستدعي المسؤولية الجنائية والمدنية أيضا وحينئذ تقام عليه دعوى عن كل فعل بصفة مستقلة وكل ذلك يرجع أساسه الى المادة الاولى والخامسة من الامر العالي الصادر في ١٩ فبراير سنة ١٨٨٧

(اللجنة المالية)

من الترتيب المعروف بالحكومة الآن مايسمى باللجنة المالية ونظراً لتأثيرها على اختصاص مجلس النظار والرابطة بينها وبينه كان من المفيد الوقوف عليها وعلى اختصاصها أنشئت هذه اللجنة بنظارة المالية ولاتزال بامر عال في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ مؤلفة من ناظر المالية ــ ومفتش عموم الحسابات ــ ومفتش عموم الايرادات وكان اختصاصها يكاد يكون مقصوراً على شؤون نظارة المالية ثم ألغيت اللجنة بأمر عال مؤرخ في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٨ ثم عادت في سنة ١٨٨٤ حيث صدر قرار من مجلس النظار في ٦ مارس من هذه السنة بتشكيل لجنة مالية تتألف من ناظر المالية رئيساً لها ومن المستشار المالى نائب رئيس ومن ثلاثة أعضاء وهم وكيل المالية ــ ومدير عموم الحسابات ــ ومراقب الاموال المقررة ــ أما

اختصاصها الآن ـ فالنص لذلك مجمل وعرضة للانتقاد وكثيرا ماأوجب النزاع وعبارته (وأن المسائل التي تؤثر على مالية الحكومة ويكون من اللازم عرضها على المجلس « أي مجلس النظار » لاتعرض عليه ألا بعد أن تبحث فيها هذه اللجنة بحثاً دقيقاً) هذا ولقد اعتادت الحكومة على أن تعرض على اللجنة المالية جميع مسائل التعيين والفصل (أذا لم يكن مبنياً على حكم من مجالس التأديب أو من المحاكم) وكذلك جميع الاعمال التي يكون لها مساس بمالية الحكومة ولو لم تكن خارجة عن الميزانية ـ ولمجلس النظار حق الموافقة على قرارات اللجنة أوعدمها حيث لاتوجد نصوص تقيده برأيها غير أن عدم الموافقة نادرة جداً ومن هذا يمكن أن يقال أن مجلس النظار تنازل في الحقيقة عن شيء من اختصاصاته للجنة المالية وهو من الاهمية بمكان لايصح الاستخفاف به أذ مامن عمل تعمله الحكومة الاوله مساس بماليتها فكأن اللجنة تبت في جميع شؤون البلاد فى الواقع ونفس الامر

(النظارات وما يتبعها من الفروع)

اقتضى القانون النظامى بالبلاد ان توزع الاعمال على جهات تعرف بالنظارات وان يكون لكل منها رئيس يلقب بناظر وسبق ان تكلمنا على وظيفتهم باعتبار الهيئة الاجتماعية أما وظيفته باعتباره منفردا فهي السهر على تنفيذ القوانين بالطرق التي يقتضيها الحال فتارة بالقرارات واخرى بالمنشورات وآونة بما يعطيه من الاوامر ومايلقيه من التعليمات ويساعده على نظر الامور في غالب النظارات وكيل نظارة يقوم مقامه حال

غيابه الا انه لايحل محله في مجلس النظار وكذلك يوجد في غالب النظارات مستشار من رجال الاحتلال الانكليزي يبدى للناظر مايراه من الآراء فيما يتعلق بشؤون النظارة وبعد تلك الرؤوس يوجد نفر من الموظفين يؤدون الاعمال فى كل نظارة بالقاب ودرجات مختلفة وهم موزعون على اقسام واقلام تبعا لاصطلاح كل ديوان

(نظارة الداخلية)

قسم التفتيش ـ قسم الادارة ـ قسم المستخدمين والمحاسبة ـ قسم الضبط ـ قسم تحقيق الشخصية ـ قلم أفرنكي ـ قلم مدرسة البوليس ـ قلم القضايا قلم مخازن البوليس ـ قلم تفتيش التنظيم والطرق

(الفروع)

المحافظات والمديريات ـ مصلحة الصحة العمومية ـ مصلحة السجون مصلحة منع تجارة الرقيق (وان كانت في ادارتها الداخليـة مستقلة تمام الاستقلال)

(نظارة الخارجيه)

قلم الادارة ـ قلم الترجمة ـ قلم المحفوظات ـ قلم عربي

(نظارة المالية)

قلم السكرتارية ـ قلم المستشار المالى ـ قلم حسابات الحكومة ـ قلم الاموال المقررة ـ قلم القضايا ـ قلم التفتيش ـ قلم الاملاك الاميرية

(الفروع)

المطبعة الاهلية ـ البوسته ـ مصلحة خفر السواحل ـ الجمارك ـ ادارة المساحة ـ مصلحة المين والفنارات (وان كانت هذه مستقلة فى ادارتها الداخلية تمام الاستقلال)

(نظارة الحقانية)

ادارة المحاكم المختلطة ـ ادارة المحاكم الاهلية ـ ادارة المحاكم الشرعية ـ ادارة قلم المستخدمين والمحاسبة ـ قلم المستشار القضائى ـ قلم مجموعة الاحكام الرسمية ـ لجنة المراقبة القضائية ـ قلم القضايا ـ اللجنة الاستشارية التشريعية ـ لجنة قلم قضايا الحكومة

(نظارة الاشغال العمومية)

قلم الادارة ـ قلم الهندسة تفتيش عموم الري ـ ادارة عموم المدن ومبانى الحكومة ـ قلم المحاسبة ـ قلم السكرتارية

(الفروع)

مصلحة الآثار العمومية ـ لجنة السكك الحديد الزراعية ـ السكة الحديد والتلغرافات

(نظارة المعارف)

قلم التفتيش ـ قلم الادارة الافرنكية ـ قلم الادارة العربية ـ قلم التفتيش الطبي ـ قلم مجلس المعارف الاعلى ـ قلم اللجنة العلمية

(الفروع)

مدرسة الطب ـ مدرسة الحقوق الخديوية ـ مدرسة المهندسخانة ـ وسائر المـدارس الاميرية الثانونية والابتدائية ـ ادارة التعليم الصناعي والزراعي والتجارى

(نظارة الحربية)

قلم السكرتارية العربية ـ قلم السكرتير المالى ـ القسم الطبي ـ قسم الاشغال ـ قسم الطب البيطري ـ قسم المخازن ـ قسم المهمات

(المديرون والمحافظون)

لما لم يكن من المستطاع للوزير تدبير شؤون جهة اختصاصه وما يتبعها اقتضت الضرورة تقسيم الاعمال على عدة جهات تعرف بالمحافظات والمديريات تسهيلا للعمل فيقوم بنظر الشؤون في كل واحدة منها احد كبار الموظفين يعرف بالمحافظ او المـدير

فالمدير هو النائب الاكبر عن نظارة الداخليـة في دائرة المديرية فيما يختص بشؤون البلاد فى الداخل كالامن العام واجراء الانتخابات العمومية ونحو ذلك كذلك ينوب عن نظارة المالية فيما يتعلق بها نحو ربط الضرائب وتحصيل الاموال والاجارات وبالتأمل فى اختصاصات المدير نرى أنه ينوب في الحقيقة عن كثير من فروع الحكومة ولذلك قد ناطت الحكومة بالمديرين على وجه العموم تنفيذ القوانين في دائرة اختصاصهم وسمحت لهم أن يصدروا قـرارات بعـد عرضها على ناظر الداخلية والتصديق عليها منه أما من جهة اختصاصهم بالامن العام فهم

يباشرون اجراآت الضبط تحت سلطة ناظر الداخلية مباشرة مع مسؤليتهم أمام الحكومة عن الامن والنظام كل في الدائرة التابعة له

وعلى المديرين أن يراقبوا سير جميع الاعمال العمومية في دائرة مديريتهم ومن ضمن ذلك أمر محاكمة مرتكبي الجرائم ومعاقبتهم لان هذا الامر وان كان خاصا بالنيابة العمومية لاشك أن مسؤليتهم عن توطيد الامن تستوجب اهتمامهم بكيفية سير أعمال التحقيق حتى تكون الادلة مؤدية الي نجاح الدعوى العمومية فيقع الجزاء على فاعل الجريمة عقابا له وعبرة لغيره

وللمدير وكيل يقوم بالاعمال التي يعينها له المدير مساعدة ويحل محله عند غيابه أما حكمدار البوليس فيعاونه فى شؤون الضبط والربط وغيرها عند اللزوم

(اختصاص المدير فى الجنايات)

تكفل ببيان هذا الاختصاص القرار الصادر من مجلس النظار في ٨ ابريل سنة ١٨٩٥ م وخلاصته مايأتى (اولا) يجب عليهم التعويل على رأي النيابة في جميع الامور القانونية كتأويل القانون وتقدير قوة الادلة ونحو ذلك من الامور الفنية حيث ان اعضاء النيابة اقدر على البت في هذه الامور من ارباب الوظائف الادارية المحضة لما لديهم من الدراية الفنية (ثانيا) متي رأى المدير التداخل في اجراآت النيابة وجب عليه ان يكون ذلك بنية المساعدة في سير الاعمال فلا ينبغى له ان يقوم بواجباتها بطرق اخرى بل يجب أن يتحقق من أن أعضائها يبذلون

الهمة في العمل وأنهم ينتقلون الى محل الواقعة كلما رأى فائدة في الانتقال فاذا لم ترضه الكيفية المتبعة في التحقيق استدعى عضو النيابة وتداول معه لاقناعه بان الطريقة التي يشير بها أضمن لكشف الحقيقة وعليه أن يعين النيابة بجميع مالديه من الوسائل ليسهل عليها القيام بالعمل الذي هو في الواقع من الاعمال المكلف بها (ثالثاً) ـ يجب على المدير أن يتدارك ماعساه أن يكون ناقصاً في عمل النيابة فيتمم مالدى أعضائها من المعارف القضائية والفنية بما له من الدراية باحوال البلاد ومن النفوذ الناشيء عن وظيفته لتظهر الحقيقة باكمل مظاهرها باشتراك الفريقين (رابعاً) ينبغي عليه أن يبذل مافي وسعه لحفظ العلائق الحسنة فيما بين أعضاء النيابة وباقي الموظفين حتى يعمل الجميع بالاشتراك توصلا للغرض المقصود (خامساً) متى وقع خلاف في الرأي بين المدير والنيابة كان الفصل في ذلك لناظر الحقانية بعد اطلاعه على الاوراق وتمديره حجة كل فريق

(اختصاص المدير فى مسائل الرى)

للمدير حق مراقبة تقسيم المياه في جميع مراكز المديرية حتي يكون التوزيع على وجه العدل وله أن يلفت نظر مفتشي الرى الى الجهات التي تكون في احتياج لمياه أكثر من المخصص لها مع تعيين الزمن الذى يجب فيه امداد تلك الجهات بالمياه وعليه مراعاة الشكاوي العادلة التى يقدمها عمد ومشايخ البلاد عن قلة المياه وعليه تنفيذ خفر الجسور والاشغال المستعجلة عند حلول خطر أثناء فيضان

النيل على الاهالى وعليهم القيام بذلك بدون مقابل مراعاةللمصلحةالعامة (وان الغيت العونة التى كانت مفروضة على الاهالى فيالزمن السابق)

أما علاقات المدير مع مفتشى الرى فالقاعدة أنه يجب عليه السهر على حفظ مديريته من الغرق والاهتمام بان يكون توزيع المياه على وجه العدل في جميع المراكز وعليه أن يترك للمهندسين الشأن في الاجراآت الفنية بحيث تكون مسؤوليتها عليهم فقط

وعلى رجال الهندسة اذا رأوا تعطيل قناة أكثر من أربعة عشر يوما اخطار المدير بذلك حتى يكون حق الاعتراض عند الموجب

واذا وقع خلاف بين المدير ورجال الهندسة وجب رفع الامر الى نظارتيهما لمنعه مباشرة أو بواسطة مجلس النظار

(حقوق المدير التأديبية)

للمدير الحق فى عقاب بعض المستخدمين بالانذار بقطع المرتب مدة لاتزيد على خمسة عشر يوما وعليه أن يحيط الداخلية بهذه الجزاآت و يجوز له أيضاً أن يوقفهم مؤقتاً عن وظائفهم مع احالتهم على مجلس التأديب

(اختصاص المدير بالمجالس الحسبية)

من حق المدير أن يرأس المجلس الحسبي المؤلف في عاصمة المديرية ومن اختصاصات هذا المجلس النظر في تركات المتوفين الذين كانوا متوطنين ببندر المديرية من حيث تنصيب الوصي أوتثبيته أوعزله وغير ذلك مما هو منصوص عليه في لوائح المجالس الحسبية

(اختصاص المدير فى الشؤون المالية)

لما كانت الحكومات لا يتم نظامها ولا يكمل ترتيبها الا بتحصيل الايرادات كان من أهم أعمال المدير الاشراف على تحصيل الاموال الاميرية حتى يتحقق من جبايتها في المواعيد المعينة لها ومتى اتضح له أن بعض المولين متأخرون فى أداء المطلوب منهم باتخاذ الطرق القانونية كانذارهم بالدفع وتوقيع الحجز على محصولاتهم فمواشيهم فاملاكهم أذا هم استمروا متأخرين عن الوفاء لتباع بعد ذلك بالمزاد العلني وفاء للاموال الاميرية

وخلاصة القول أن على المدير تنفيذ جميع القوانين واللوائح الصادرة من جهات الحكومة لانه معتبر نائباً عنها جميعاً .

(اختصاص المدير فى مخالفات الرى وتأديب العمد والمشايخ)

من حق المدير أن يرأس اللجنة المشكلة لمحاكمة من يخالف لوائح الرى وكذلك اللجنة التأديبية المؤلفة فى كل مديرية لمحاكمة العمد والمشايخ على مايقع منهم بسبب وظائفهم

(اقلام كل مديرية واختصاص كل)

تنقسم اعمال كل مديرية الى قسمين ـ أداري ـ مالى ـ فالاداري يشتمل على الاقلام الآتية وهي ـ (١) قلم السكرتارية ـ ويختص باعمال القرعة ـ والرى وتنفيذ الاحكام الشرعية ـ وتحصيل مصاريف العلاج في مستشفيات الحكومة واعمال المجالس الحسبية وما أشبهها ـ

(٢) قلم الشياخات ـ وهو يختص بتعيين العمد والمشايخ للبلاد والقبائل وبكل ما يتعلق بهم من مكافآت واجازات وجزاآت وغيرها (٣) ـ قلم الخفـر ـ ومن أعماله ربط أجرة الخفر وتعيين الخفراء ورفتهم والنظر في طلبات انشاء العزب ونحوها (٤) ـ قـلم النظام ـ ويختص بحسابات ومهمات الضبط والصف ضباط والعساكر وترقيتهم ورفتهم وبكل مايتعلق بشؤونهم (٥) ـ قلم الضبط وعمله تنفيذ جميع القوانين واللوائح الصادرة من النظارات ومراقبة سير القضايا الجنائية

(القسم المالى)

ثمانيـة أقسام ـ الاول من أعماله النظر في رفع الاموال عن توالف الاطيان وتحقيق ورفع مال الشراقي ـ ونزع ملـكية الاراضي اللازمة للمنافع العمومية ـ ومساحة الجزائر ـ ورفع الاموال عن الاطيان المسموح بها بعد البلاد وغير ذلك من أعمال المساحات والمعاينات ـ الثاني ـ ويختص بتعيين ورفت الصيارف ومعاملتهم من جهة الاجازات والجزاآت والمكافآت وكيفية أخذ الضمانات عليهم وتحصيل أمـوال واجارات الحـكومة وسلفيات البنـك الزراعي المصري الثالث ـ من أعماله الحجز الاداري والبيع نظير متأخر الاموال ورسوم المحاكم الشرعية وغرامات مخالفات الري والحجوز الامتيازية الرابع ـ من اختصاصه فك الزمام ونقل التـكليف الخامس ـ ومن عمـله جرد الامـلاك وتقـدير العوائد وربطها وتحصيلها السادس ـ ومن اختصاصـه تعداد النخيل وأنشاء المباني والمصارف والترع والجسور وانشاء العيون

والآبار في الواحات وتحصيل أموالها وتحرير الكشوف الرسمية والتصديق على ضمانات المستخدمين أرباب العهد وأحصاء أصناف الزراعة السابع ـ يختص بمنع زراعة الدخان والتنباك والحشيش والتزام المعادي ومصايد الاسماك وعوائد الذبيح ومن أعماله أيضاً تمغة المصوغات والموازين والمقاييس والمكاييل الثامن ـ قلم الاملاك ـ ومن أعماله النظر في طلبات شراء الاطيان وأراضي الحكومة الحرة وعمل المباحث عن البرك والمستنقعات وكيفية مسؤولية العمد والمشايخ فيما يختص باملاك الميرى الحرة هذا وحكم المحافظات كالمديريات في كل ما تقدم

(مامورو المراكز)

لما لم يكن من طاقة المدير تدبير جميع الاعمال في أنحاء المديرية لكثرة عددها واختلاف أنواعها قضت الضرورة بتقسيم كل مديرية الى عدة أقسام يختلف عددها بكبر المديرية وصغرها ويعرف كل قسم منها (بالمركز) ويقوم بالعمل فيه تحت اشراف المدير نائب عنه يطلق عليه اسم (مأمور) كما ان المحافظة تنقسم الى عدة أقسام يسمى كل منها (قسما) يرأسه نائب عن المحافظ يدعى (مأمور قسم) فالمأمور هو الموظف المنفذ لاوامر الحكومة والتعليمات الصادرة من جميع المصالح على السواء في القسم أو المركز المعين فيه ـ فالمأمور من أكثر الموظفين عملا لتعدد التعليمات والاوامر من جميع المصالح المكلف بتنفيذها من ذلك لوائح الضبط والسجون والمجالس الحسبية والاعمال الادارية والقضائية والمالية وغير ذلك

والمقصد الاول من وظيفته الاهتمام بالامن العام ومنع حدوث الوقائع الجنائية فاذا حدثت وجب عليه بذل الطاقة فى اكتشاف الحقيقة بجمع الادلة التى يترتب عليها نجاح الدعوى العمومية التى تقام على مرتكب الحادثة

وعليه أن يتفقد جميع بلاد المركز عدة مرات كى يتعرف شخصيا بالعمد ومشايخ الخفر والاعيان ويواصل الاستعلام عن حركات الاشخاص ذوى السلوك السيء وعليه الاعتناء بتنفيذ قانون حمل السلاح والسهر على لائحة المتشردين والاشخاص المشتبه في أحوالهم وبالجملة فعلى المأمور وله ما للمدير وعليه باعتبار نيابته عنه في مركز اختصاصه

(عمد ومشايخ البلاد)

العمدة هو الحاكم الرئيس الذى ينوب عن الحكومة فى بلده فهو المسؤول قبل سواه عن الامن العام وعن العمل في دائرة بلده بجميع القوانين واللوائح المرعية الاجراء وعن تنفيذ الاوامر التي تصدر له من المأمور الذى هو رئيسه مباشرة.

(تعينهم في وظائفهم) يكون بواسطة لجنة العمد والمشايخ التي تجمع فى ديوان المديرية وتنتخب فعلا أحد المرشحين الواردة اسماؤهم في الكشف الشامل لمن تتوفر فيهم شروط التعيين حسب المادة الاولى من الامر العالى الصادر في ١٦ مارس سنة ١٨٩٥ والامر العالى الصادر فى ٣ أغسطس سنة ١٩٠٧ وأهم تلك الشروط (١) أن يكون بالغا من العمر خمسا وعشرين سنة (٢) أن يكون مالكا لعشرة أفدنة

على الاقل (الا اذا كان معينا لجفلك أو لجهة تكون مالكا خصوصياً للافراد فانه يتجاوز عن هذا الشرط (٣) أن لا يكون قد صدر عليه من المحاكم المستجدة (أى المحاكم الاهلية) بسبب جناية أو جنحة حكم قضائى يمس بحسن سيرته واستقامته .

ويلزم أن تتوفر هذه الشروط فيمن يعين شيخاً ولكن يكتفي في حقه بان يكون مالكا لخمسة أفدنه - وأما في البلاد التى لا يوجد فيها خمسة أشخاص يمتلكون عشرة أفدنه أو خمسة (بحسب الاحوال) فيكون الانتخاب من بين الملاك الذين يدفعون أموالا أميرية أكثر من غيرهم .

ومن اختصاص تلك اللجنة النظر في جميع المسائل التى تعرض عليها من المدير أو الداخلية بشأن العمد والمشايخ وأعمالهم وتتألف من المدير أو وكيل المديرية رئيساً ومندوب من الداخلية وأحد وكلاء النائب العمومي وأربعة من أعيان المديرية أو عمدها ينتخبهم المدير من بين الاشخاص الذين يعينون لهذا الغرض بطريقة مخصوصة وشرط صحة مداولات اللجنة أن يحضرها الرئيس ومندوب نظارة الداخلية واثنان من العمد والاعيان على الاقل ولا يلزم حضور وكيل النيابة الا عند نظر المسائل التأديبية

ولا يتم تعيين من تنتخبهم اللجنة من العمد والمشايخ نهائيا الا بعد تصديق النظارة فاذا لم تصدق اعيدت الاوراق الى اللجنة لانتخاب غيرهم من المترشحين ولنظارة الداخلية بناء على طلب اللجنة ان تعين بطريقة

استثنائية عمدتين لبلد واحد اذا دعت الحال لذلك كما أنه يجوز للجنة ان تطلب ضم جملة كفور او نجوع او عزب الى بعضها لتكون ادارة عمدة واحد - اما فيما يختص بالمشايخ - فلنظارة الداخلية بناء على طلب اللجنة ان تقرر العدد اللازم من المشايخ لينضموا الي العمدة لمساعدته في تأدية واجباته ويراعي في عددهم عدد سكان البلد والكفور والنجوع والعزب التابعة للبلد ويكون توزيع الحصص على هؤلاء المشايخ بمعرفة المأمور باتحاده مع العمدة حسب رغبة الاهالى

(امتيازات العمد والمشايخ)

اختصت العمد والمشايخ بالمزايا الآتية مكافأة لهم على خدمتهم (اولا) اعفاؤهم واولادهم من الخدمة العسكرية فلا يقترعون - ولا يطلبون للخدمة اذا كان قد وقع عليهم الاقتراع واذا دخل اولادهم الجيش يستمرون حتي يتموا الخدمة فيه وفى الرديف ولكنهم يعفون من الخدمة خمس سنوات في البوليس - ومن يموت منهم او يستعفى بعد تمضية عشر سنوات على الاقل من تاريخ دخوله دون ان يحكم عليه لتقصير في واجباته يعفي اولاده من الخدمة العسكرية بالمرة

اما من مات منهم قبل فوات عشر سنوات فيعطي اولادهم مهلة ستة اشهر لكي يتمكنوا في خلالها من دفع البدل العسكرى - ثانيا - صرف مصاريف الانتقال اليهم كلما طلبوا سواء انتقلوا الى مركز المديرية أو كانوا في مأمورية خارج المركز الذي فيه بلدهم - ثالثاً - معاملتهم

اسوة موظفي الحكومة المربوطة لهم ماهية فيما يتعلق باقامة الدعوى العمومية عليهم بسبب ما يقع منهم اثناء تأدية وظائفهم مخالفاً لقانون العقوبات ومعنى ذلك أن لا تقام الدعوى عليهم من النيابة الا اذا وافقت المديرية

(الواجبات على العمد والمشايخ)

على العمدة مباشرة أسباب استتباب الامن العام في دائرة بلده وعليه أيضاً أن يتخذ الوسائل اللازمة لاحاطة الاهالى علماً بالقوانين أو اللوائح الجديدة بان يعلق صورة منها في محل ظاهر في البلد ثم يحضر رؤساء العائلات ليوضح لهم نصوصها كي يصل العلم بها فعلا الى جميع أهل الناحية

هذا وجميع وسائل حفظ النظام فى البلدة تحت تصرف العمدة حسب ترتيب نظام الخفر على الطريقة المقررة الآن فكانه هو المسؤول شخصياً عن راحة الاهالى وصيانة الاملاك في بلده وفي العزب وغيرها مما يتبعه

أما عهدة الخفر ليلا فعلى شيخ الخفر والطوافة تحت ملاحظة العمدة وله أن يكلف أحد المشايخ بمراقبة هذا العمل ولضرورة أن يكون سير أعمال الخفر على مقتضى التعليمات الصادرة من الحكومة بهذا الشأن وجب على العمدة مراعاتها بان يوجه عنايته الى ما يأتي - أن يكون عدد الخفراء مطابقاً للقواعد المقررة تماماً - وأن يكون انتخاب الخفراء من الاشخاص ذوي السيرة الحسنة - وأن يكون توزيع أجرة الخفر

بين الاهالى وتحصيلها منهم على وجه العدل ـ وأن يجرى تحصيلها في مواعيد استحقاقها ـ وأن يكون الخفراء ذوي أهلية تامة فيما يختص بتأدية الواجبات المختلفة المفروضة عليهم

ومن الواجب على العمدة باعتبار كونه فردا من مأمورى الضبطية القضائية أن يخبر البوليس فورا عن كل جريمة أو حادثة مهمة علم بوقوعها ـ وعليه أن يقبل كافة البلاغات التي ترد اليه ـ وان يبعث بها فورا الى المركز أو النقطة ـ وعليه أيضاً كافة الايضاحات واجراء جميع التحريات المسهلة لتحقيق الوقائع التى تبلغ له أو يعلم بها بأى طريقة كانت ثم يحرر عن ذلك محضرا يرسله الى المركز مع الاوراق والاشياء الدالة على ثبوت الجريمة ـ ويجوز له الشروع في اجراء التحقيق الابتدائى في مسائل التلبس بالجناية ـ وعليه في هذه الاحوال أن يتوجه بلا تأخير الى محل الحادثة ويحرر محضراً بالاقوال التى يبديها له كل من له علاقة بالواقعة كالمجني عليه المتهم وشهود الاثبات والنفي وله أن يأمر بالقبض على المتهم اذا كان منسوباً اليه ارتكاب جناية أو جنحة سرقة أو نصب أو تعد شديد وكذلك اذا لم يكن للمتهم محل اقامة معروف بالقطر المصرى ـ ويجب أن يرسل المتهم في هذه الحالة الى المركز في ظرف أربع وعشرين ساعة ـ وللعمدة أيضاً أن يفتش منازل الافراد في حال التلبس ويضبط كل ما يجده من الاشياء التى يجوز كشف الحقيقة بها ومن حقه أن يحكم في بعض المخالفات بحيث لا يتعدى حكمه خمسة عشر قرشاً غرامة أو أربعاً وعشرين ساعة حبساً بسيطاً وغير أنه

لا بد من تصديق مأمور المركز على الحكم ـ ولبعض العمد حق الحكم في القضايا المدنية اذا توفر ما يأتي ـ أن يكون العمدة مرخصاً له بذلك من نظارة الحقانية بناء على طلب نظارة الداخلية والخصمان تحت ادارة عمدة واحد ـ وقيمة الدعوى لا تزيد على مائة قرش ـ وموضوع الدعوى من الحقوق الشخصية

ومما على العمدة من الواجبات أن يقوم بكل مساعدة تلزم للمخبرين السريين والمحضرين المكلفين بتنفيذ الاحكام ـ وان يبلغ المركز عن الامراض المعدية وزيادة معدل الوفيات في بلده عن العدد المعتاد ـ وكذلك عند الاشتباه في وفاة ـ وعلى العمدة والمشايخ الاهتمام أيضا بمسائل الصحة العمومية وأعمال الري ونحو ذلك مما يهم المصلحة العامة

(الجزاآت)

من حق نظارة الداخلية جواز رفت العمد والمشايخ بقرار يصدر منها مباشرة بدون محاكمة تأديبية وللمدير اذا قصر العمدة او الشيخ في تأدية الواجبات عليه ان يعاقبه بما يأتي ـ الانذار ـ او التوبيخ ـ الغرامة ـ بحيث لا تتجاوز مائة قرش ـ الايقاف عن وظيفته اثناء التحقيق الحاصل فيما نسب اليه ـ فاذا ظهر للمدير ان الامور المنسوبة الى العمدة او الى الشيخ تستوجب عقابا اشد مما هو مرخص به له وجب عليه ان يحيل المسألة على اللجنة ولها ان تحكم بالجزاآت الآتية جميعها او بعضها ـ الغرامة بحيث لا تتجاوز خمسة جنيهات ـ الحبس الى مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر

الرفت ـ هذا ولابد ان يحضر في اللجنة احد وكلاء النيابة كلما دعت الحال الى الحكم بالجزاآت فان ذلك من شرط صحة الحكم ثم تبلغ الاحكام الى نظارة الداخلية ومن حقها التصديق اوالاستبدال باخف

(الهيئات النيابية)

القانون النظامي وهو الذي يقرر فيه شكل الحكومة وتعرف منه السلطات القائمة بشؤون البلاد من جهة تشكيلها ـ وبيان اختصاصها ـ يقضي ان يكون لحكومة البلاد اربعة مجالس نيابية اولها ـ مجلس الشورى ـ الجمعية العمومية ـ مجالس المديريات ـ مجلس شورى الحكومة ـ وكان هذا النظام بمقتضى القانون الصادر في سنة ١٨٨٣ والواضع له اللورد دوفرين مبعوث انجلترا وعليه ترتيب الحكومة الآن ولم يلغ من تلك الهيئات سوى مجلس شورى الحكومة حيث صدر امر عال في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٤م بإيقافه وأحيل اختصاصه على لجنة انشئت بامر عال في ٢٠ ابريل سنة ١٨٨٤ م تسمى اللجنة الاستشارية التشريعية وتتألف هيئتها لنظارة الحقانية من ناظرها رئيسا ـ والمستشار القضائي ـ واعضاء لجنة قلم قضايا الحكومة ـ وناظر مدرسة الحقوق الخديوية اعضاء ووكيل ادارة المحاكم المختلطة بنظارة الحقانية كاتب سر هذه اللجنة

واختصاصها بحث مشروع كل أمر عال او قرار او لائحة مما يتعلق بالادارة العمومية من جهة الشكل التشريعي للمشروع وجعل نصوصه مناسبة لا تضاد باقي قوانين الحكومة

(مجلس الشورى)

تتألف هيئة مجلس شورى القوانين من ثلاثين عضوا بعضهم مندوبون والآخر دائمون ـ فالدائمون هم المعينون من قبل الحكومة بامر عال ولا يعزلون الا به وبطلب مجلس النظار بناء على قرار يصدر من مجلس شورى القوانين برأى ثلثى أعضائه على الاقل وكان هذا القيد مفيداً حيث كفل حرية الاعضاء الدائمين في المباحثات فيجاهرون برأيهم ولو على خلاف ما تراه الحكومة فلا يخشون ضغطا ولا تهديدا وعدد الدائمين يبلغ أربعة عشر والغرض من تعيين هؤلاء المندوبين من قبل الحكومة ايجاد رجال في المجلس ممن يكونون أكثر دراية وأوفر معرفة من الاعضاء المندوبين عن الاهالى فضلا عن كونهم يعتبرون نوابا عن الفئات الصغرى من الامة المصرية مثل الاقباط والاسرائيليين وغيرهم اذ يندر وصولهم من الانتخاب الى مندوب من طائفتهم لقلة عددهم أما الاعضاء المندوبون فهم الذين يمثلون الامة فينتخبون من بين الاعضاء مجالس المديريات بالكيفية المدونة في قانون الانتخاب وعددهم ستة عشر عضوا واحد عن كل مديرية من الاربع عشرة مديرية ينتخبه مجلسها من بين أعضائه وواحد عن مدينة القاهرة ينتخبه المندوبون عنها ـ وواحد عن الاسكندرية والمدن الملحقة بها وهى دمياط ورشيد والسويس وبورسعيد والاسماعيلية والعريش يختاره المندوبون عن هذه المدن السبع ومدة انتخابهم ست سنوات ويجوز انتخاب العضو الذي انتهت مدته عدة مرات واذا

ا انفصل أحدهم من عضوية مجلس المديرية فصل في الحال من مجلس شورى القوانين ــ ثم ينتخب بدله مجلس المديرية الذي انفصل هوعنه ولهذا المجلس رئيس يعين بامر عال من بين الاعضاء الدائمين وله وكيلان أحدهما من الاعضاء الدائمين والثاني من الاعضاء المندوبين ولا يجوز عزل الرئيس والوكيلين الا بالقيود المختصة بعزل الاعضاء الدائمين

(اختصاص مجلس الشورى)

النظر في اللوائح العمومية للحكومة المصرية وميزانيتها وحساباتها السنوية فلا تنال الصبغة القانونية الا بعد اخذ رأي مجلس شورى القوانين فكان ذلك شرط الصحة الميزانية واللوائح العمومية من الاوامر العالية المختصة بالشؤون العمومية من المصالح الادارية او القضائية او غيرهما وعلى مجلس الشورى بحث المشروعات متى عرضتها الحكومة عليه ويعيدها مشفوعة برأيه اما بالايجاب او السلب او التنقيح الذي يدخله عليها والحكومة حرة فلها ان توافق او ترفض غير انها اذا رفضت وجب عليها ان تعلن المجلس بالاسباب التي دعتها الى الرفض وليس للمجلس حق النظر فى تلك الاسباب وكذلك الشأن فى الميزانية فان ناظر المالية عليه ان يعرضها على المجلس في اول ديسمبر فيجول في اقسامها ويبدي رأيه عند كل قسم من اقسامها ويعيدها الى الناظر فان شاء وافق او رفض مبينا اسبابه وليس للمجلس حق الاعتراض ثم تعتمد الميزانية بامر عال يصدر قبل الخامس والعشرين من شهر ديسمبر

ومما يجب عرضه على المجلس حسابات عموم الادارة المالية عن السنة الماضية قبل تقديم الميزانية باربعة اشهر ومن حق مجلس الشورى استجواب النظار اونوابهم على مايلزم السؤال عنه على شروط منها تقدمه على الجلسة وبيان صيغة السؤال وعدم خروجه عن موضوع البحث ـ وقد تكفل بهذا الحق وشروطه القرار الصادر في اواخر سنة ١٩٠٩ والمجلس وان لم يكن من حقه وضع القوانين التشريعية ولكن يجوز له ان يلفت نظر الحكومة الى لزوم وضعها والواضع للقانون لا يرى قصر هذا الحق على المجلس بل جعله لكل فرد من الاهالى على وجه الاستقلال كما بين ذلك بمادة ٢٠ من القانون النظامي على ان يكون ماعرضه من الحقوق والشؤون العمومية ثم تحول من مجلس النظار الى مجلس الشورى وله الرفض او القبول ولدي قبولها يحيلها على الناظر المختص لاجراء مايلزم عنها واشعار المجلس بما يتم في شأنها

أما ان كان ما عرضه الشخص على مجلس النظار من الحقوق الشخصية فسبيله الرفض متى كان من اختصاص المحاكم أو لم يسبق تقديمها الى جهة الادارة المختصة بها ولما كانت سلطة مجلس الشورى مقصورة على ابداء الرأى في المسائل الداخلية لم يكن من حقه المداولة في كل ما تعهدت به الحكومة بمواثيق دولية كقانون التصفية والخراج الذي تؤديه مصر الى الدولة العلية ويبتدىء اجتماع مجلس الشورى في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر من كل سنة لغاية شهر مايو من السنة الثانية ويجوز انعقاده بأمر عال كلما دعت الظروف لاجتماعه وعموما

لايجوز أن تنفض أدوار الانعقاد العلنية أو غيرها الااذاأرسل المجلس رأيه للحكومة عن جميع المسائل المعروضة عليه

وشرط صحة اجتماعه أن يحضره ثلثا الاعضاء عدا الاعضاء الغائبين باجازةقانونية وتصدرالقرارات بالاكثريةالمطلقة-هذاوقدكانت جلساته سرية وبقي على ذلك الى ٣ مارس سنة ١٩٠٩ م حيث صدر أمر عال بجعلها علنية عملا بطلب الرأى العام ويجوز للجناب الخديوى أن يصدر أمرا بانحلال المجلس وتجديد الانتخاب ولا ضرورة للحكومة في ذلك فان رأيه شورى لايلزم الحكومة العمل به ومتى صدر الامر العالى بحله سقطت الاعضاء المندوبون وبقيت الاعضاء الدائمون في المجلس بهيئته الجديدة ووجب أن تعاد الانتخابات وان لاتتأخر عن الثلاثة الاشهر التالية لتاريخ الانحلال - أما مرتبات أعضاء المجلس الدائمين ومنهم الرئيس والوكيل فهى مائة جنيه سنويا بصفة مكافأة اذ هم في الاغلب اما من موظفى الحكومة أو من أرباب المعاشات وعلى كل لايصح الجمع بين ما يتقاضونه من الحكومة ومرتب آخر للنهي عن ذلك بمقتضى القوانين المالية اما ماكان من الاعضاء الدائمين الذين ليسوا بموظفين ولا من ذوى المعاشات وكانوا من خارج مصر فيعطى العضو منهم ٣٠٠ جنيه سنويا والاعضاء المندوبون كذلك ماخلا العضو المندوب عن القاهرة حيث لايتناول غير مائة جنيه فقط

(مجالس المديريات)

تتألف مجالس المديريات من نواب عن مراكزها لكل مركز

نائبان ينتخبهما مندوبو الانتخاب عن بلاد المركز تحت رياسة المدير أو وكيله اذا غاب أو منعه مانع من العمل ويعتبر الرئيس نائبا عن مجلس فى استعمال ماله من الحقوق وفى اداء ما عليه من الواجبات ـ ومن ذلك اختلفت أعضاء مجلس كل مديريه عددا تبعا لكثرة مراكزها أو قلتها ـ ويجب أن يكون النائبان مقيمين فى دائرة المركز ويلاحظ مع ذلك أن بندر المديرية الذي يكون له نظام ادارى خاص به يعتبر جزء من المركز الواقع فيه بندر المديرية وكل مركز لا يزيد عدد سكانه عن عشرين ألفا أو قسم اداري غير مركز يلحق باحد المراكز الاخر بقرار من ناظر الداخلية بعد موافقة مجلس النظار

ويشترط في نواب المركز ما يأتي ـ أن يكون بالغاً من العمر ثلاثين سنة ـ وأن يكون عارفاً القراءة والكتابة ـ وأن يكون مؤديا مدة سنتين الى المديرية مال أطيانه بالمركز قدره خمسون جنيها مصريا على الاقل الا اذا كان حائزاً لشهادة الدراسة العالية فيكفى نصف هذا المبلغ على الاقل ميزة له عن غيره ـ وأن يكون اسمه مدرجا في دفتر الانتخاب منذ خمس سنوات ـ وأن لا يكون موظفا فى الحكومة أو ضابطا في الجيش العامل ولا يعتبر العمد والمشايخ هنا من موظفى الحكومة ـ وأن لا يكون عضوا في مجلس مديرية أخرى

هذا ومدة العضو ست سنوات ويقوم أحد نائبي كل مركز بالدور كل ثلاث سنوات ولا مانع من اعادة الانتخاب للخارجين ويجب على العضو الجديد أن يحلف اليمين وعلى المجلس أن يجتمع في المواعيد

التى تتقرر في لائحة الاجراآت الداخلية فاذا لم توجد لائحة لذلك فيجتمع كلما دعاه المدير

وللمدير أن يدعو المجلس للاجتماع على خلاف العادة في أي وقت كان وعلى المدير دعوته للاجتماع أيضا اذا طلب ذلك كتابة ثلث الاعضاء على الاقل

وليس لاحد غير الاعضاء ان يحضر جلسات المجلس أو لجانه الا بدعوة منه أو من المدير لفائدة خبرته بالمسائل الحاصل البحث فيها غير ان لكل ناظر من النظار أن يندب واحدا أو أكثر من الموظفين للحضور فى جلسات المجلس أو اللجان عند النظر في أمر يتعلق بمصلحته وللمندوب الحق في المداولة بغير أن يكون له رأي معدود

في جميع اللجان يعتبر المدير أو وكيله عضوا وله الرئاسة ولا يصح اعتبار المجلس قانونا الا اذا حضر الجلسة أكثر من نصف أعضائه وتصدر القرارات بالاغلبية واذا تساوت الاراء فيترجح الجانب الذي فيه الرئيس ولكل مجلس أن يضع لائحة لاجراآته الداخلية يصدق عليها من الداخلية

(اختصاص مجالس المديريات)

قضى القانون النظامى المسنون في عهد المرحوم اسماعيل باشا سنة ١٨٨٣ م بان يكون للمديريات مجالس تنظر في مصالحها وشؤونها الداخلية مما يعود عليها بالرقى المادى والادبي وبين تأليفها واختصاصها بالبابين الثانى والثالث من القانون النظامي وبقي الحال كذلك حتى

جاء العهد العباسي الزاهر فرأى سموه أن حالة رقي البلاد تدعو الى التوسع في اختصاص تلك المجالس والاكثار من عدد أعضائها وتخويلها سلطة قطعية فى مواد الامن والتعليم الاولى ووضع ضرائب معينة وغير ذلك مما يرشح الفكرة النيابية والرقي السياسي في أنحاء المديرية فألغى البابين واستبدلهما بآخرين صدر بهما الامر العالى في ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٩ م ونشر بالوقائع المصرية في ١٨ سبتمبر من هذه السنة وصادق على ذلك اللورد غورست عميد الدولة المحتلة وكان ذلك عقب ضجيج لفيف من الامة بطلب الحكومة النيابية ـ فصح اعتبار ذلك اجابة ما ومما قضت به المادة الثانية من القانون الجديد اختصاص تلك المجالس

انه يجوز لمجلس المديرية أن يقرر رسوما مؤقتة في المديرية لصرفها فى منافع عمومية وفى جملتها التعليم ـ ويجوز له استعمال تلك الرسوم كلها فى التعليم وما يقرره المجلس في وضع هذه الرسوم وفي تخصيصها يكون قطعيا مادامت لا تتجاوز خمسة في المائة من مجموع الضرائب في المديرية فاذا قرر اكثر من ذلك وجب الحصول على تصديق الحكومة بالنسبة لما زاد

وهذه النسبة يتكون منها سنويا مبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنيه على الاقل وبدوام هذا يمكن اصلاح شؤون كثيرة متى قام بذلك أهل الرأى والنظر فى عواقب الامور ـ وللمجلس ان يبدي من نفسه رغباته للمدير ولكل ناظر ولمجلس النظار فى كل مايتعلق بحاجات المديرية العمومية وبالاخص الشؤون الزراعية والرى وطرق المواصلات والامن العام والصحة العمومية والتعليم ولكن لايجوز للمجلس النظر فى المسائل التي تختص

بها المجالس المحلية أو المجالس المحلية المختلطة ولا في تعيين موظفي الحكومة او نقلهم او تأديبهم اورفتهم ـ ومن اختصاصه بالمادة الرابعة وجوب اخذ رأيه مقدما في المشروعات الآتية ـ تغيير حدود المديرية ـ وانشاء او الغاء مجلس محلي في دائرة اختصاص المديرية ـ وانشاء المدارس والمستشفيات الاميرية او نقلها او ابطالها وكذا الجبانات العمومية ـ ومشترى او بيع او ابدال او انشاء اوترميم المباني والاملاك الاميرية في المديرية أوتغيير استعمالها ـ وسريان قانون على بندر او قرية في المديرية او ابطال ذلك ـ واصدار قرار بيان كيفية سريان قانون على بندر او قرية في المديرية ـ وتغيير دوائر الاختصاص الادارية والقضائية في المديرية وتغيير حدود البنادر أو القرى أو انشاء قرى جديدة أو الغاء قرى في المديرية ـ انشاء سكك حديد زراعية في المديريه وتعيين اتجاهها ـ واعطاء الامتيازات لشركات او لافراد بالمديرية ـ هذا ومن المشروعات مايتوقف اعتباره قانونا على موافقة المجلس واليك بيانها ـ اصدار المدير لائحة محلية تسري على المديرية كلها او على قسم منها او بندر او قرية فيها او تعديل او الغاء لائحة خاصة بالمديرية ـ وسريان قرار او لائحة على بندر او قرية او او ابطال ذلك ـ واصدار قرار لبيان كيفية سريان قرار او لائحة على بندر او قرية في المديرية ـ ولا يسري مع ذلك حكم هذه الفقرات الثلاث في حالة الوباء او غيرها من الاحوال المستعجلة غير انه يجب على المدير ان يخبر المجلس بالاسباب التي دعت الى ذلك في اول انعقاد له كما يجب ان تعرض على المجلس جداول نظارة الاشغال المتعلقة بانشاء وتطهير الترع

والمصارف العمومية والمناوبات لاخذ رأيه فيها ومتى جصل تعديل فيما تقدم وجب اخبار المجلس بالاسباب التي دعت لذلك ـ ومن حقه النظر في اقامة الموالد أو الاسواق التي لم تجر العادة باقامتها فيتوقف بعد الترخيص بها على موافقة رأي المجلس ـ كذلك من حقه ان يقرر عدد الخفراء لكل بندر وتعيين درجاتهم ومرتباتهم بمصادقة نظارة الداخلية وان جاز لناظر الداخلية بعد أخذ رأي المجلس أن يزيد عدد الخفراء في أي جهة تقتضي حالة الامن فيها ذلك ـ ومن اختصاصاته النظر في الشكاوى من توزيع رسوم الخفر للفصل فيها بواسطة لجنة من المجلس تعين في كل سنة لذلك وللمجلس أن يقرر هدم أى عزبة ولو كان مرخصا بها اذا صارت مأوى للاشقياء وله هدم كل عزبة انشئت بدون رخصة اذا تعسرت حراستها أو اقتضت حراستها مصاريف باهظة غير أنه يشترط في الحالتين التصديق على قرار الهدم من مجلس النظار

ولا يجوز انشاء عزبة الا بعد الترخيص بذلك من المديرية وموافقة المجلس ـ أما حقوقه المخولة في التعليم فقد تقررت فى المادة التاسعة على الطريقة المبينة بعد ـ له أن يقرر انشاء أو امتلاك مدارس في المديرية واتخاذ ما يلزم لادارتها ـ وله أن يدير مدارس غير التي أنشئت أو امتلكت على الوجه المتقدم بشرط أن يكون تخصيص بنائها مكفولا على الدوام بالتعليم وأن يشتمل عقد تحويلها على المجلس على الشروط التي تضمن له ادارتها الفعلية ـ وللمجلس أن يضع بروجرامات لسير المدارس على اختلاف درجاتها ـ وله أن يضم اليه أربعة أشخاص على

الاكثر ممن لهم عناية بشؤون التعليم يحضرون الجلسات على سبيل الشورى ويكون بحكم القانون أعضاء فى لجنة التعليم متى وجدت ـ وله أن يؤلف من أعضائه أو ممن يعنون بامر التعليم لجانا يناط بكل واحدة منها ادارة مدرسة واحدة أو أكثر

وله أن يقبل المال أو العقار الذي يوهب لاستعماله أو غلته في شؤون التعليم كماله أن يقبل الاكتتابات لعمل من الاعمال التى اختص بها المجلس في شؤون التعليم ـ وعلى المجلس أن يخصص للتعليم الاولى ومنه تعليم الزراعة والصناعات اليدوية سبعين فى المائة من مجموع الرسوم التى تخصص للتعليم والثلاثون في المائة الباقية تصرف على التعليم الابتدائي وما فوقه ـ وعليه أيضا أن يراعى على قدر الامكان كل لائحة تصدر من نظارة المعارف

وعلى المجلس ابداء رأيه فى المسائل التى تعرض عليه فى مدة لائقة فاذا منع ابداء رأيه اولم يبد رأيه مطلقا فى تلك المدة جاز لمجلس النظار ان يأمر باجراء العمل بدون انتظار الرأى

(الجمعية العمومية)

تتألف الجمعية العمومية من نظار دواوين الحكومة وهيئة مجلس شورى القوانين وستة واربعين مندوبا عن المديريات والمحافظات يخصصون على الوجه الآتى ٤ من مديرية الغربية منهم واحد لبندر طنطا ٣ من مديرية البحيرة ٣ من مديرية المنوفية ٣ من مديرية الدقهلية منهم واحد لبندر المنصورة ٣ من مديرية الشرقية ٢ من مديرية

القليوبية ٢ من مديرية الجيزة ٢ من مديرية بني سويف ٢من مديرية الفيوم ٢ من مديرية المنيا ٣ من مديرية اسيوط منهم واحد لبندر اسيوط ٢ من مديرية جرجا ٢ من مديرية قنا ٢ من مديرية اسوان ومن القاهرة ٤ ومن الاسكندرية ٣ وواحد من كل من دمياط ورشيد والسويس والعريش فيضم هؤلاء الاعضاء الى النظار وهم ستة ومجلس شورى القوانين وأعضاؤه ثلاثون تكون الجمعية العمومية مؤلفة من اثنين وثمانون عضوا

ولا بد فيمن ينتخب للجمعية العمومية أن يكون سنه ثلاثين سنة كاملة على الاقل ملما بالقراءة والكتابة ومؤديا منذ خمس سنوات على الاقل فى المدينة أو المديرية النائب عنها مالا مقرراً على عقار أو أطيان قدره ألفا قرش سنويا مع درج اسمه في دفتر الانتخابات خمس سنين مضت على الاقل ويعفى المندوبون عن مدن رشيد ودمياط والسويس والعريش من شرط تأدية المال لعدم وجود من يتوفر فيه هذا الشرط في تلك المدن وبذلك صدر الامر العالى في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ م

وعلى الاعضاء المندوبين أن يحلفوا يمين الصدق للجناب الخديوى والطاعة للقوانين قبل مباشرتهم لوظائفهم ويبدأ باليمين في أول جلسة تعقد ومدة مهمة العضو بها ست سنوات مع جواز اعادة انتخابهم ولهم حق الاستيلاء على مصاريف الانتقال عن كل مرة يحضرون فيها ورئاسة الجمعية العمومية لنفس رئيس مجلس شورى القوانين

(اختصاصها)

من اختصاصها ما يكون قطعياً تتقيد به الحكومة ومنه ما يكون شوريا من الاول مانص عليه في المادة (٣٤) من القانون النظامى (لايجوز ربط أموال جديدةأو رسوم على منقولات أوعقارات أوعوائد شخصية في القطر المصرى الا بعدمباحثة الجمعية العمومية فى ذلك واقرارها عليه) ومن الثاني مايأتي - كل سلفية عمومية تعقدها الحكومة - وانشاء أو ابطال أى ترعة وأى خط من خطوط السكة الحديدية على أن يكون ماراً أيهما فى جملة مديريات - فرز عموم أطيان القطر لتقدير درجات أموالها فرأى الجمعية في ذلك استشارى - والنص القانون بانه يجوز للحكومة أن تستشير الجمعية في كل مسألة وفي كل مشروع سوى ماذكر رأت الحكومة أن تعرض عليها مشروع اطالة امتياز قنال السويس وصرحت زيادة على ذلك بان قرارها سيكون قطعياً فقررت رفض هذا المشروع وقد علم بذلك الخاص والعام ويجوز للجمعية أن تبدي رغباتها فى جميع المواد المتعلقة بالثروة العمومية والامور الادارية أو المالية وعلى الحكومة اذا لم تعول على هذه الرغبات أن تحيط الجمعية بالاسباب التى دعتها الى ذلك وليس للجمعية جواز المباحثة في هذه الاسباب - أما انعقاد جلساتها فيقضى القانون بان تعقد الجمعية مرة على الاقل في كل سنتين بأمر يصدر من الجناب العالى الخديوى غير أنه يجوز تأجيل الاجتماع الى وقت آخر كما يجوز صدور الامر بحل الجمعية - وفي هذه الحالة تعمل الانتخابات الجديدة في مسافة ستة أشهر ويجوز حل مجلس الشورى كذلك - وقد

أصبحت جلساتها علنية بالامر العالي الصادر في ٣ مارس سنة (١٩٠٩م) بعد أن كانت سرية

(كلمة عن الحالة المالية بالديار المصرية)

ان ترب مصروما يسوقه النيل عند وفائه من الزبد المعروف بالطمي هدية لاهاليا لكنز من كنوز الله الذى لاتفني خزائنه ولاتقف ثمرات موارده عند ضبط وحساب حاسب فكان ذلك من المواهب الالاهية والمزايا الخصوصية التى عزت بقطر من اقطار الارض وعلى ذلك تدور الثروة والحركة المالية بالبلاد حتي تكادان تنحصر في ذلك وقد نهضت المالية نهضة في عهد سموه العباسي لم يسبق لها مثيل من عهد بعيد فتكاثر الذهب وأثرى الناس وتوسعوا في اسباب العيش والرفاهية ولا سيما فى اواسط العقد الاول من هذا القرن فتألفت الشركات المالية الزراعية والبنائية لاستثمار أرض البناء والاطيان الزراعية ولولا تورط الناس في المضاربة لسلمت مصر من رد الفعل الذى احدث الازمة المالية منذ بضع سنين

ومن هذه النهضة بالبلاد ارتقت المالية بالحكومة المصرية فبلغت ميزانيتها الآن ١٦ مليونا بعد ان كانت سنة ١٨٩٢ م عشرة مليون جنيه تقريبا كما بلغت قيمة الواردات التجارية الآن ٢٤ مليون جنيه تقريبا بعد ان كانت في السنة المذكورة اقل من عشرة ملايين وكانت الصادرات ١٤ مليونا تقريبا فارتقت الى ٢٩ مليونا من الجنيهات ومن هذه المقارنة يتضح رقي حكومة البلاد وأهلها ماليا وقد ظهر ذلك حسا حيث تكاثرت

الابنية واتسعت المدن ـ من ذلك القاهرة فقد تضاعفت مساحتها مرارا عما كانت عليه من قبل حتى اتصلت بضواحيها غير ما أنشيء فيها باثناء هذه النهضة من الابنية الفخيمة والقصور الباذخة وعمرت الضواحي وأنشيء بضواحيها بلد جديد (واحة عين شمس) لا مثيل له في اقطار العالم فكان ذلك برهانا على النهضة المالية السامية بحكومة البلاد وأهلها

(الحالة العلمية والحركة الفكرية بالبلاد)

في عهد سموه ظهرت النهضة العلمية والحركة الفكرية بالديار المصرية بما سنه من توسعة اختصاص مجالس المديريات ـ وانشأته الحكومة من الكتاتيب والمدارس فى انحاء القطر

وأصبحت الآمال حية بما أدخلته الحكومة من التعديل فى طرق التعليم خصوصا فى اللغة العربية فقد كان يكاد أن يقضى عليها بالمدارس المصرية فابتدأت الحكومة في ارجاع التدريس اليها وأنبثت روح التعليم في انحاء القطر وكثر أهل الرأى الساعون في انشاء المدارس حتى ألفتوا نظر أهل اليسار في الارياف لذلك فتأسست للتعليم الابتدائي الصناعي وغيره المدارس العديدة

ومما لاينكر فضله في ذلك الجمعيات الخيرية الاسلامية ـ والعروة الوثقى ـ والمساعي المشكورة الخيرية القبطية وغير ذلك مما تأسس على يد أهل الرأى والاصلاح فأنشأوا المدارس العديدة لتعليم النشاء وكفلوا دوام التعليم بها بما حبسوه عليها من الاعيان التى تدوم غلتها فنمى كنز الزكاة بتعليم أولاد فقراء المصريين فأحيا الله بما فعلوه

نفوسا يرجى خيرها لاهلها وبلادها وجزاهم أحسن الجزاء على ماصنعوا

ومن الرقي بالتعليم العالى ما تم في عهد الجناب الخديوى من انشاء الجامعة المصرية وان كانت فى مهدها فلم تصل للغاية المطلوبة منها حتى اذا جاء دور شبابها اقتطفت الامة ثمرا باقيا ان شاء الله تعالى

ومما أحدثته الحكومة في عهد سموه مدرسة القضاء الشرعى وهى وان كانت تابعة في الادارة والنظام للمجلس الاعلى للمعاهد الدينية ولكن لها ميزانية ضخمة خاصة بها كفلتها الحكومة فليست كبقية المعاهد العلمية الدينية وليس لنظارة المعارف الآن اشراف عليها

هـذا ومما يجدر ذكره على وجه خاص بسمو الجناب الخديوي عنايته بالمعاهد الدينية العلمية فأمر حفظه الله بسن قانون نظامى لها كفل حقوق الاساتذة والطلاب وجعل لكل جهة أدارة تنظر في مصالحها وتحت اشراف المجلس الاعلى الذي يرأسه فضيلة شيخ الجامع الازهر وبذل لحفظ تلك المعاهد سنويا مايبلغ ستين ألف جنيه تقريباً وقد وعد حفظه الله باعداده كل مايلزم لحفظها وكمال نظامها فجزاه الله عن الشريعة وخدمتها أوفق الجزاء

(القوة العسكرية)

ان القوة العسكرية بالديار المصرية كان معتنى بها من عهد دول الفراعنة فكانت درجتها تعد من اول مراتب الامة اذ كانت عليها حراسة البلاد ولذلك كانت الحكومة تمنح الجنود قسما عظيما من الاراضى يستثمرونها حتى يصدق دفاعهم عنها والذود عن حياضها وكان ما بايديهم من الاراضي

معفاة من سائر المطالب الاميرية وقد بلغ ما يأخذه الجندي الواحد ٦ أفدنة فضلا عما يصرف له من الغذاء والعدة ـ وكان عدد الجيش المصري في زمن هيرودوت ٤٢٠ ألف مقاتل وفي مدة العائلة الثامنة عشرة وهو زمن ارتفاع شأن مصر ٦٠٠ ألف من المشاة و٢٤ ألف من الفرسان و٢٧ ألف من العربان المسلحة بالحراب وفي مدة سيزوستريس الاكبر الذى اشتهر بالفتوحات زادت هذه القوة وكانت الملوك هم القادة للجيوش فى ميادين الحرب ثم أخذت قوة مصر بعد ذلك في الضعف والانحطاط وأصبحت جنودها فى مدة حكم الفرس واليونان والعرب والاكراد والمماليك من الشعوب الاجنبية فلم يكن المصري اذ ذاك يحمل السلاح للزود عن وطنه حتي جلس على كرسي الولاية المصرية المغفور له محمد علي باشا فنظم جيشاً عظيما من الاهالى ثم اقتدى به بنوه من بعده الى يومنا هذا ـ وتتركب قوة الجيش المصري الآن أي سنة ١٩١٢ م من ١٧٩٠٢ مقاتل منهم ١٤٣ ضابطا انجليزي على اختلاف درجاتهم ووظائفهم و٧٠٥ ضابط وطنى كذلك و١٧٠٥٤ عسكرى مع اختلاف عملهم وتفصيل ذلك كالآتي ٣ اورط سوارى ـ أورطتان مصريتان ـ وأورطة سودانية منهم ٢ ضباط انجليز و١٩ وطني و٤٦٥ عسكري والمجموع ٤٨٦ وبلوكان من البيادة الراكبة منهم ٢ ضباط انجليز و٨ وطنيون و٢٨٧ عسكرى والمجموع ٢٩٧ والطوبجية ـ بطرية مكسيم و٤ بطرية بغال و٣ بلوك محافظة ومنهم ٧ ضباط انجليز و٤٤ وطنى و١٢٣١ عسكرى والمجموع ١٢٨٢ والهجانة ٤ بلوكات عرب راكبة وبلوك سودانى

راكب منهم ٧ ضباط انجليز و ٢٦ وطني و ٧٥٥ عسكري والمجموع ٧٨٨ عسكري ـ واورطة العرب منها ٨ ضباط انجليز و ٢٢ وطني و٩٤٤ عسكري والمجموع ٩٧٤ والبيادة ـ ٩ أورط مصرية ـ و٧ سودانية ـ وبالمصرية ١٥ ضابط انجليزي و١٧٠ وطني و٥٤٣٦ عسكري والمجموع ٥٦٢١ وبالسودانية ٣٥ انجليزي و١٨٢ وطني و٥٢٢٩ عسكري والمجموع ٥٤٤٦ ـ والقسم الطبي منه ١٦ انجليزي و٦٣ وطني و٤١٦ عسكري والمجموع ٤٩٥ ـ وقسم الاشغال منه ٧ انجليز و٢٢ وطني و٨٧٣ عسكري والمجموع ٩٠٢ ـ ومصلحة التعيينات منها ٥ انجليز و٢٨ وطني و٢٤٩ عسكري والمجموع ٢٨٢ ـ ومصلحة المهمات منها ٣ انجليز و٢٤ وطني و٤٨٦ عسكري والمجموع ٥١٣ ـ والقسم البيطري ومنه ٣ انجليز و٩ وطنيين و٨٦ عسكري والمجموع ٩٨ ـ وأركان حرب ومنها ٣٣ انجليز و٨٨ وطني و٥٩٧ عسكري والمجموع ٧١٨

(العادات التي حدثت في مصر من ابتداء الدولة الفاطمية الى الان)

كان للخلفاء الفاطميين عوائد واخلاق تدور حركتها غالبا على محور الكرم والاحسان الذي اتسعت دائرته حتي عم برهم واحسانهم طبقات الناس من غني وفقير قاص أو دان خصوصا في أيام مواسمهم وأعيادهم وخروجهم للنزهة في فصول تعودها وكذا أيام مراكبهم ومواكبهم وكانت لهم عناية زائدة بالاحتفال بأول السنة وآخرها وأيام الصوم وعيدي الفطر والاضحى وعاشوراء الى غير ذلك مما أطنب المقريزي في

ايراده فذكر ماكان يفرق في تلك المواسم من الكساوى الغالية — والنقود الوافرة — وأنواع الحلوي حتى أن من قال أن برهم كان يعم المدينة بل وما قاربها لا يكذب

وقد داموا على هذا الحال فتأثرت طباع امرائهم وحذوا حذوهم في ذلك فغلبت طباعهم على طباع غيرهم من الرعية حتى صار الكرم سجية والمروءة في أهل القطر عادة

من عاداتهم مارسموه على تربتهم المعروفة بتربة الزعفران التى دفن بها المعز لدين الله آباه واجداده الذين احضر اجسادهم معه فى توابيت من بلاد المغرب ومن مكانها مايعرف الآن بخان الخليلى وذلك ان الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد الى القصر لابد ان يدخل الى زيارة آبائه بهذه التربة وكذلك لابد ان يدخل في يوم الجمعة دائما وفي عيدي الفطر والاضحى مع تقديم صدقات ورسوم يكل اليراع عن ضبطها ولا زالت محترمة مقامة الشعائر حتى جاء دور ضعفها ايام المستنصر فطلب عساكر الاتراك منه النفقة فلم يجد مايعطيه للشدة العظمي بالبلاد فهجم الاتراك على تلك التربة وأخذوامافيها من قناديل الذهب والمداخن والمجامر وحلى المحاريب وغير ذلك مما بلغت قيمته خمسين الف دينار — هذا ولا يزال هذه العادة في نفوس أهل مصر خصوصا فى الجمعتين الاولى والثانية من شهر رجب واشتهر في عرف اهل مصر بواسطة تأثير المديرين للمدافن ان الاولى خاصة بخروج الفقراء والثانية بالاغنياء وقد تجاوز الناس فى تلك المواسم والاعياد الحدود حتى اتخذ المدافن بيوتا للاقامة

ومن هذا تحدث المفاسد عند أمكنة الاتعاظ فضلا عما ينفق على بناء تلك المدافن التي اصبحت قصورا شامخة

ومن عاداتهم الرسوم التي وصفوها ليوم خروج الاسطول بنهر النيل وكانت الخلفاء تخرج للفرجة فيمتلىء وجه النيل وساحله بالمتفرجين فكان ذلك اليوم من المواسم المشهورة ومنها جلوسهم بمنظرة الجامع الازهر ليالى الوقود ـ وهي ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وخلاصته ما كان من العوائد في ذلك أن يركب قاضي القضاة بهيئته المقررة ومعه الشهود والمؤذنون والقراء يطربون بالقراءة وبين يديه الشمع المحمول اليه موقوداً من كل جانب ثلاثون شمعة كل واحدة منها بهدس قنطار ولغيره من الشمع الواحدة والاثنتان والثلاثة كل بحسب المقرر له فيمشون من أول شارع فيه دار القاضي الى باب الخلافة وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى فيسيرون الى باب الخليفة ويحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء فيترجلون تحت منظرة الخليفة ويخطبون وينصرفون بعد أن يسلم عليهم من الطاقة أستاذ دار الخلافة استفتاحا وانصرافا ثم يتحول الناس الى دار الوزارة فيجلس لهم الوزير في مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء ويدعون له ويخرجون ثم يجولون بالقاهرة فينزل القاضي ومن معه بالجامع الازهر والجامع الاقمر والجامع الانور بالقاهرة والطيلوني والعتيق بمصر والمشاهد التي ضمت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي لاهلها وجاهة ويصلي في كل مسجد ركعتين ويقدم للناس الحلواء والاطعمة والبخور في مجامر الذهب

والفضة ويوقد في المساجد الشموع والقناديل الكثيرة فكان المرتب للجامع العتيق برسم وقوده خاصة في كل ليلة أحدعشر قنطاراو نصف قنطار من زيت الزيتون ولغيره من المساجد شيء كثير كل بحسبه وبالجملة فكانت هذه الليالي الاربع من ابهج الليالى واحسنها تحضر الناس لمشاهدتها من كل اوب فيصل اليهم فيها انواع البر وتعظم فيها ميزة اهل الجوامع والمشاهد .

هذاولا يزال بعض ذلك موجودا فان ديوان الاوقاف ينير المنارات ويزيد نور المساجد خصوصافي ليلة المعراج وفيها تقام حفلة رسمية بجامع المغفور له محمد على باشا بالقلعة يحضرها السادة العلماء والذوات المعتبرون ويرأسها الجناب العالى اونائبه وتتلى بها الخطب وقصة المعراج وآيات القرآن الحكيم ثم يتضرعون الى الله بالدعا و بعد ذلك تدار عليهم كؤوس الحلوى ـ وفي الصباح يحتفلون كذلك بالجامع الحسيني غير ان قصة المعراج تقرأ باللغة التركية ونفقة ذلك على الاوقاف ومن رسومهم الاحتفالات بالموالد السنوية للاولياء يحضرها الناس على اختلاف وجهتهم حتى تضيق بهم الشوارع والازقة خصوصاً المولد الاحمدي والدسوقي وهى وان كانت تكاد أن تكون أسواقا تجارية تروج فيهما التجارة رواجا عظيما يحضرها الناس من مشارق الارض ومغاربها الا أن هذه الجمعيات العظيمة لاتخلو عن مفاسد كثيرة خصوصاً مايقام بها من الصور التى ظاهرها أنها من الدين وهو منها براء وقد اعتاد أهل عصرنا هذا أن يدقوا خيامهم مدة أسبوع فى المولد الصغير والكبير ويعدوا للمولد

الـكبير الذبائح العلوفة وللصغير الخبز (القراقيش) والدقة أما مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم فتحتفل به جميع طبقات المسلمين وتعطل له مصالح الحكومة وتحتفل به رسمياً في مكان فسيح فتضرب لـكل نظارة من نظاراتها فسطاطاً يجلس فيه موظفوها احتفالا وتعد الالعاب النارية ومتى حل الجناب الخديوى أونائبه أطلقت تلك الالعاب وهـذا من مواسم السرور بالديار المصرية وكان من عادة الفاطميين أيضاً أن يحتفلوا بمولد للخليفة القائم بالامر ولا يزال ذلك معروفا بعصرنا برسم عيد الجلوس هذا ومما يعرف من عادة الشيعة الاعجام بمصر ان يجتمعوا في منزل من اول المحرم لغاية ليلة عاشوراء في كل ليلة يقوم منهم خطيب فوق منـبر صغير يخطب بالفارسية وتتضمن رثاء اهـل البيت ويترنم فيها بالنوح واظهار الحزن والاسف ـ وفي ليلة عاشوراء يخرجون فى موكب مصطفين بأيديهم السيوف وبين صفوفهم شاب على حصان فيمشون نحو المشهد الحسينى وهم يصيحون (بحسن حسين) والدماء تسيل على ملابسهم البيضاء من ضرب جباههم بالسيوف ثم يعودون الى المنزل من طريق آخر ولا يزال ذلك معروفا لوقتنا هذا

ومن العادات التى أحدثها الظاهر بيبرس من دولة المماليك البحرية فى سنة ٦٧٥ هـ الطواف بالمحمل وبكسوة الـكعبة المشرفة في القاهرة ولم يسبق بها ولا تزال تلك العادة باقية في الطلعة والعودة يحتفل بهما رسميا وتعطل مصالح الحـكومة بالقاهرة وهما من أيام السرور المشهودة وكذلك يوم جبر الخليج والاحتفال بوفاء النيل المبارك ـ وصلى الله على سيدنا محمد صاحب الهجرة وعلى آله وصحبه ذوى البأس والنجدة


Bibliotheca Alexandrina
04282207